الاقتباس الخاطئ

عن المسيح

الطبعة 2009

الناشر: شعاع للنشر والعلوم

حارة الرباط 2 - المنطقة 12 - حي السبيل 2

تلفاكس : 2643545 (21) 00963

هاتف : 2643546 (21) 00963

سورية ـ حلب

ص.ب 7875

لمزيد من المعلومات ولشراء كتب الدار مباشرة على الإنترنت

يرجى زيارة موقعنا http://www.raypub.com

البريد الإلكتروني للقراء: quality@raypub.com

info@raypub.com

البريد الإلكتروني للزبائن: sales@raypub.com

البريد الإلكتروني لدور النشر: orders@raypub.com

الاقتباس الخاطئ

عن المسيح

تاليف

بارت ايهرمان

مراجعة لغوية

الدكتور عمار شيخوني

ترجمة

فادي مرعشلي

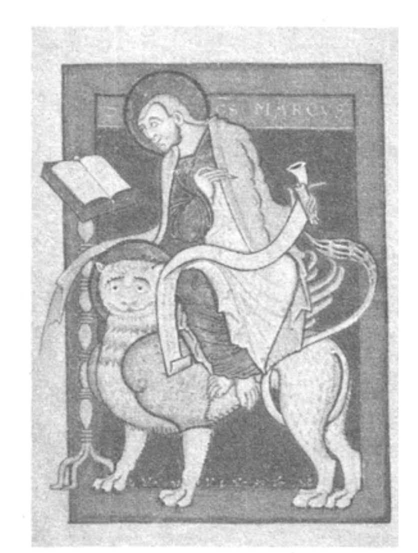
كلمة الناشر

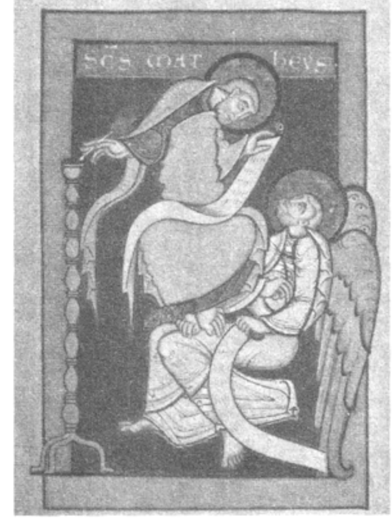
إن من كبرى القضايا التي تشغل الباحثين - نقاد النص - هو كيف كانت النصوص الأصلية للعهد الجديد؟

لقد ضاعت هذه النصوص، وما وصلَ إلى أيدي الناس هو نسخ عن نسخ سابقة ترجمت عن لغة الأنجيل الآرامية المفقودة.

لقد اكتشفت آلاف المخطوطات، وكشفَ فيها الباحثون اختلافات لا تُحصى حتى تحيروا في أمرهم. لقد بات هذا الأمر معضلة كبيرة لأنه -الإنجيل- الأساس لأكبر دين في العالم اليوم. فكيف يطمئن المرء إلى موقعه وهو فوق رمال متحركة؟

يُبصِّرُنا هذا الكتاب بأسباب هذه الاختلافات ودوافعها على مدى العصور. ويُعرِّفنا بالظروف التي مرت بها النصرانية الأولى وآثارها على غياب النص الأصلي للإنجيل واختلاف نصه.









كـتاب الأناجـيل الأربعـة مع الرموز التقليدية للحيوانات الخاصة بكل منهم، كل منها تميز الجانب الـذي يـصورونه في تصويرهم للمسـيح: متى يصوره كإنسان (البشرية)، مرقس بصورة كالأسـد (الملكية)، لوقا بصورة كالثور (الخدمة) ويوحنا بصورة كالنسـر (الألوهية).

مقدمة

إن موضوع هذا الكتاب كان في ذهني أكثر من أي موضوع كتبت فيه، لمدة الثلاثين عاماً الماضية، منذ أن كنت في نهاية المراهقة، وكنت قد بدأت لتوي بدراسة العهد الجديد. ولأنه موضوع شكل جزءاً مني لفترة طويلة، فقد فكرت أنه يجب أن أبدأ بأن أعطي تفسيراً شخصياً لِمَ يشكّل هذا الموضوع -ولا يزال- أهمية كبرى بالنسبة لي.

إن الكتاب يدور حول مخطوطات العهد الجديد القديمة والفروقات الموجودة بينها ،وعن النساخ الذين نسخوا الكتاب المقدس وغيروه أحياناً. يمكن أن لا يبدو هذا الموضوع واعداً جداً كمدخل لسرد سيرتي الذاتية، ولكن ها نحن ذا. إن للفرد سيطرة ضعيفة جداً في هذا الموضع.

قبل تفسير سبب وكيفية تغيير مخطوطات العهد الجديد لحياتي بشكل كبير عاطفياً وفكرياً. لفهمي لذاتي، وللعالم الذي أعيش فيه، آرائي عن الله والكتاب المقدس، يجب أن أشرح خلفيتي الشخصية.

لقد ولدت وترعرعت في مكان وزمان محافظين، في قلب الأمة في منتصف الخمسينيات. لم تكن تربيتي خارجة عن المألوف. كنا عائلة عادية من خمسة أشخاص، كنا نذهب إلى الكنيسة ولكننا لم نكن متدينين بشكل خاص. وفي بداية السنة التي بدأت فيها في الصف الخامس، انخرطنا في الكنيسة البروتستانتية في -لورنس، كانساس- كنيسة ذات كاهن لطيف وحكيم، وكان أحد جيراننا وكان ابنه واحداً من أصدقائي (وقد قمت معه ببعض الشيطنات- شيء يتضمن سيجاراً) وكما خي حال الكنائس البروتستانتية،

كانت هـذه الكنيسة محترمـة اجتماعـياً وذات مسؤوليات اجتماعـية، كانـت تأخذ طقـوس القربان المقدس على محمل الجد، والكتاب المقدس كان جزءاً من الطقـوس. ولكـن لم يكـن هنـاك تركيـز كـبير علـى الكتاب المقدس: لقد كـان موجـوداً هـناك كأحـد دلائـل الإيمـان والممارسـة، بجانب تقاليد الكنيسة والفطرة السليمة. لم نكن نتحدث عن الكتاب المقدس كثيراً. أو نقرأه كثيراً، حتـى في مـدارس الأحـد، الـتي ركـزت أكثـر علـى المواضـيع العملـية والاجتماعية، وكيفية العيش في هذا العالم.

مع ذلـك فقـد كـان للكتاب المقـدس مكـان محترم في منزلنا، وخاصة بالنسبة لأمـي الـتي كانـت تقـرأ فـيه أحياناً، وتحرص على أن نفهم قصصه والتعاليم الأخلاقـية فـيه (أقـل مـن ذلك فهي "مبادئ"). أعتقد أنني حتى سني المدرسة الـثانوية كنت أنظر إلى الكتاب المقدس على أنه كتاب غامض ذو أهمية دينية ما، ولكن لم يكن شيئاً ليدرس ويحفظ.

كـان فـيه شـعور مـن القـدم وكـان متـصلاً بـشكل معقـدٍ مـا بـالله والكنيـسة والعبادة. ومع ذلك لم أرَ سبباً لأقرأه بنفسي أو أن أدرسه.

تغيرت الأمور بشكل كبير بالنسبة لي عندما كنت في السنة الثانية من المدرسة الـثانوية. في ذلـك الحـين تعرضـت لخـبرة "ولادة مـن جديـد" في ظروف مختلفة تماماً عـن كنيسة مدينـتي. كـنت الـولد "المهمـش" النمطي - طالب جيد مهتم وناشـط في كـل الرياضـات المدرسـية ولكنني لم أكن مميزاً في أي منها، مهتم وناشـط من ناحية الحياة الاجتماعية ولكنني لم أكن من مجموعة النخبة ذات الـشعبية في المدرسـة. أتذكـر أنـني كنت أشعر بشيء من الفراغ الداخلي الذي لم يـنجح شـيء في ملـئه، لا الـذهاب مع أصدقائي (لقد كنا قد بدأنا فعلاً في الـشرب في الحفلات)، ولا المواعدة (بدأت دخول عوالم الجنس الغامضة)،

ولا الدراسـة (لقـد عملـت بجـد وأحـرزت نـتائج جـيدة ولكـنني لم أكـن متفوقاً)، ولا العمـل (لقـد كنت أعمـل بائعـاً متجولاً لـشركة تبيع منتجات للعميان) ولا الكنيسة (لقـد كـنت مساعداً للكـاهن وتقـياً فعلاً –يجب على المرء أن يكـون كـذلك صباح يـوم الأحـد، بالنظـر إلى كـل مـا كان يحدث في أمسية السبت). كان هناك نوع من الوحدة مرتبطة بكوني مراهقاً شاباً. ولكن بالطبع لم أعـرف أن ذلـك جـزء مـن كوني مراهقـاً، لذا طننت أن هناك شيئاً مفقوداً.

عـندها بـدأت أرتـاد لقـاءات الـشباب في حـرم الجامعة للنادي المسيحي، التي كانـت تعقـد في بـيوت الطلاب. كان أول اجتماع حضرته هو حفلة في صحن بـيت أحد الطلاب المحبوبين، وذلك دفعني للاعتقاد أن المجموعة لا بأس بها. كـان قائـد المجمـوعة شـاباً في العـشرينات اسمـه بـروس. وكان يكسب معيشته مـن هذا العمل. كانت الشبيبة منظمة للنادي المسيحي تحاول أن تحول طلاب المدرسـة الثانوية إلى "المولودين الجدد"، ثم تدفعهم للانخراط في دراسة جدية للإنجيل، اجتماعات صلاة وما شابه ذلك. كان بروس شخصية ساحرة تماماً -أصـغر سـناً مـن أهلـنا ولكـنه أكـبر سـناً وأكثـر خبرة منا- ذو رسالة قوية أن الفـراغ الذي كنا نشعر به في داخلنا (كنا مراهقين! وكلنا نشعر بالفراغ!) كان بـسبب عـدم وجـود المـسيح في قلوبـنا. ويكفـي أن نطلب دخول المسيح إليها. وهـو سـيدخل، ويملـؤها بالفـرح والـسعادة اللـذين يـشعر بهمـا "المخلـصون فقط".

كـان بإمكـان بـروس أن يقتـبس مـن الإنجيل متـى أراد، وكـان يقـوم بـذلك لدرجـة مذهلـة. وبالنظـر إلى احترامـي للإنجيل وعـدم معـرفتي به بدا كل شيء مقنعاً تماماً. وكان مختلفاً تماماً عما كنت أحصل عليه في الكنيسة الذي تتضمن

طقوساً مؤسسة منذ القدم، التي بدت أنها موجهة نحو الكبار أكثر من توجهها نحو الأولاد الذين يريدون المرح والمغامرة، والذين يشعرون بفراغ في داخلهم.

لاختصار هذه الحكاية المختصرة أصلاً، تعرفت أخيراً على بروس أكثر وقبلت رسالته الخلاصية، وطلبت من المسيح دخول قلبي، ومررت بخبرة "ولادة من جديد" صادقة. لقد ولدت فعلياً قبل 15 عاماً، ولكن هذه الخبرة كانت جديدة ومثيرة لي، وبدأت معها برحلة إيمان على طول العمر عانيت فيها من كثير من الصراعات والمنعطفات، منتهياً إلى طريق مسدود ظهر أنه - في الواقع - طريق جديد اتخذته منذ ذلك الحين، أي بعد ثلاثين سنة.

نحن الذين مررنا بهذه الخبرة كنا نعتبر أنفسنا مسيحيين "حقيقيين" - على عكس أولئك الذين كانوا يذهبون إلى الكنيسة بكل بساطة، والذين كانوا لا يملكون المسيح في قلوبهم، وبالتالي كانوا يقومون بالحركات فقط دون أي واقعية. واحدة من الطرق التي كنا نختلف بها عنهم هي التزامنا بدراسة الإنجيل والصلاة. وخاصة دراسة الإنجيل. بروس نفسه كان رجل إنجيل، لقد ارتاد معهد مودي (Moody) للإنجيل في شيكاغو. وكان بإمكانه أن يقتبس جواباً من الإنجيل لأي سؤال يخطر ببالنا (والكثير مما كان لا يخطر ببالنا). وسرعان ما بدأت أغار من هذه القدرة على الاقتباس من النصوص المقدسة وبدأت بدراسة الإنجيل بنفسي، متعلماً بعض النصوص مدركاً صحتها، وحتى حفظ بعض الآيات الأساسية.

أقنعني بروس أنه يجب أن أصبح مسيحياً "حقيقياً" وأكرس نفسي بالكامل للإيمان المسيحي. وذلك يعني أن أدرس النصوص المقدسة بدوام كامل في معهد مودي، الأمر الذي كان يعني تغيراً جذرياً في نمط الحياة بالإضافة إلى

أشياء أخرى. كان هناك نوع من "القوانين" الأخلاقية في معهد مودي التي كان يجب على الطلاب أن يوقعوا بالموافقة عليها: لا شرب، لا تدخين، لا رقص، لا أفلام، لا لعب ورق، والكثير من الإنجيل.

كما اعتدنا أن نقول: معهد مودي للإنجيل، حيث "الإنجيل هو اسمنا الأوسط". كنت أنظر إليه كأنه معسكر تدريب عسكري. على كل حال، قررت أن لا أساوم على إيماني تقدمت لمعهد مودي، وقبلت وذهبت إلى هناك في خريف عام 1973.

كانت تجربتي في معهد مودي شديدةً، وقررت أن أتخصص في لاهوت الإنجيل، مما كان يعني أن أحضر الكثير من صفوف دراسة الإنجيل وعلم اللاهوت كانوا يعلموننا مبدأً واحداً في هذه الصفوف، موقعاً عليه من جميع الأساتذة (كان عليهم أن يوقعوا إقراراً) ومن جميع الطلاب (وقعنا عليه نحن أيضاً): إن الإنجيل هو كلمة الله المنزهة عن كل خطأ. لا يحتوي على أي خطأ. إنه موحى به بالكامل. وفي كلماته نفسها "إيحاء كلامي مطلق". كل الصفوف التي حضرتها تُسَلّم مقدماً وتعلّم هذا المبدأ، أي شيء آخر كان يعتبر كذباً أو هرطقة. يمكن للبعض –كما أفترض- أن يدعو هذا غسيل دماغ. بالنسبة لي فقد كان الأمر "خطوة كبيرة نحو الأمام" من رؤيتي البسيطة للإنجيل التي كانت لدي كعضو ناشط في الكنيسة الأسقفية البروتستانتية في صغري. كان هذا إيمان مسيحي عنيف، للملتزمين تماماً.

على كلٍ، كان هناك مشكلة واضحة بالنسبة للادعاء القائل بأن الإنجيل موحى كلامياً حتى أدق كلماته. كما تعلمنا في معهد مودي في واحد من الصفوف الأولى من المنهاج أننا لا نملك الكتابات الأصلية للعهد الجديد. ما لدينا هي نسخ من هذه الكتابات، كتبت بعد عدة سنوات. وفي معظم

الحـالات، بعـد سـنوات طـويلة. فـضلاً عـن أن لم يكـن أي مـن هـذه النسخ دقيقة تماماً بما أن بعض الناسخين الذين نسخوها غيّروها عامدين و/أو غير عامـدين في بعـض الأمـاكن. كل الناسخين فعلوا ذلك. لذا فبدلاً من امتلاكنا للكلمـات الموصـى بهـا في المخطوطة الأصلية (أي النص الأصلي) للإنجيل، فـإن مـا لديـنا هـو النسـخ المليئة بالأخطاء عن المخطوطات الأصلية. فإن واحـدة مـن أكـثر المهـام إلحاحـاً كانـت هـي أن نـتحقق مـن الـذي ذكر في الإنجيل الأصـلي، آخـذين بعـين الاعـتبار الظـروف الـتي: 1) أنـزل فيها الوحي و2) والتي نحن لا نملكها.

يجب أن أقـول إن الكـثير مـن أصدقائي في معهد مودي لم يعتبروا هذه المهمة ذات أهمــية أو مــثيرة. كانــوا راضــين بــأن يــصدقوا الادعــاء القائــل أن المخطـوطات الأصـلية موحـى بهـا، وبـذلك يـبددون مشكلة أن المخطوطات الأصـلية لا تـدوم. ولكـن بالنـسبة لي كانت هذه مشكلة مفروضة. لقد كانت كلمـات الناسـخين ذاتهـم هي التي أوحى بها الله. وبالطبع علينا أن نعرف ما كانـت هـذه الكلمـات إذا أردنـا أن نعـرف كـيف كـان يتواصـل معـنا، بمـا أن معظـم الكلمـات كانـت مـنه وبوجـود كلمـات أخـرى (تلـك الـتي أضـافها الناسـخون بقـصد أو بـدون قصد) فإن ذلك لم يساعدنا كثيراً إذا كنا نريد أن نعرف كلماته "هو".

هـذا مـا دفعـني للاهـتمام بمخطـوطات العهـد الجديـد، كـنت قد تعلمت -في الثامـنة عـشرة مـن عمـري- في معهـد مودي أساسيات الحقل المعروف بالنقد النــصي- مــصطلح تقــني لعلــم اســتعادة الكلمــات الأصــلية لــنص مــن المخطـوطات الـتي غيرتهـا. ولكـنني لم أكـن مجهـزاً بعـد للانخـراط في هـذه الدراسـة: كـان علـي أن أتعلـم اليونانية أولاً، اللغة الأصلية للعهد الجديد،

ومن المحتمل أن أضطر إلى تعلم عدة لغات قديمة أخرى كالعبرية (لغة العهد القديم) واللاتينية، ناهيك عن ذكر اللغات الأوربية الجديدة كالألمانية والفرنسية، في سبيل معرفة ما قاله باحثون آخرون في هذا الموضوع. لقد كان علي أن أقطع طريقاً طويلاً.

في نهاية سنواتي الثلاثة في معهد مودي (لقد كانت شهادة تؤخذ في ثلاث سنوات)، كنت قد أحرزت نتائج جيدة في جميع موادي. وكنت جاداً أكثر في رغبتي أن أصبح باحثاً مسيحياً. كانت فكرتي في ذلك الوقت أن هناك الكثير من الباحثين ذوي الثقافة العالية بين المسيحيين الإنجيليين، ولكن لا يوجد إنجيليون كثيرون ضمن الباحثين (غير المبتدئين) عاليّ الثقافة، لذا أردت أن أصبح "الصوت" الإنجيلي في الأوساط غير الدينية بأن أحصل على شهادات تؤهلني للدراسة ضمن ظروف غير دينية بينما أحافظ على التزاماتي الإنجيلية. ولكن أولاً كان علي أن أنهي دراسة البكالوريوس، ولأقوم بذلك قررت أنني يجب أن أذهب إلى جامعة إنجيلية عالية المستوى. اخترت جامعة ويتون (Wheaton) في ضواحي شيكاغو.

حُذّرت في مودي أنني قد أعاني صعوبات في إيجاد مسيحيين حقيقيين في ويتون —الأمر الذي يظهر مدى شدة تزمت معهد مودي: كانت جامعة ويتون مخصصة للمسيحيين الإنجيليين فقط. وهي الكلية التي تخرج منها جورج غراهام على سبيل المثال. وجدتها في البداية متحررة بعض الشيء بالنسبة لي. كان الطلبة يتحدثون عن الأدب، والتاريخ، والفلسفة بدلاً من الوحي الذي نزل بكلام الإنجيل. كانوا يقومون بذلك من منظور مسيحي ومع ذلك: ألم يعرفوا ما كان مهماً حقاً؟!.

قررت أن أتخصص بالأدب الإنكليزي في ويتون، بما أن القراءة كانت شغفي ولأنني عرفت أنه لأستطيع الدخول إلى حلقات البحث كنت بحاجة إلى أن أصبح ضليعاً في أحد مجالات البحث غير الإنجيلي. وقررت أيضاً أن ألزم نفسي بتعلم اليونانية.

كان الفصل الأول لي في ويتون عندما قابلت د.جيرالد هاوثورن (Gerald Hawthorne) أستاذي في اليونانية وشخص كان له تأثير كبير في حياتي كباحث، ومدرس، وأخيراً صديق.

كان هاوثورن مثل معظم أساتذة ويتون مسيحياً إنجيلياً ملتزماً. ولكنه كان غير خائف من أن يسأل أسئلة عن إيمانه. وفي ذلك الوقت، اعتبرت هذا الأمر كإشارة ضعف (في الواقع، كنت أعتقد أنني أملك أجوبة لجميع الأسئلة التي كان يسألها تقريباً). وفي النهاية اعتبرتها كالتزام حقيقي بالحقيقة وككائن راغب بأن يفتح ذاته على احتمالية أن آراء الشخص بحاجة إلى أن تُعدَل في ضوء معرفة وخبرة حياتية أكبر.

كان تعلم اليونانية تجربة مثيرة لي. وكما تبين أنني كنت بارعاً في أساسيات اللغة، وكنت دائماً متلهفاً للمزيد. ولكن على مستوى أعمق، أصبحت تجربة تعلم اليونانية مثيرة للمتاعب بالنسبة لي بعض الشيء. لقد لاحظت مبكراً أن المعنى الكامل والفروقات الدقيقة للنص اليوناني للعهد الجديد يمكن أن يفهم فقط عندما يُقرأ أو يُدرس بلغته الأصلية (وينطبق الشيء ذاته على العهد القديم، كما علمت لاحقاً عندما تعلمت العبرية). وكان ذلك سبباً -كما فكرت- لتعلم اللغة بتبحر. وفي نفس الوقت، بدأ هذا يجعلني أشكك في فهمي للنصوص الإنجيلية على أنها كلام الله المُنزَل. إذا كان المعنى الكامل لكلمات النصوص يمكن أن يُفهم فقط عندما تدرسها باليونانية (أو العبرية)،

ألا يعـني ذلـك أن معظـم المـسيحيين الـذين لا يقـرؤون اللغـات القديمـة لا يـستطيعون الوصـول إلى مـا يـريد الله لهـم أن يعـرفوه؟ وألا يجعـل ذلك تعاليم الوحـي تعالـيم للنخـبة المـثقفة فقط ، التي لديها المقدرات الذهنية وفرصة تعلم اللغـات ودراسـة النـصوص عـن طريق قراءتها بلغتها الأصلية؟ ما الفائدة التي نجنيها مـن قـول إن هـذه الكلمـات مـوحاة مـن الله إذا كـان معظـم الـناس غـير قـادرين علـى الوصـول إلى هـذه الكلمـات علـى الإطـلاق ، بـل لترجمـات سـطحية خـرقاء بـشكل أو بآخـر مـن هـذه الكلمـات إلى لغـة كالإنكليـزية ، لا علاقة لها على الإطلاق بالكلمات الأصلية؟

بـدأت أسـئلتي تـتعقد أكثر بمجـرد أن بدأت أفكر بشكل متزايد بالمخطوطات الـتي تحمل الكلمات. وكلما درست اليونانية أكثر زاد اهتمامي بالمخطوطات الـتي حفظت العهد الجديد من أجلنا ، وبعلم النقد النصي الذي يمكن فرضياً أن يـساعدنا علـى إعـادة صـياغة الكلمات الأصلية للعهد الجديد. استمررت بالعـودة لـسؤالي الرئيـسي : كـيف يفـيدنا أن نقـول إن الإنجـيل هـو كـلام الله المعـصوم عن الخطأ إذا كنا في الواقع ليس لدينا كلام الله الذي أوحي به دون خطـأ ، بـل الكلمـات الـتي نـسخت مـن قـبل النـساخ فقـط - بعـض الأحيان بـشكل صـحيح ، ولكـن في أحيان أخـرى (الكثير منها) بشكل غير صحيح؟ مـا الفائـدة مـن قـول إن المخطـوطات الأصـلية كانـت مُنـزَلة؟ نحـن لا نملـك المخطـوطات الأصـلية! لدينا فقط نسخ مملوءة بالأخطاء ، والأغلبية العظمى مـنها مجمـوعات منـزوعة مـن المخطـوطات الأصـلية ، ومختلفة عـنها بـآلاف الطرق.

ملأتـني هـذه الـشكوك ودفعتني إلى أن أبحـث أعمـق فأعمق ، أن أفهم ما كان الإنجيل عليه حقـاً. أكملـت دراسـتي في ويتون في سنتين. وقررت- تحت قيادة

البروفسور هاوثورن- أن أكرس نفسي للنقد النصي للعهد الجديد بأن أذهب للدراسة مع أكبر خبراء العالم في هذا المجال، باحث يدعى (بروس.م.ميتزجر) (Bruce M. Metzger) الذي كان يدرس في معهد برينستون العالي للاهوت. وحذرني أصدقاء إنجيليون مرة أخرى من الذهاب إلى برينستون، بما أنني -كما قالوا لي- سأعاني صعوبات في إيجاد مسيحيين "حقيقيين" هناك. لقد كان معهداً مشيخياً بعد كل شيء، ليس أرضاً خصبة للمسيحيين المولودين من جديد. ولكن دراستي للأدب الإنكليزي، والفلسفة والتاريخ- ناهيك عن اليونانية- قد وسعت آفاقي بشكل ملحوظ، وكان شغفي الآن هو المعرفة، المعرفة بكل أنواعها، المقدسة والدينوية. إذا كانت معرفة "الحقيقة" تعني أن لا أعود منتمياً إلى المسيحيين المولودين من جديد الذين عرفتهم في المدرسة الثانوية فليكن ذلك. كنت عازماً على ملاحقة مهمتي من أجل الحقيقة حيثما أخذتني، واثقاً أن أي حقيقة أتعلمها لا يقلل من شأنها كونها غير مقبولة من الصعب أن تناسب ضيق الأفق الذي يأتي من خلفيتي الإنجيلية.

عند وصولي إلى معهد برينستون اللاهوتي، تسجلت مباشرة في السنة الأولى من صفوف تفسير اليونانية والعبرية (الترجمة)، ملأت جدولي قدر الإمكان بمناهج كهذه. وجدت أن هذه الصفوف تشكل تحدياً، على كلا الصعيدين الأكاديمي والشخصي. كان التحدي الأكاديمي مرحّباً به تماماً، ولكن التحديات الشخصية التي واجهتها كانت شخصية، وإنما حاولت. وكما أشرت فإنني بدأت -في ويتون- أشكك في بعض الجوانب الأساسية من التزامي بالإنجيل على أنه كلام الله المعصوم عن الخطأ. خضع ذلك الالتزام لهجوم ثقيل أثناء دراساتي المفصلة في برينستون. قاومت أي إغراء أن أغير آرائي ووجدت عدداً من الأصدقاء الذين جاؤوا -مثلي- من

مـدراس إنجيلية محافظة. وكنا نحاول أن "نحافظ على الإيمان" (طريقة مضحكة للتعبير -بالنظر إلى الوراء- بما أننا كنا في برنامج اللاهوت المسيحي). ولكن دراساتي بدأت تلاحقني. ووصلت إلى نقطة تحول في الفصل الثاني ، في مادة كنت آخذها مع أستاذ محترم وتقي يدعى (كالين ستوري). كانت المادة هي تفسير إنجيل مرقس، الذي كان (ولا يزال) إنجيلي المفضل. وكنا بحاجة إلى أن نكون قادرين على قراءة إنجيل مرقس بالكامل باللغة اليونانية من أجل هذه المادة (لقد حفظت كل مفردات الإنجيل اليونانية قبل أسبوع من بدء الفصل)، كان يجب أن نحتفظ بدفتر عن انطباعاتنا عن التفسيرات لبعض المقاطع الأساسية.

ناقشنا مشكلات في ترجمة النص، ثم كان علينا أن نكتب بحثاً في نهاية الفصل عن مقطع تفسيريّ من اختيارنا. واخترت الإصحاح الثاني من إنجيل مرقس حيث يواجه الفريسيّون المسيح لأن تلاميذه كانوا يمشون في حقل ذرة، ويأكلون الذرة في يوم السبت. أراد المسيح أن يُرِيَ الفريسيين أن "السبت صنع للبشر، وليس البشر من أجل السبت" ولذا يذكرهم بما فعله الملك داوود العظيم عندما كان ورجاله جياعاً، كيف دخلوا الهيكل "عندما كان أبياثار رئيساً للكهنة" وأكلوا خبز التقدمة الذي كان مخصصاً للكهنة فقط. وإحدى المشكلات المعروفة في هذا النص أنه عندما ينظر المرء إلى مقطع العهد القديم الذي استشهد به المسيح (صاموئيل 21 : 1-16) يتبين أن داوود قام بذلك ليس عندما كان أبياثار رئيساً للكهنة بل عندما كان والده أهيميليخ. وبكلمات أخرى فإنه واحد من تلك المقاطع التي أشير إليها لتظهر أن الإنجيل ليس معصوماً عن الخطأ على الإطلاق، ولكنه يحوي أخطاء.

في الـورقة الـتي كتبـتها للبروفسيور ستوري ، وضعت مناقشة طويلة ومعقدة عـن كيفـية تأثير ذلك أنه حتى عندما يشير مرقس أن ذلك حدث "عندما كان أبياثار رئيساً للكهنة" ، فذلك لا يعني حقاً أن أبياثار كان رئيساً للكهنة ولكن الأحـداث جـرت في ذلـك الجـزء مـن الـنص عـندما كـان أبـياثار واحـداً مـن الشخصيات الأساسية. كانت معقدة بعض الشيء. كنت واثقاً أن البروفيسور ستوري سـوف يقـدر هـذه المناقشة ، بمـا أنني كنت أعرفه أنه باحث مسيحي جيد. كـان مـن الواضـح (مثلـي) أنـه لـن يظـن أنه هناك أي أخطاء أصلية في الإنجيل. ولكـن في نهايـة بحثـي كـتب تعلـيقاً بـسيطاً مـن سـطر واحـد أثـر فيَّ مباشرة ، لقـد كـتب : "ربما اقترف مرقس خطأً فحسب". بدأت أفكر بالأمر ، آخـذاً بالاعتـبار كـل العمـل الـذي بذلته في هذا البحث ، مدركاً أنه كان علي أن أقـوم بـبعض أعمـال الترجمـة المـرهقة لأدور حول المشكلة ، وأن حلي قد كـان شـططاً بعـض الـشيء. واسـتنتجت أخـيراً "حـسناً.... ربمـا كان مرقس قد اقترف خطأً بالفعل".

مـا أن قمـت بـذلك الاعـتراف ، فـتحت بـوابات الفيـضان. لأنه إذا كان هناك خطأ صغير في الإصحاح الثاني من إنجيل مرقس ، فقد يكون هناك أخطاء في أمـاكن أخـرى كـذلك. ربمـا ، عـندما يقـول المسيح لاحقاً في مرقس 4 إن حبة الخردل هي "أصغر حبة في العالم" ، لا يجب أن أخرج بتفسير منمق يشرح أن حبة الخـردل هـي أصـغر الـبذور عـندما أعـرف يقيناً أنها ليست كذلك. وربما تنطـبق هـذه "الأخطـاء" علـى أمـور أكـبر. ربمـا عـندما يقـول مرقس أن المسيح صـلب في الـيوم الـذي يلـي تـناول وجـبة عيد الفصح (مرقس 12:14 - 25:15) ويقول يوحنا إنه مات في اليوم الذي يسبقها (يوحنا 14:19) ربما هذا اختلاف حقيقـي. أو عـندما يـشير لـوقا في روايـته لمـيلاد المسيح أن يوسف ومريم عادا

إلى الناصرة بعد أكثر من شهر من ذهابهما إلى بيت لحم (ومارسا طقوس الطهارة، لوقا 39:2)، بينما يشير متى أنهما فرا إلى مصر بدلاً من ذلك (متى 2: 19-22) ربما كان هذا اختلافاً. أو عندما يقول بولس إنه عندما تحول على الطريق إلى دمشق، فإنه لم يذهب إلى القدس ليرى أولئك الذين كانوا رسلاً قبله (رسالة غلاطية 1: 16-17) بينما يقول كتاب أعمال الرسل إن ذلك كان أول شيء قام به بعد تركه لدمشق (أعمال 26:9) ربما كان ذلك اختلافاً.

تزامن هذا النوع من الإدراك مع المشكلات التي كنت ألاقيها كلما تعمقت في دراسة نصوص العهد الجديد اليونانية الناجية. إن الأمر مختلف عندما تقول إن النصوص الأصلية منزلة، ولكننا لا نملك النصوص الأصلية. وفضلاً عن ذلك، فإن الأغلبية العظمى للمسيحيين على طول تاريخ الكنيسة لم يكن لديهم القدرة على الوصول إلى النصوص الأصلية، جاعلين كونها مُنزَلة من المسلَّمات. نحن لا نملك النصوص الأصلية وحتى إننا لا نملك النسخ الأولى عن هذه النصوص. إنَّ ما لدينا هي نسخ صنعت بعدها بوقت طويل. في أغلب الحالات، تكون نسخاً مصنوعة بعد عدة قرون. وهذه النسخ مختلفة تماماً واحدة عن الأخرى، في آلاف الأماكن. وكما سنرى لاحقاً في هذا الكتاب فإن هذه النسخ مختلفة بعضها عن بعض في أماكن كثيرة لدرجة أننا لا نعرف عدد الاختلافات الموجودة. وربما تكون أسهل طريقة لوضع الأمر في سياق المقارنة هي أن نقول: إنّ هناك اختلافات بين المخطوطات أكثر من الكلمات الموجودة في العهد الجديد.

معظم هذه الأخطاء هي أخطاء غير مهمة وغير ملحوظة تماماً. تظهر كمية كبيرة منها أن النساخ في القِدم لم يكن بإمكانهم أن يتهجوا أفضل من الناس

الـيوم (ولم يكـن لـديهم قوامـيس، ناهـيك عـن المـراجعة الإملائـية). ومـع ذلـك، مـاذا يمكـن للمـرء أن يـستنتج من كل هذه الاختلافات؟ إذا كان المرء مـصراً علـى أن الله أوحـى بكـل المخطـوطة، مـا الفائـدة مـن ذلـك إذا كـنا لا نملك المخطوطة؟ وكما سنرى -في بعض الأماكن- أنه لا يمكننا أن نتأكد أننا أعـدنا صـياغة النص الأصلي بشكل دقيق. من الصعب نوعاً أن نعرف معنى كلمات الإنجيل إذا كنا لا نعرف ما هي كلمات الإنجيل!

أصبح هـذا مـشكلة في رؤيـتي للوحـي، لأنني أدركت أنه لن يصعب على الله أن يحـافظ علـى كلمـات الـنصوص أكثـر ممـا كـان الأمـر بالنسبة للإيحـاء بها في الـبداية. لـو كـان أراد أن يملـك شـعبه كلامـه لكان بالتأكيد سيعطيه إياه (وحتى يمكـن أن يعطـيه إيـاه بلغـة يمكـنه فهمهـا، بدلاً من اليونانية والعبرية). إن حقيقة عـدم امتلاكـنا للكلمات تظهر بالتأكيد -كما عللت- أنه لم يحفظها لنا. وكونه لم يقـم بهـذه المعجـزة، فـلا سبب للاعتقاد أنه قام بالمعجزة السابقة بإيحاء هذه الكلمات.

باختـصار، إن دراسـتي للعهـد الجديـد اليونانـي وتحقيقاتي في النصوص التي يحـويها، قـادتني إلى إعـادة الـتفكير بـشكل متحرر في ماهية الإنجيل. كان هذا التغـيير كالزلـزال بالنـسبة لـي. فقبل هذا- بدءاً من خبرة الولادة من جديد في المدرسـة الـثانوية، مـروراً بأيامـي المتـزمتة في مـودي، وأيامـي الإنجيلـية في ويـتون- كـان إيمانـي مـستنداً إلى رؤية واثقة أن الإنجيل هو بالكامل كلمة الله المنـزلة المعـصومة مـن الخطـأ. الآن لم أعـد أرى الإنجـيل بهـذه الطـريقة. بـدأ الإنجيل يبدو لي ككتاب بشري للغاية. فكما أن النساخ البشر نسخوا وعدلوا نـصوص المخطـوطات، كـذلك أيـضاً قـام مؤلفـون بـشر بكـتابة الـنصوص الإنجيلـية. كان هذا كتاباً بشرياً من البداية إلى النهاية. لقد كتب من قبل كتّاب

بـشر مختلفين في أزمـنة مختلفة وأمـاكن مختلفة لعـلاج حاجـات مختلفة. شـعر العديـد مـن هـؤلاء الكـتّاب دون شـك أنهم يتلقون الوحي من الله ليقولوا ما قالـوه، ولكـن كـان لـديهم مـنظوراتهم الشخـصية، معـتقداتهم الخاصـة، آراؤهـم الخاصـة، حاجـاتهم الخاصـة، رغباتهم الخاصة، مفاهيمهم الخاصة ونظـرياتهم اللاهوتـية الخاصـة، وهـذه المنظورات، والمعـتقدات، والآراء، والحاجـات، والـرغبات، والمفاهيم، والنظـريات اللاهوتـية تـدخلت في كل شـيء قالـوه. واخـتلفوا بعضهم عن بعض في كل هذه الطرق. وبالإضافة إلى عـدة أشـياء أخـرى، فـإن هـذا عنى أن مرقس لم يقل الشيء نفسه الذي قاله لوقا، لأنه لم يعنِ نفس المعنى الذي عناه لوقا. يوحنا مختلف عن متى وليس بالطريقة نفسها. بولس مختلف عن أعمال الرسل. يعقوب مختلف عن بولس. كل كاتب هو كاتب، ويحتاج إلى أن يُقرأ لما كان (مفترضين أنهم كانوا كلهم رجـالاً) لديـه لـيقول، غـير مفترضـين أن مـا يقـوله هـو نفسه، أو مطابق، أو مترابـط مـع كـل مـا يقـوله كـل كاتـب آخر. وفي النهاية فإن الإنجيل هو كتاب بشري للغاية.

كـان هذا منظوراً جديداً لي، ومن الواضح أنه ليس نفس الرأي الذي كان لدي عـندما كـنت مـسيحياً إنجيلـياً- كمـا أنـه لـيس رأي معظم الإنجيليين اليوم. دعني أعطـيك مـثالاً عـن مـدى تـأثير تغير مـنظوري في فهمي للإنجيل. عندما كنت في معهـد مـودي، كـان واحد من أشهر الكتب في المعهد هو المخطط الخاص بسفر الـرؤيا لحياتـنا المـستقبلية للمؤلـف هـال لـيـندزي (Hal Lindsey) "كـوكـب الأرض العظـيم الراحل" (The Late Great Planet Earth) كان كتاب ليندزي محبوباً لـيس في مـودي فحسب، بـل كـان -في الواقـع- الكـتاب غير الخيالي الأكثـر مبـيعاً (عدا الإنجيل، مع استخدام مصطلح غير خيالي بشكل واسع)

في اللغة الإنكليزية. في السبعينيات كان ليندزي، كبقيتنا في معهد مودي، يؤمن أن الإنجيل كان معصوماً عن الخطأ تماماً في كل كلمة من كلماته، لدرجة أنه كان بإمكانك أن تقرأ العهد الجديد وتعرف ليس الكيفية التي أرادك الله أن تعيش بها، وما يريدك أن تؤمن به فحسب ولكن ما يخطط الله للقيام به في المستقبل وكيف سيقوم بذلك. كان العالم يتجه نحو أزمة قيامة ذات حجم كارثي، وكلمات النص المعصومة عن الخطأ يمكن أن تُقرأ لتظهر ماذا، وكيف، ومتى سيحصل كل هذا.

كنت مصدوماً بشكل خاص بكلمة "متى". أشار ليندزي إلى حكاية المسيح الرمزية عن شجرة التين كمؤشر للوقت الذي يجب أن نتوقع فيه القيامة القادمة. أراد تلاميذ المسيح أن يعرفوا متى سوف تأتي "النهاية". ويجيب المسيح قائلاً: "تعلموا هذا المثل من شجرة التين. عندما يصبح غصنها طرياً وتطرح أوراقها، تعلمون أن الصيف قريب. لذا عندما ترون كل هذه الأشياء تعلمون أن (ابن الإنسان) قريب، على الأبواب. الحق أقول لكم، لن يمر هذا الجيل قبل أن تحدث كل هذه الأشياء"، (متى 24:32-34).

ماذا يعني هذا المثل؟ قام ليندزي معتقداً أن هذه كلمات منزلة من الله نفسه بحل رسالتها بأن يشير إلى أن "شجرة التين" في الإنجيل تستخدم عادةً للإشارة إلى أمة إسرائيل. ما الذي سيعنيه أن تطرح أورقها؟ إن ذلك سيعني أن الأمة بعد مرورها بفصل سبات (الشتاء) سوف تعود للحياة. ومتى عادت إسرائيل إلى الحياة؟ في عام 1948.

عندما أصبحت إسرائيل دولة مالكة، يشير المسيح أن النهاية سوف تحدث في نفس الجيل الذي يتم فيه هذا الحدث. وكم طول الجيل في الإنجيل؟ أربعون عاماً.

وبالتالـي فـإن التعالـيم الإلهـية المنـزلة، الـتي خـرجت مباشـرة مـن شـفتي المسيح: ستأتي نهاية العالم في وقت ما قبل عام 1988، بعد أربعين عاماً من ظهور إسرائيل.

كانـت هـذه الرسـالة مقبـضة جداً بالنسبة لنا، يمكن أن يبدو الأمر غريباً الآن -نظراً لأن العام 1988 قد مر دون حدوث القيامة- ولكن من طرف آخر فإن هـناك ملايـين المسيحيين الذين لا يزالون يؤمنون أن الإنجيل يمكن أن يقرأ بحرفية ككتاب موحى بالكامل لما سيحدث قـريباً وينهـي التـاريخ كمـا نعـرفه. شـاهد الجنون الحالي لـ (تيم لاهاي Tim Lahaye) و(جيري جنكينغ Jerry Jenking) في المسلـسل (Left Behind)، رؤيـة كارثـية أخـرى مـن مستقبلنا مبنية على قراءة حـرفية مـن الإنجـيل، مسلـسل بـاع أكثـر مـن سـتين ملـيون نـسخة في يومـنا الحاضر.

إنـه تغـيير جـذري مـن قـراءة الإنجـيل كمخطـط معـصوم عـن الخطـأ لإيماننا، وحياتـنا ومـستقبلنا إلى النظـر إلـيه علـى أنه كتاب بشري جداً، بوجهات نظر بـشرية جـداً، حيث يختلف عـدد كبير منها عن بعضها الآخر ولا يمكن لأي مـنها أن تـؤمن دلـيلاً صـحيحاً لكيفـية العـيش. هـذا هو الانقلاب في تفكيري الـذي انتهيت إلـيه، والـذي التزمت بـه بالكامـل الآن. هـناك عـدد كـبير مـن المسيحيين- بالطـبع- الـذين لم يكـن لـديهم هذه النظرة الحرفية للإنجيل منذ الـبداية ويمكـن أن تـبدو نظـرة كهـذه لهـم متطرفة (ناهيك عن ذكر أنها غريبة ولا علاقـة لهـا بمـسائل الإيمـان). علـى كـلٍ، هناك الكثير من الناس الذين لا يـزالون يـرون الإنجـيل بهذه الطريقة. أرى بشكل عرضي ملصقاً على مؤخرة سيارة يقـول: "الله قـال ذلـك، أنـا أؤمـن به، وذلك كل شيء". وردّي دائماً هـو، ماذا لو أن الله لم يقل ذلك؟ ماذا لو أن الكتاب الذي تعتقد أنه يعطيك

كلمات الله يعطيك كلمات بشرية بدلاً من ذلك؟ ماذا لو أن الإنجيل لا يعطيك جواباً معصوماً عن الخطأ لأسئلة العصر الحديث -الإجهاض، حقوق المرأة، حقوق الشواذ، التفوق الديني، الديمقراطية الغربية، وما شابه ذلك؟ ماذا لو أننا يجب أن نكتشف كيف نعيش وما نؤمن به لوحدنا دون أن نضع الإنجيل كمعبود خاطئ -أو كمتنبئ يعطينا خطوط تواصل مباشرة مع القدير؟ هناك أسباب تدفع للتفكير أن الإنجيل -في الواقع- ليس ذلك الدليل المعصوم عن الخطأ لحياتنا. ومن بين أشياء أخرى، كنت أشير في أماكن عديدة أننا (كباحثين أو قارئين عاديين) لا نعرف ما هي الكلمات الأصلية للإنجيل.

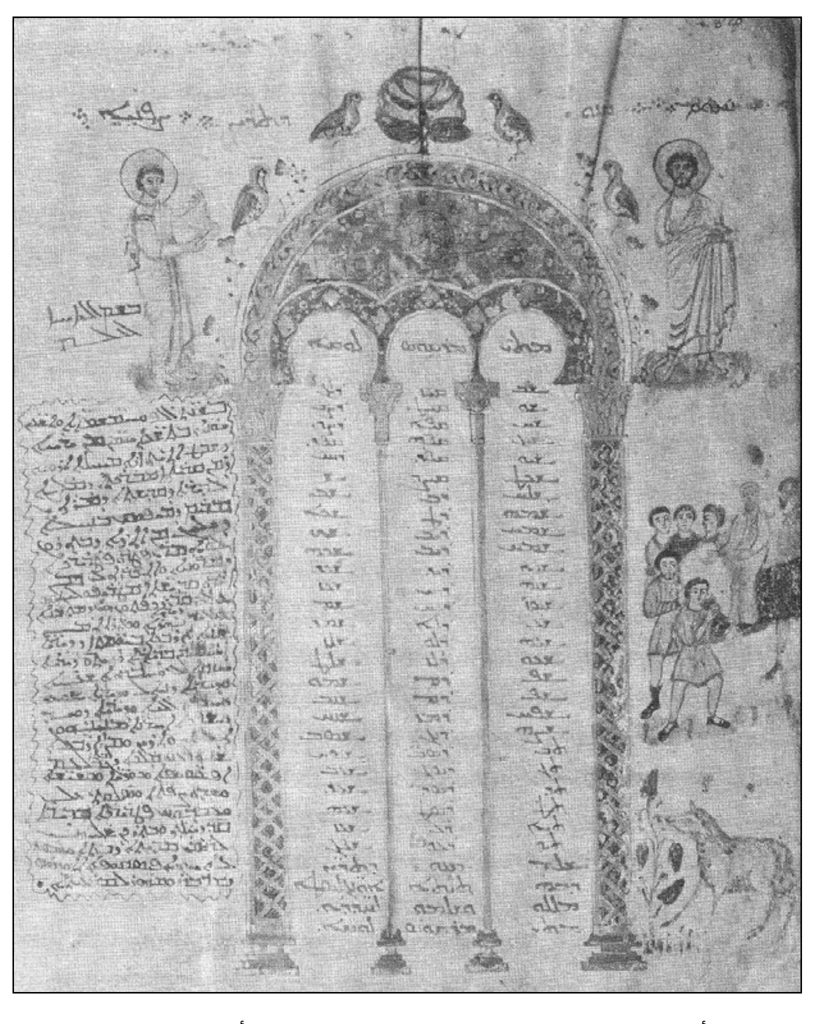
نظرتي اللاهوتية الشخصية تغيرت بشكل جذري مع هذا الإدراك، آخذة بيدي إلى طرق مختلفة تماماً عن التي اجتزتها في نهاية مراهقتي وبداية عشريناتي. ما زلت أقدر الإنجيل والرسائل المختلفة التي يحويها- كما بدأت أقدر الكتابات الأخرى للمسيحيين الأوائل من الوقت نفسه أو فترة لاحقة قريبة منها، كتابات شخصيات أقل شهرة مثل أغناطيوس الأنطاكي، كليمنت من روما، برناباس الإسكندراني، كما بدأت أقدر كتابات أشخاص من أديان أخرى تقريباً في ذلك الوقت، كتابات جوزيفوس ولوسيان من ساموساتا وبلوتارتس.

كل هؤلاء الكتّاب يحاولون أن يفهموا العالم ومكانهم فيه، وكل منهم لديه شيء قيمّ ليعلمنا إياه. من المهم أن نعرف كلمات هؤلاء المؤلفين، حتى نستطيع أن نعرف ما لديهم ليقولوه. ونحكم -بعد ذلك- بأنفسنا بما نفكر، وكيف نعيش في ضوء هذه الكلمات.

هـذا يعيدني إلى اهتمامي بالمخطوطات الأصلية للعهد الجديد، ودراسة تلك المخطـوطات في الحقـل المعـروف بالـنقد النـصي. إن قناعاتـي هـي أن الـنقد النصي مجال دراسـة قـسري ومخادع ذو أهمية كبيرة ليس للباحثين فحسب، بـل لكـل شـخص مهـتم بالإنجيل (سـواء كـان يأخـذه بحرفية، أو يتعافى من كـونه حـرفياً، أو شـخص لـن يكـون حـرفياً أبداً، أو أي شخص ذي اهتمام بعيد بالإنجيل كظاهرة تاريخية وثقافية) لكن ما يصدمني هو أن معظم القراء -حتى هـؤلاء المهـتمون بالمسيحية، بالإنجيل، بالدراسـات الإنجيلية، سواء كانـوا يؤمـنون أن الإنجيل لا يحـوي أخطـاءً أو لا- لا يعـرفون أي شـيء عن الـنقد النـصي. ولا تـصعب رؤيـة الـسبب. علـى الـرغم مـن حقـيقة أن هـذا الموضـوع هـو موضـوع بحـوث مـستمرة لأكثر من ثلاثمئة عام، فإنك تكاد لا تجد أي كتاب -إلا بشق النفس- عن هذا الموضوع للجمهور يكون لأولئك الذين لا يعرفون أي شيء عن الموضوع، الذين لا يعرفون اليونانية أو لغات أخـرى ضـرورية للدراسـات المتممة للإنجيل، الـذين لا يدركـون أن هـناك "مـشكلة" مـتعلقة بالـنص، ولكـن الـذين يـنوون أن يعلموا ما هي المشكلات وكيف يقوم الباحثون بالتعامل معها.

هـذا الكـتاب مـن هـذا الـنوع -وحسب علمي هو الأول من نوعه. إنه موجه للناس الذين لا يعرفون شيئاً عن النقد النصي، ولكنهم راغبون بتعلم شيء عـن كيفـية قـيام النـساخ بتغيير النصوص وعن كيفية تعرف مكان التغيير. إنه مكـتوب علـى أسـاس تفكـيري لثلاثين عاماً في الموضوع، ومن وجهة نظري الحالـية، كونـي مررت بانتقال جذري في آرائي عن الإنجيل. إنه مكتوب لأي شـخص يمكـن أن يكـون مهـتماً بمعـرفة كيفـية حـصولنا علـى العهـد الجديد، بـرؤية أنـنا في بعـض الأحيان لا نعرف ما هي كلمات الكاتب الأصلية. برؤية

الطرق المثيرة التي تغيرت بها هذه الكلمات في بعض الأحيان، ورؤية كيف يمكننا -بتطبيق بعض مناهج التحليل الصارمة- أن نعيد صياغة تلك الكلمات الأصلية. وهذا الكتاب شخصي جداً بالنسبة لي -بطرق عديدة- النتيجة النهائية لرحلة طويلة. وربما يكون بالنسبة للآخرين جزءاً من رحلتهم الخاصة.



صورة من أناجيل رابولا المشهورة، وهي مخطوطة إنجيلية أنيقة من القرن السادس من سوريا

1

بداية المخطوطات المسيحية

لنناقش النسخ التي نملكها من العهد الجديد، نحن بحاجة إلى أن نبدأ في البداية الأولى لأحد الأوجه غير المألوفة في المسيحية في العالم اليوناني- الروماني: شخصياته الكتابية. في الواقع، لفهم هذا الوجه من المسيحية، نحن بحاجة إلى البدء قبل بداية المسيحية مع الدين الذي انبعثت منه المسيحية، اليهودية. لأن كتابية المسيحية كانت متوقعة ومترقبة بعض الشيء بسبب اليهودية، التي كانت أول "ديانة كتابية (الكتاب)" في الحضارة الغربية.

اليهودية كديانة كتابية (ديانة الكتاب).

إن اليهودية التي انبعثت منها المسيحية، كانت ديناً غير مألوف في العالم الروماني، ومع ذلك لم تكن فريدة بأي شيء من الأشكال. اعترف اليهود بشكل مشابه للأديان العديدة (المئات) المنتشرة في منطقة المتوسط –بوجود مملكة إلهية مسكونة بكائنات تفوق البشر (الملائكة، رؤساء الملائكة، إمارات، وقوى)، لقد بدؤوا بعبادة الإله عن طريق التضحية بالحيوانات والمنتجات الغذائية الأخرى، لقد آمنوا بوجود مكان مقدس خاص حيث يقطن هذا الكائن الإلهي هنا على الأرض (معبد أورشليم)، ويجب أن تقدم تلك التضحيات هناك. كانوا يصلون لهذا الإله من أجل حاجات

اجتماعية وشخصية. وحكوا حكايات عن كيفية تفاعل هذا الإله مع الكائنات البشرية في الماضي، وتوقعوا مساعدته للبشر في الوقت الحاضر. وبالتالي كانت اليهودية "متآلفة" مع عبدة الآلهة الأخرى بكل هذه الطرق في الإمبراطورية.

مع ذلك، كانت اليهودية مميزة. كانت كل الديانات الأخرى في الإمبراطورية متعددة الآلهة: يعترفون ويعبدون آلهة متعددة من كل الأنواع والوظائف: آلهة عظيمة للإمارات، آلهة أقل شأناً للمراكز المتعددة، آلهة تشرف على جوانب مختلفة من حياة البشر كالولادة، والحياة والموت. أما اليهودية فكانت توحيدية، أصر اليهود على عبادة إله واحد، إله أجدادهم الإله الذي -كما يؤمنون- خلق هذا العالم، ويتحكم بهذا العالم، وهو وحده يؤمّن ما يلزم لشعبه. وفق سب التقليد اليهودي فإن هذا الإله كلي القدرة قد دعا إسرائيل ليكون شعبه المختار. ووعدهم بأن يحميهم ويدافع عنهم مقابل إخلاصهم التام له، وله وحده. كان الشعب اليهودي -كما آمنوا- لديه "عهد" مع الله، اتفاق يقضي بأن يكونوا له بتفرد كما أنه لهم بتفرد. هذا الإله الواحد يجب أن يعبد ويطاع وحده، لذا كان هناك معبد واحد فقط، على نقيض الديانات متعددة الآلهة في ذلك العصر. حيث يمكن فيها -على سبيل المثال- أن يكون هناك أي عدد من المعابد لإله مثل زيوس (Zeus). كان اليهود قادرين على عبادة الله في أي مكان يعيشون فيه، لكن طقوس التضحية المفروضة عليهم في دينهم كانت تتم في معبد أورشليم (القدس) فقط. ومع ذلك كان بإمكانهم -في أماكن أخرى- أن يجتمعوا في "الكنيس" (المجمع) للصلاة ومناقشة التقاليد في قلب ديانتهم.

كانت هذه التقاليد تتضمن قصصاً عن تعامل الله مع أجداد شعب إسرائيل -الآباء والأمهات في الإيمان، مثل: -إبراهيم، سارة، اسحق، راحيل،

يعقوب، ريبيكا، يوسف، موسى، داوود وآخرون- وتعاليم مفصلة متعلقة بحياة وعبادة هؤلاء الناس لله. واحد من الأشياء الذي ميز الديانة اليهودية عن باقي أديان الإمبراطورية الرومانية هو أن هذه التعليمات بالإضافة إلى التقاليد السلفية الأخرى كانت مكتوبة في كتب مقدسة.

لأن العالم المعاصر يألف كلاً من الديانات المعاصرة الكبرى الغربية (اليهودية، المسيحية، الإسلام) يمكن أن يكون من الصعب أن يتصور، ولكن الكتب لم يكن لها أي دور في الديانات متعددة الآلهة في الغرب القديم. كانت هذه الديانات مهتمة بتكريم الإلهة عن طريق طقوس التضحية بشكل حصري. لم يكن هناك أية وصايا ليتعلموها -كما هي مفسرة في الكتب- ولا يوجد مبادئ أخلاقية تقريباً لتتبع، -كما هي موضحة في الكتب. هذا لا يعني أن متبعي الديانات متعددة الآلهة لم يكن لديهم إيمان بآلهتهم أو لم يتحلوا بأي أخلاق. ولكن المعتقدات والأخلاق- وقد يبدو ذلك غريباً للآذان المعاصرة- لم تلعب أي دور في الدين بحد ذاته. كانت هذه الأمور متعلقة بالفلسفة الشخصية بدلاً من ذلك، والفلسفات بالطبع يمكن أن تكون كتابية. وبما أن الديانات القديمة بحد ذاتها لم تتطلب أي مجموعة "من الوصايا الصحيحة" أو -بشكل أكبر- "قوانين أخلاقية"، لم تلعب الكتب أي دور فيها.

كانت اليهودية متفردة بأنها شددت على التقاليد السلفية، العادات، والقوانين، وآمنوا أن هذه مسجلة في الكتب المقدسة التي أصبحت بالتالي تحمل صفة "الكتاب المقدس" للشعب اليهودي. وفي الفترة التي نركز عليها -القرن الأول الميلادي حيث كتبت كتب العهد الجديد- فهم اليهود المنتشرون في أرجاء الإمبراطورية الرومانية بشكل خاص أن الله أعطى

تعليمات لشعبه في كتابات موسى المعروفة لدى الجميع بالتوراة التي تعني حرفياً شيئاً مثل "القانون" أو"الدليل". تتألف التوراة من خمس كتب تدعى أحياناً بـ "Pentateuch" (اللفافات الخمسة)، بداية الإنجيل اليهودي (العهد القديم المسيحي) سفر التكوين، سفر الخروج، سفر الأحبار، سفر الأعداد، سفر تثنية الاشتراع. هنا يجد المرء معلومات عن خلق العالم، ودعوة بني إسرائيل ليكونوا شعب الله، وقصص آباء وأمهات إسرائيل وتعامل الله معهم، والأكثر أهمية (والأكثر توسعاً)، القوانين التي أعطاها الله لموسى مشيرة كيف يجب على شعبه أن يعبدوه ويتصرفوا أحدهم تجاه الآخر في المجتمع. هذه القوانين كانت مقدسة، يجب أن تحفظ، وتناقش وتُتبع، وكانت مكتوبة في مجموعة من الكتب.

لليهود كتب أخرى مهمة لحياتهم الدينية أيضاً مثل: كتب الأنبياء (إشعياء، آرميا، عموس) وكتاب المزامير، والتاريخ (يوشع وصامويل). وبعد بداية المسيحية بوقت قصير، قبلت مجموعة من هذه الكتب العبرية -ومجموعها اثنان وعشرون- واعتبرت بداية مقدسة للنصوص المقدسة، إن الإنجيل اليهودي اليوم، قُبل من قِبل المسيحيين كالجزء الأول من القانون المسيحي، "العهد القديم".

هذه المعلومات الموجزة عن اليهود ونصوصهم المكتوبة مهمة، لأنها تشكل خلفية المسيحية، التي كانت -من بدايتها الأولى- ديانة كتابية. بدأت المسيحية -بالطبع- مع المسيح الذي كان بنفسه حَبْراً يهودياً (معلماً) قَبِل سلطة التوراة، وعدة كتب مقدسة يهودية أخرى، وعلم تفسيراته لهذه النصوص لتلاميذه. وكغيره من الأحبار في عصره، أكد أن إرادة الله يمكن أن توجد في هذه النصوص المقدسة، وخاصة قوانين موسى. لقد قرأ هذه النصوص، درس هذه

النصوص، واتبع هذه النصوص. كان أتباعه -من البداية- يهوداً كانوا يعلقون أهمية كبرى على كتب تقاليدهم. وبالتالي في بداية المسيحية كان أتباع هذا الدين الجديد، أتباع المسيح، غير معتادين في الإمبراطورية الرومانية: كاليهود من قبلهم، ولكن على عكس كل شخص آخر، وضعوا سلطة مقدسة في الكتب المقدسة. المسيحية في بدايتها كانت ديانة كتاب.

المسيحية كديانة كتابية

كما سنرى الآن فإن أهمية الكتب في المسيحية المبكرة لا تعني أن كل المسيحيين يستطيعون قراءة الكتب. بل على العكس تماماً، معظم المسيحيين الأوائل، مثل معظم الناس على امتداد الإمبراطورية (ومن ضمنهم اليهود!) كانوا أميين. ولكن ذلك لم يعنِ أن الكتب لعبت دوراً ثانوياً في الديانة. في الواقع، لقد كانت الكتب ذات أهمية مركزية، بطرق أساسية في حياة المسيحيين في مجتمعاتهم.

الرسائل المسيحية الأولى

إن أول شيء نلاحظه هو أنه كان هناك العديد من أنواع الكتابات ذات الأهمية في المجتمعات المسيحية الناشئة في القرن الأول بعد وفاة المسيح. إن أول دليل نملكه على وجود المجتمعات المسيحية يأتي من الرسائل التي كتبها القادة المسيحيين. إن بولس الرسول هو أول وأفضل مثال لدينا. أسس بولس كنائس شرق المتوسط، في المراكز المتحضرة بشكل مبدئي، عن طريق إقناع الوثنيين (أي أتباع أية ديانة متعددة الآلهة في الإمبراطورية) إن الإله اليهودي يجب أن يعبد وحده، وأن المسيح هو ابنه، الذي مات من أجل خطايا العالم

وسيعود قريباً من أجل يوم الحساب (راجع رسالة تسالونيكي الأولى 1 : 9-10). ليس من الواضح كم استعمل بولس الكتاب المقدس (أي كتابات الإنجيل اليهودي) في محاولاته لإقناع المهتدين المحتملين بحقيقة رسالته، ولكن في واحدة من النقاط الرئيسية من عظاته، يشير إلى أن ما وعظه هو أن "المسيح مات، بما يتطابق مع الكتاب المقدس.... وأنه قام كما في الكتاب (كورنثوس الأول 3:10-4). من الواضح أن بولس ربط أحداث موت المسيح وقيامه مع تفسيره للمقاطع الرئيسية من الكتاب المقدس اليهودي، الذي كان -كيهودي عالي الثقافة- بإمكانه أن يقرأه بنفسه والذي فسره لمستمعيه في محاولات ناجحة غالباً لهدايتهم.

بعد أن يقوم بولس بهداية عدد من الأشخاص في موضع معين، كان ينتقل إلى موضع آخر ويحاول، وعادةً ما كان يصادفه بعض النجاح، أن يهدي أشخاصاً هناك أيضاً. ولكن كانت تصله في بعض الأحيان (أو غالباً؟) أخبار من أحد مجتمعات المؤمنين الأخرى التي أسسها مسبقاً، وكانت هذه الأخبار في بعض الأحيان (أو غالباً؟) غير جيدة: أعضاء من المجتمع بدؤوا بالتصرف بطريقة مسيئة، برزت مشكلات بشأن الخلود، وصل "معلمون مزيفون" يعلمون مفاهيم معاكسة لمفاهيمه، بعض الأعضاء من المجتمع بدؤوا يتعلقون بتعاليم مزيفة، وهكذا. عند سماع هذه الأخبار كان بولس يكتب رسالة إلى هذا المجتمع، تعالج هذه المشكلات. كانت هذه الرسائل مهمة جداً لحياة المجتمع، وأصبح عدد منها في النهاية يعتبر كتاباً مقدساً. هناك ما يقارب ثلاثة عشر رسالة باسم بولس متضمنة في العهد الجديد.

يمكن أن نحصل على فكرة عن أهمية هذه الرسائل في بداية الحركة المسيحية من الكتابة المسيحية الأولى التي نملكها، وهي رسالة بولس الأول إلى

تسالونيكي التي يعود تاريخ كتابتها إلى عام 49م. بعد ما يقارب عشرين عاماً من وفاة المسيح. وما يقارب عشرين عاماً، قبل كتابة أي من الأناجيل عن حياته. ينهي بولس الرسالة بقوله: "حيي كل الأخوة والأخوات بقبلة مقدسة، أنا أستحلفكم بشدة باسم الرب أن تقرأ هذه الرسالة على جميع الأخوة والأخوات" (تسالونيكي الأولى 5: 26-27) لم تكن هذه رسالة عادية لتقرأ من قبل شخص مهتم بشكل بسيط، إن بولس الرسول يصر على أن تُقرأ وتُقبل على أنها تصريح موثوق من قبله، مؤسس المجتمع.

وهكذا دارت هذه الرسائل عبر المجتمعات المسيحية منذ أقدم الأزمان. ربطت هذه الرسائل مجتمعات تعيش في أماكن مختلفة، لقد وجدت الإيمان والممارسة لدى المسيحيين، لقد وضحت ما يفترض على المسيحيين أن يؤمنوا به وكيف يجب عليهم أن يتصرفوا. كانت هذه الرسائل تُقرأ على الملأ لكل المجتمع في تجمعات المجتمع، بما أن معظم المسيحيين -كما أشرت- كمعظم الآخرين، قد يكونون غير قادرين على قراءتها بأنفسهم.

ضُمِّن بعض هذه الرسائل في العهد الجديد. في الواقع إن العهد الجديد مؤلف بشكل كبير من رسائل كتبت من قِبَل بولس وقادة مسيحيين آخرين للمجتمعات المسيحية (مثل الرسائل إلى أهل كورنثوس وأهل غلاطية) وأفراد (مثل فيلمون). فضلاً عن ذلك، فإن الرسائل التي بقيت -هناك إحدى وعشرون رسالة في العهد الجديد- هي جزء مما كتب. فقط مع الاحترام لبولس، يمكننا أن نفترض أنه كتب رسائل أكثر بكثير من تلك المنسوبة إليه في العهد الجديد. وفي بعض الأحيان، يذكر رسائل أخرى لم تبقَ حتى اليوم. في كورنثوس الأولى 9:5 على سبيل المثال، يذكر رسالة كتبها من قبل لأهل كورنثوس (قبل الرسالة "الأولى" لأهل كورنثوس

ببعض الوقت) ويذكر رسالة أخرى أرسلها إليه بعض الكورنثيين (كور الأولى 1:7). وفي مكان آخر يشير إلى رسائل أرسلها إليه أعداؤه (كور. الثانية 1:3). ولم يصلنا أي من هذه الرسائل.

شك الباحثون لوقت طويل أن بعض الرسائل الموجودة في العهد الجديد تحت اسم بولس كتبت في الواقع من قبل أتباعه اللاحقين، تحت اسم مستعار. إذا صح هذا الظن، فإن ذلك سيؤمن دليلاً أكثر قوة عن أهمية الرسائل في الحركة المسيحية المبكرة: قد يكتب أحدهم رسائل باسم الرسول، لكي تسمع وجهة نظره مفترضاً أن ذلك سيحمل كماً جيداً من المصداقية. وواحدة من هذه الرسائل المكتوبة باسم مستعار هي الرسالة إلى كولوسي، التي تركز على أهمية الرسائل وتذكر رسالةً أخرى غير ناجية: "ومتى قُرأت عندكم هذه الرسالة اجعلوها تقرأ في كنيسة اللاودكيين واقرؤوا تلك التي كتبت للاودكيين" (كول 16:4) من الواضح أن بولس -أو شخص يكتب باسمه- قد كتب رسالة لبلدة لاودكيا القريبة، وقد فقدت هذه الرسالة أيضاً.

إن مقصدي هو أن الرسائل كانت مهمة لحياة المجتمعات المسيحية الأولى. كانت تمثل مستندات مكتوبة لتقودهم في إيمانهم وممارستهم. لقد ربطت هذه الكنائس سوية. لقد ساعدت على جعل المسيحية مختلفة جداً عن باقي الديانات المنتشرة في جميع أنحاء الإمبراطورية، بأن المجتمعات المسيحية المختلفة كانت موحّدة بهذا الأدب الذي كان مشتركاً بينها، وكانوا يتبنون تعليمات موجودة في هذه الوثائق أو "الكتب".

لم تكن الرسائل هي وحدها ذات الأهمية لهذه المجتمعات، كان هناك في الواقع إنتاج واسع بشكل غير مسبوق للأدب كان ينتشر ويُقرأ ويُتبع من قبل

المسيحيين الأوائل على عكس أي شيء آخر رآه العالم الروماني الوثني من قبل. وبدلاً من أن أصف كل هذا الأدب بشكل مطوّل أستطيع هنا أن أذكر ببساطة بعض الأمثلة عن أنواع الكتب التي كانت تُكتب وتوزّع.

الأناجيل الأولى

كان المسيحيون بالطبع مهتمين بمعرفة المزيد عن حياة، وتعاليم، وموت وقيامة ربهم. وهكذا كُتبت أناجيل عدّة سجلت التقاليد المرافقة لحياة المسيح. أربعة من هذه الأناجيل أصبحت مستخدمة بشكل واسع - وهي إنجيل متى، ومرقس، و لوقا ويوحنا في العهد الجديد- ولكن كُتب العديد غيرها ما زال لدينا بعضها: على سبيل المثال: أناجيل كُتبت كما يبدو بيد فيليبوس تلميذ المسيح، وأخوه يهوذا، وتوما ومرافقته مريم المجدلية. وفقدت أناجيل أخرى من ضمنها بعض أقدم الأناجيل. نعرف هذا -على سبيل المثال- من إنجيل لوقا الذي يشير كاتبه أنه استشار "عدداً" من أسلافه (لوقا 1:1) ومن الواضح أنهم لم يبقوا. أحد هذه الروايات الأولى قد يكون المصدر الذي أسماه الباحثون Q، الذي كان على الأغلب نصاً مكتوباً لأقوال المسيح، والذي استُخدم من قبل كلٍ من لوقا ومتى في الكثير من تعاليمهم المميزة عن المسيح (كالصلاة الربيّة والطوباويات).

لقد فُسرت حياة المسيح -كما رأينا- من قبل بولس والآخرين على ضوء الكتاب المقدس اليهودي. هذه الكتب أيضاً -كأسفار موسى الخمسة والكتابات اليهودية الأخرى كالأنبياء والمزامير- كانت واسعة الاستخدام بين المسيحيين الذين استكشفوها ليروا ما يستطيعون كشفه عن إرادة الرب، وخاصةً كما ظهرت في المسيح. كانت نُسخ من الكتاب المقدس اليهودي

المترجمة عادةً إلى اليونانية (أو ما يسمى بالترجمة السبعينية) متوفرة بشكل واسع آنذاك في المجتمعات المسيحية الأولى كمصدر للدراسة والتأمل.

الأعمال الأولى للرسل

لم تكن حياة المسيح هي وحدها المهمة، بل أيضاً حياة أتباعه الأوائل كانت مهمةً للمجتمعات المسيحية النامية في القرنين الأول والثاني. ليس من المفاجئ -آنذاك- أن نرى روايات الرسل -مغامراتهم ومنجزاتهم التبشيرية خاصةً بعد موت وقيامة المسيح- بدأت تشغل مكانة هامة لدى المسيحيين المهتمين بمعرفة المزيد عن ديانتهم. ولذا وصلت هذه الروايات- أعمال الرسل- في نهاية الأمر إلى العهد الجديد. ولكن روايات عدة كُتبت بشكل رئيسي عن رسل مفردين كتلك الموجودة في أعمال بولس، أعمال بطرس وأعمال توما. هناك أعمال أخرى نجت أجزاء منها فقط، أو ضاعت برمّتها.

سفر الرؤيا المسيحي

كما أشرت فقد قام بولس (بالإضافة إلى رسل آخرين) بتعليم أن المسيح سيعود قريباً من الجنة من أجل يوم الحساب على الأرض. كانت النهاية القادمة لكل شيء تشكل مصدراً لافتتان مستمر للمسيحيين الأوائل الذين توقّعوا بشكل كبير أن الله سيتدخل عاجلاً في شؤون العالم، ويُسقط قوى الشر، ويؤسس مملكته الطيبة التي يرأسها المسيح هنا على الأرض. أنتج بعض الكتاب المسيحيين روايات تنبؤية عما سيحدث في النهاية الكارثية للعالم كما نعرفه. هناك سابقات لهذا النوع من الأدب المتعلق بالقيامة -على سبيل المثال- في سفر دانيال في الكتاب المقدس اليهودي. أو في كتاب إينوخ في الأبوكريف اليهودية. ومن أسفار الرؤيا التي وصلت في نهاية الأمر إلى

العهد الجديد هي سفر رؤيا يوحنا. وكتابات أخرى منها رؤيا بطرس والراعي هيرمس كانت قراءات منتشرة في عددٍ من المجتمعات المسيحية في القرون الأولى للكنيسة.

الأنظمة الكنسية

تضاعفت المجتمعات المسيحية الأولى، ونمت بدءً من أيام بولس مروراً بالأجيال التي تلته. كانت الكنائس الأولى، أو على الأقل تلك التي أسست من قبل بولس ذاته، ما نستطيع أن نسميه بالمجتمعات ذات الشخصية المميزة، كانوا يؤمنون أن كل فرد من المجتمع قد أُعطي "موهبة" (كاريزما باليونانية) من الروح ليساعد المجتمع في حياته المستمرة. على سبيل المثال: كانت هناك مواهب التعليم، والحكم، والتصدّق، والشفاء والنبوءة. وفي نهاية الأمر عندما بدأ الاعتقاد بدنو نهاية العالم بالتراجع بدا من الواضح أن هناك حاجة لهيكلية كنسية أكثر صلابة. بدأت الكنائس حول المتوسط ومن ضمنها تلك التي أسسها بولس بتعيين قادة يكونون مسؤولين عنها وعن اتخاذ القرارات (بدلاً من اعتبار كل الأفراد موهوبين بالتساوي من الروح). بدأت تُسن قوانين تنظم حياة المجتمع وممارسة عاداته المقدسة "كالمعمودية، والقربان المقدس، وتدريب أعضاء جدد، وهكذا"، وسرعان ما بدأت تظهر وثائق تبين كيف يجب أن تنظم وتُبنى هيكلية الكنائس. وأصبح ما يعرف بأنظمة الكنيسة ذا أهمية متزايدة في القرنين الثاني والثالث، ولكن في العام (100م) كان أول كتاب "كما نعلم" قد كُتب وانتشر بشكل واسع، وكان يدعى "تعاليم الرسل الاثني عشر"، وسرعان ما تبعه عدد من الكتب المشابهة.

الدفاعات المسيحية

عندما أصبحت المجتمعات المسيحية موجودة واجهت أحياناً معارضة من اليهود والوثنين، الذين كانوا قد رأوا هذا الإيمان الجديد تهديداً، وشكوا واشتبهوا بانخراط أتباعه في ممارسات هدامة وغير أخلاقية "كما يُنظر بشك للحركات الدينية الجديدة اليوم". أدت هذه المعارضات أحياناً إلى اضطهاد محلي للمسيحيين وأصبحت هذه الاضطهادات رسمية عندما تدخل الحكام الرومان لاعتقال المسيحيين وإرغامهم على العودة إلى الطرق الوثنية القديمة. ومع نمو المسيحية فقد اهتدى بعض المفكرين إلى الإيمان وكانوا مجهزين لمناقشة وإسقاط التهم الموجهة ضد المسيحيين، تسمى كتابات هؤلاء المفكرين أحياناً بالدفاعات - عن الكلمة اليونانية (Apologia). كتب المدافعون دفاعات فكرية عن الإيمان الجديد محاولين إظهار بعده عن كونه تهديداً للبنية الاجتماعية للإمبراطورية، وأنه كان ديناً يدعو إلى حسن الخلق. وبعيداً عن الخرافات الخطيرة، فإنه يمثل الحقيقة المطلقة في عبادته للإله الوحيد الحقيقي. كانت هذه الدفاعات مهمة للقراء المسيحيين الأوائل، لأنها كانت تزودهم بحجج يحتاجونها عندما يواجههم الاضطهاد. كان هذا النوع من الدفاع موجوداً في فترة العهد الجديد، على سبيل المثال في كتاب بطرس (15:3) "كونوا جاهزين دوماً للدفاع ضد أي شخص يطلب منكم رواية عن الأمل الموجود فيكم". وفي كتاب الأعمال حيث يدافع بولس والآخرون عن أنفسهم ضد اتهامات موجهة ضدهم. وبحلول النصف الثاني من القرن الثاني أصبحت الدفاعات نوعاً شائعاً من الكتابات المسيحية.

سجل الشهداء المسيحيين

في نفس الوقت الذي بدأت فيه كتابة الدفاعات، بدأ المسيحيون بتسجيل روايات عن الاضطهادات والاستشهادات التي حصلت نتيجةً لها. هناك وصف لكلتا الحالتين في العهد الجديد، في كتاب أعمال الرسل حيث تمثل المعارضات ضد الحركة المسيحية، واعتقال الرؤساء المسيحيين وإعدام واحدٍ منهم على الأقل (استيفانوس) جزءً مبهماً من الحكاية (أعمال: 7)، وبدأت سجلات الشهداء في الظهور في وقت لاحق من القرن الثاني. كانت أول واحدة منها هي قصة استشهاد "بوليكارب" الذي كان قائداً مسيحياً مهماً، وكان مطراناً لكنيسة "سميرنا" في آسيا الصغرى، تقريباً على مدى نصف القرن الثاني. إن حكاية موت "بوليكارب" موجودة في رسائل مكتوبةً من قبل أعضاء في كنيسته، مكتوبة لمجتمع آخر، وبعد ذلك بقليل بدأت تظهر روايات شهداء آخرين، كانت هذه الروايات منتشرة أيضاً بين المسيحيين كونها كانت تؤمن تشجيعاً لأولئك الذين كانوا مضطهدين أيضاً من أجل إيمانهم، ودليلاً لكيفية مواجهة التهديد الأكبر بالاعتقال والتعذيب والموت.

الرسائل ضد الهرطقة أو الانشقاق

إن المشكلات التي واجهها المسيحيون لم تكن محصورة بالتهديدات الخارجية من الاضطهاد، حيث كان المسيحيون يعون منذ البداية أن تعدد التفسيرات في حقيقة الدين موجود بين صفوفهم. فعلى سبيل المثال كان الرسول بولس يثور ضد المعلمين المزيفين في رسالته إلى غلاطية. وبقراءة الرسائل الباقية نستطيع أن نرى بوضوح أن هؤلاء المنافسين لم يكونوا من الخارج، لقد

كانوا مسيحيين فهموا الدين بطرق مختلفة أساساً. ولمعالجة هذه المشكلة، قام القادة المسيحيون بكتابة رسائل تعارض هؤلاء المهرطقين (أولئك الذين اختاروا الطريق الخطأ لفهم الدين). وتكاد تكون بعض رسائل بولس الأولى هي أول تمثيل لهذا النوع من المقالات. وأخيراً، أصبح المسيحيون من كل المعتقدات منخرطين في محاولة تأسيس التعليم الحقيقي (المعنى الحقيقي لكلمة أرثوذكس) وأن يعارضوا أولئك الذين أيدوا التعاليم الباطلة. أصبحت هذه المقالات المضادة للانشقاق معلماً هاماً من منظر الأدب المسيحي المبكر، والمثير للاهتمام أن هناك مجموعات من المعلمين المزيفين كتبوا مقالات ضد معلمين مزيفين. لذا فإن المجموعة التي أسست حتى الآن ما يجب على المسيحيين أن يؤمنوا به (أولئك المسؤولين على سبيل المثال عن العقيدة التي وصلت إلينا اليوم) كانت تهاجم بشدة أحياناً من قبل المسيحيين الذين انتهى بهم الأمر بأن يكونوا مزيفين. وقد وصلتنا هذه المعلومات من كشوفات حديثة نوعاً ما لأدب الهرطقة حيث يزعم أولئك المدعوون بالمهرطقين أن وجهة نظرهم هي الصحيحة، وأن قادة الكنيسة الأرثوذكسية هم الخاطئون.

التفسيرات المسيحية الأولى

إن قسماً كبيراً من الجدال حول الإيمان الصحيح، والإيمان الخاطئ يتضمن تفسير النصوص المسيحية، ومن ضمنها "العهد القديم" الذي كان المسيحيون يعتبرونه جزءً من إنجيلهم الخاص، وهذا يظهر مجدداً مركزية النصوص في حياة المجتمعات المسيحية الأولى. وبدأ الكُتّاب المسيحيون في نهاية الأمر بكتابة تفسيرات لهذه النصوص. لم تكن هذه التفسيرات بالضرورة موجهة لِدحض التفسيرات الخاطئة (على الرغم من أن ذلك كان غرضها بشكل عام)، ولكن

أحياناً كان هدفها ببساطة هو الكشف عن معاني هذه النصوص لإظهار اتصالها مع الحياة المسيحية وعقيدتها. ومن المثير للاهتمام أن أول تفسير مسيحي لأي نص في الكتاب المقدس نعرفه كان لشخص يزعم أنه مهرطق. وهو شخص غنوسطي يدعى "هيراكليون"، من القرن الثاني. كان قد كتب تفسيراً لإنجيل يوحنا. وأصبحت هذه التفسيرات والعظات المكتوبة في النصوص شائعة في المجتمعات المسيحية في القرنين الثالث والرابع.

لقد حاولت أن ألخص الأنواع المختلفة من الكتابات التي كانت مهمة لحياة الكنائس المسيحية الأولى، وآمل أن أكون قد بينت أن ظاهرة الكتابة كانت ذات أهمية عظمى للكنائس وللمسيحيين التابعين لها. لقد كانت الكتب هي قلب الديانة المسيحية، على عكس الديانات الأخرى في الإمبراطورية منذ البداية. لقد أعادت الكتب سرد حكايات المسيح ورسله الذين أعاد المسيحيون سردها، زودت الكتب المسيحيين بتعليمات عما يؤمنون به وعن كيفية عيش حياتهم، ربطت الكتب مجتمعات مفرقة بعضها عن بعض جغرافياً لتشكل وحدة عالمية، دعمت الكتب المسيحيين في أوقات اضطهادهم وأعطتهم مثلاً عليا للإيمان ليصمدوا في وجه التعذيب والموت. لم تزودهم الكتب بالنصائح الجيدة فحسب، بل بالتعاليم الصحيحة والإنذارات ضد التعاليم الخاطئة من الآخرين، وحفزت على قبول الإيمان الأرثوذكسي. سمحت الكتب للمسيحيين بمعرفة المعنى الحقيقي للكتابات الأخرى معطيةً دليلاً لما يفكرون به ولكيفية العبادة وكيفية السلوك. كانت الكتب مركزية تماماً في حياة المسيحيين الأوائل.

تشكيل الشريعة المسيحية

أصبحت بعض هذه الكتابات المسيحية في نهاية الأمر لا تعتبر جديرة بالقراءة فحسب، بل ذات ميثاقية مطلقة في الإيمان والممارسات المسيحية، لقد أصبحت الكتاب المقدس.

بداية الشريعة المسيحية

لقد كان تشكيل الشريعة المسيحية من الكتاب المقدس، عملية طويلة جداً. وأنا لست بحاجة إلى أن أدخل في تفاصيلها هنا، وكما أشرت مسبقاً، فإن المسيحيين بدؤوا بتشكيل قانون، آخذين بعين الاعتبار أن مؤسس دينهم كان بنفسه معلماً يهودياً، تقبّل التوراة ككتاب مقدس، إلهي موثوق به. وعلم أتباعه تفسيره لهذا الكتاب، لقد كان المسيحيون الأوائل هم أتباع المسيح الذين قبلوا الكتب اليهودية (التي لم تكن قد اعتبرت شريعة بعد) ككتاب مقدس خاص بهم. أما كُتّاب العهد الجديد، ومن ضمنهم أول كاتب وهو بولس، فقد أشار بكلمة الكتاب المقدس إلى الإنجيل اليهودي، وهو مجموعة الكتب التي أعطاها الرب لشعبه والتي تنبئت بمجيء المخلص يسوع.

على كلٍ، لم يمض وقت طويل قبل أن يبدأ المسيحيون بقبول كتابات أخرى كمكافئات للكتب المقدسة اليهودية. ويمكن أن تكون جذور هذا القبول موجودة في ميثاقية تعاليم المسيح ذاته، حيث أخذ أتباعه تفسيراته للكتاب المقدس على أنها مساوية في الميثاقية لكلمات الكتاب نفسه، ويمكن أن يكون المسيح قد شجع هذا الفهم من الطريقة التي صاغ بها بعض تعاليمه في موعظته على الجبل، فعلى سبيل المثال بدأ المسيح بتلاوة القوانين التي أعطاها الرب لموسى، ثم أعطى تفسيراته الخاصة الأكثر تحرراً مشيراً إلى أن

تفسيره هو موثوق به، وهذا موجود في الإصحاح الخامس من إنجيل متى. يقول المسيح: "لقد سمعتم أنه قيل لا تقتل، ولكن أنا أقول لكم: من غضب على أخيه أو أخته هو جدير بالمحاكمة". إن ما يقوله المسيح في هذا التفسير للشريعة يبدو أنه موثوق كالشريعة نفسها، يقول المسيح: "سمعتم أنه قيل لا تزن، أما أنا فأقول لكم: من نظر إلى امرأة واشتهاها زنا بها في قلبه".

في بعض الأحيان تبدو ميثاقية هذه التفسيرات للكتاب المقدس على أنها تناقض شريعة الكتاب المقدس ذاتها. فعلى سبيل المثال، يقول المسيح: "لقد سمعتم أنه قيل: من طلق امرأته يجب أن يعطيها شهادة طلاق أما أنا أقول لكم من طلق زوجته لغير الزنا جعلها تزني. ومن تزوج مطلقة زنا". من الصعب أن يتبع الشخص تعاليم موسى ويعطي وثيقة طلاق، في حين أن الطلاق ليس متاحاً.

سرعان ما أصبحت تعاليم المسيح ذات ميثاقية تعادل ميثاقية كلام موسى الموجودة في التوراة نفسها. وهذا يتجلى بشكل واضح لاحقاً في فترة العهد الجديد في الرسالة الأولى إلى تيموثاوس التي يفترض أنها كتبت من قبل بولس، ولكنها تعتبر من قبل الباحثين أنها كتبت باسمه بواسطة أحد أتباعه اللاحقين.

يحث الكاتب في (رسالة تيموثاوس الأولى 5: 18) قراءه على أن يدفعوا لأولئك الذين يحكمون بينهم. ويدعم نصحه بالاقتباس من الكتاب المقدس. إن المثير للاهتمام أنه يقتبس فيما بعد من مقطعين أحدهما موجود في التوراة (لا تقن ثوراً دارساً) موجود في تثنية الاشتراع (4:25) والآخر قيل على لسان المسيح: "العامل يستحق أجرته" لوقا (7:10). وهنا يبدو بهذا الكتاب أن كلمات المسيح هي فعلاً مساوية للكتاب المقدس.

لم تكن تعاليم المسيح وحدها هي التي تعتبر كتابية للجيل الثاني أو الثالث من المسيحيين. بل كانت كتابات رسله تعتبر كذلك أيضاً. والدليل على ذلك موجود في الكتاب الأخير الذي كتب في العهد الجديد، رسالة بطرس الثانية (وهو كتابٌ يعتبره أغلب الباحثين أنه كتب في الواقع من قبل أحد أتباع بطرس باسمه)، في رسالة بطرس الثانية، الإصحاح الثالث يشير الكاتب إلى المعلمين المزيفين الذين يحرفون رسائل بطرس وبولس ليجعلوها تقول ما يريدون قوله كما يفعلون بباقي الكتب. رسالة بطرس الثانية (16:3)، حيث يبدو أن رسائل بولس تعتبر هنا على أنها كتاب مقدسٌ.

بعد انتهاء فترة العهد الجديد بقليل أصبحت كتابات مسيحية معينة مصادر للاقتباسات على أنها نصوص موثوق بها لحياة وإيمان الكنيسة. وكمثال صارخ على هذا الأمر نجد رسالة كتبت من قبل بوليكارب، مطران سميرنا المذكور مسبقاً في أوائل القرن الثاني، حيث طَلبت كنيسة فيلبي من بوليكارب النصيحة في بعض الإساءات المالية ضمن الكنيسة (احتمال اختلاس أموال الكنيسة). إن رسالة بوليكارب لأهل فيلبي التي لا تزال موجودة مهمة لعدد من الأسباب، ليس أقلها هو نزعتها إلى الاقتباس من كتابات مبكرة للمسيحيين. حيث اقتبس بوليكارب في أربعة عشر فصلاً موجزاً أكثر من مئة مقطع معروف من هذه الكتابات المسبقة مؤكداً صلاحيتها للحالة التي يواجهها أهل فيلبي (على نقيض مجموعة من الاقتباسات من الكتاب المقدس اليهودي)، حيث يبدو أنه في بعض الأماكن يسمي رسالة بولس إلى أهل أفسس كتاباً مقدساً، ومن الشائع أنه يقتبس ببساطة أو يشير إلى كتابات سابقة مفترضاً ميثاقيتها بالنسبة للمجتمع.

دور الطقوس المسيحية في تشكيل الشريعة

نعرف أنه قبل رسالة بوليكارب بقليل كان المسيحيون يستمعون إلى قراءة من الكتاب المقدس اليهودي في عبادتهم، فعلى سبيل المثال يحث كاتب رسالة تيموثاوس الأولى مستلم الرسالة "واحرص على القراءة والوعظ والتعليم" (13:4). وكما رأينا في حالة الرسالة إلى كولوسي يبدو أن الرسائل المكتوبة من قبل المسيحيين كانت تُقرأ على الجماعات المجتمعة كذلك. ونحن نعرف أنه بحلول نصف القرن الثاني كانت حصة كبيرة من خدمة العبادات المسيحية تتضمن قراءات على الملأ من الكتاب المقدس، وفي مقطع مناقش بكثرة من كتابات المفكر والمدافع المسيحي جاستن الشهيد على سبيل المثال نجد لمحة عما كانت تتضمنه خدمة الكنيسة في مدينته روما:

> *"في اليوم المدعو الأحد يجتمع كل الذين يسكنون المدن أو الريف في مكان واحد، وكانت تقرأ مذكرات الرسل أو الكتابات من الأنبياء، مادام الوقت يسمح بذلك. ثم عندما يتوقف القراء، كان رئيس الجمع يوجه توجيهات كلامية وعظات عن كيفية محاكاة هذه الأفعال الجيدة".*

يبدو من المحتمل أن الاستخدام الطقسي لبعض النصوص المسيحية –على سبيل المثال- مذكرات الرسل التي كانت تعتبر غالباً كأناجيل، رفعت من سويتها لتصبح لدى أغلب المسيحيين مثل الكتب المقدسة اليهودية (كتابات الأنبياء) ذات ميثاقية.

دور مارسيون في تشكيل الشريعة

يمكننا أن نتبع تشكل القانون المسيحي من الكتاب المقدس بشكل أقرب من الأدلة المتبقية. ففي نفس الوقت الذي كان جاستن يكتب فيه في منتصف

القرن الثاني كان هناك مسيحي بارز آخر ناشط في روما، الفيلسوف المعلم مارسيون الذي أعلن فيما بعد أنه مهرطق. مارسيون هو شخصية مهمة بكثير من الطرق، لقد جاء إلى روما من آسيا الصغرى ومعه ثروة يبدو أنه جمعها من صناعة بناء السفن. وعندما وصل إلى روما قدم تبرعاً كبيراً للكنيسة الرومانية، وربما كان السبب هو رغبته في نيل رضاها. وبقي في روما لمدة خمسة سنوات وأمضى الكثير من وقته يدرِّس فهمه للإيمان المسيحي، ويعمل على تفاصيله في العديد من المؤلفات. وكان أكثرَ إنتاجاته الأدبية تأثيراً شيءٌ لم يكتبه هو بل قام بتعديله، مارسيون كان أول مسيحي نعرفه أنتج شريعة حقيقية على شكل كتاب، وهو عبارة عن مجموعة من الكتب التي حاول أن يبرهن أنها تشكل النصوص المقدسة للإيمان.

لمنطقة هذه المحاولة المبدئية لتأسيس القانون يجب أن نعرف القليل عن تعاليم مارسيون المميزة، لقد كان مارسيون مفتوناً تماماً بحياة وتعاليم الرسول بولس الذي اعتبره أنه الرسول الوحيد الحقيقي من الأيام الأولى للكنيسة. وقد علّم بولس في بعض رسائله لروما وغلاطية أن الوصول الحقيقي للرب يأتي فقط بالإيمان بالمسيح، وليس عن طريق القيام بأي من الأعمال الموصوفة في القانون اليهودي. اعتبر مارسيون هذا الاختلاف بين القانون اليهودي والإيمان بالمسيح على أنه استنتاج منطقي، وأن هناك تميزاً تاماً بين الشريعة من جهة والإنجيل من جهة أخرى. كان الاختلاف واسعاً بين الشريعة والإنجيل لدرجة أنهما لا يمكن أن يكونا قد صدرا من نفس الرب. وبالتالي استنتج مارسيون إن إله المسيح (وبولس) لم يكن هو الإله الموجود في العهد القديم، فزعم أنه كان هناك إلهان مختلفان، إله اليهود الذي خلق العالم ودعا إسرائيل

لتكون شعبه المختار وأعطاهم قانونهم القاسي، والإله المسيح الذي أرسله إلى العالم ليخلص الناس من الانتقام الإلهي لإله اليهود الخالق.

آمن مارسيون أن هذا المفهوم عن المسيح قد علمه بولس نفسه. ولذا وبشكل طبيعي تضمنت شريعته الرسائل العشر المكتوبة من قبل بولس و المتوافرة له (كل الرسائل الموجودة في العهد الجديد عدا الرسائل الإنجيلية الرعوية لتيموثاوس الأولى والثانية والرسالة إلى تيطس). وبما أن بولس قد أشار أحياناً إلى إنجيله فإن مارسيون ضمن إنجيلاً في شريعته، وهو نصٌ يعرف الآن بإنجيل لوقا. وكان هذا كل ما يؤلف قانون مارسيون الذي تألف من أحد عشر سفراً. لم يكن هناك عهد قديم، إنجيل واحد وعشرة رسائل إنجيلية. لكن الأمر لم يقف عند هذا الحد. لقد وصل مارسيون إلى اعتقاد أن المؤمنين المزيفين الذين لم يكن لديهم فهمه للإيمان قد نقلوا هذه الأسفار الأحد عشر عن طريق نسخها وعن طريق إضافة أجزاء وقطع هنا وهناك في سبيل تأييد إيمانهم الخاص، مضمنين الاعتقاد الخاطئ إن إله العهد القديم هو نفسه الإله المسيح، ولذا قام مارسيون بتصحيح الأحد عشر سفراً في شريعته عن طريق حذف أية إشارة إلى إله العهد القديم، أو أن الخلق هو فعل الإله الحقيقي، أو أن القانون شيء يجب اتباعه.

كما سنرى فإن محاولة مارسيون في جعل نصوصه المقدسة تطابق تعاليمه بشكل أقرب عن طريق تغيرها لم تكن مسبوقة، فقد قام نساخ الأدب المسيحي الأول قبله وبعده بتغير نصوصهم بشكل عرضي ليجعلوها تقول ما يعتقدون أنها تقوله فعلاً.

الشريعة الأرثوذكسية بعد مارسيون

يعتقد الكثير من الباحثين أنه، وبسبب معارضة المسيحيين لمارسيون، أصبحوا مهتمين بتأسيس معالم ما أصبح شريعة العهد الجديد. من المثير للاهتمام أنه في حقبة مارسيون كان جاستن يستطيع التكلم بشكل مبهم تقريباً عن مذكرات الرسل، دون أن يحدد ما كان مقبولاً من هذه الكتب (التي يفترض أنها أناجيل) من قبل الكنيسة وسبب قبولها. في حين أنه وبعد ما يقارب ثلاثين عاماً قام كاتبٌ مسيحي آخر يعارض مارسيون بشكل مشابه باتخاذ موقف موثوق أكثر. كان ذلك مطران ليون في غول (فرنسا حالياً) أيرينيوس الذي كتب عملاً من خمسة مجلدات ضد المهرطقين مثل مارسيون والغنوسطيين. والذي كان لديه أفكار واضحة جداً عن الكتب التي يجب أن تعتبر ضمن الأناجيل الكنسية.

يقول إيرينيوس في مقطع مستشهد به بشكل متكرر من عمله ضد البدع إن مارسيون وغيره من المهرطقين قد افترضوا بشكل خاطئ أن إنجيلاً واحداً فقط يجب أن يعدَّ كتاباً مقدساً. فالمسيحيون اليهود الذين تمسكوا بصحة الشريعة المستمرة استخدموا إنجيل متى فقط. بينما اعتنقت مجموعات معينة حاولت أن تبرهن على أن المسيح لم يكن المسيح المنتظر إنجيل مرقس. استخدم مارسيون وأتباعه فقط أحد أشكال إنجيل لوقا. واعتنق فريق من الغنوسطيين يدعى الفلانتيين إنجيل يوحنا. كل هذه الفرق أو الجماعات كانت على خطأ، لأنه،

> *"من غير الممكن أن تكون الأناجيل أكثر أو أقل من العدد الذي هي بالأصل عليه.*
>
> *بما أن هناك أربع مناطق في العالم الذي نعيش فيه، وهناك أربع رياح أساسية بينما الكنيسة منتشرة في كل أنحاء العالم. ودعامة الكنيسة وأساسها هو الإنجيل، فإنه من المناسب أن يكون لديها أربع دعامات"*

وبكلمات أخرى أربع زوايا للأرض، أربع رياح، أربع دعامات. ومن الضروري أن يكون هناك أربعة أناجيل.

لذا وبالقرب من نهاية القرن الثاني كان هناك مسيحيون يصرون على أن متى ومرقس ولوقا ويوحنا هي الأناجيل الصحيحة. ولم يكن هناك أقل أو أكثر.

استمر الجدال حول معالم الشريعة لعدة قرون. وبدا أن المسيحيين في غالبيتهم كانوا مهتمين بأن يعرفوا أي كتب يقبلون على أنها موثوقة، وبالتالي يعرفوا أي كتب يجب أن تقرأ في أثناء العبادة وأي كتب يجب أن تتبع ويعتمد عليها كأدلة موثوقة لماهية الإيمان وكيفية التصرف. إن القرارات بشأن أي كتب يجب أن تعتمد بشكل نهائي على أنها قانونية لم تكن تلقائية أو خاليةً من المشكلات. فقد كانت الجدالات طويلة وممدودة وأحياناً قاسية. قد يعتقد الكثير من المسيحيين أن شريعة العهد الجديد قد برزت ببساطة في أحد الأيام بعد موت المسيح بقليل، ولكن لا شيء يمكن أن يكون أبعد عن الحقيقة كما تبين. فإنه يمكن أن نحدد المرة الأولى التي سجل فيها أي مسيحي الكتب السبع والعشرين في كتاب العهد الجديد على أنها كتب العهد الجديد لا أكثر ولا أقل. من المدهش أن هذا المسيحي كان يكتب في النصف الثاني من القرن الرابع، أي تقريباً بعد ثلاثمئة عام من كتابة كتب العهد الجديد ذاتها. كان المؤلف هو مطران الإسكندرية القوي المسمى أثناسيوس، حيث كتب في عام 367م الرسائل الرعوية السنوية للكنائس المصرية تحت رعايته، وضمن فيها نصيحته فيما يتعلق بالكتب التي يجب أن تقرأ على أنها كتاب مقدس في الكنائس، تضمنت لائحته كتبنا السبعة والعشرين مستثنياً كل ما عداها. إن هذا هو أول دليل باقٍ على أي شخص يؤكد مجموعتنا من الكتب التي تشكل

العهد الجديد. وحتى أثناسيوس لم ينهِ هذه المشكلة ، فقد استمرت الجدالات لمدة عقود بل قرون. فإن الكتب التي ندعوها اليوم بالعهد الجديد لم تجمع سوية في قانون واحد وتعتبر كتاباً مقدساً بشكل نهائي ومطلق حتى بعد مرور مئات السنين على كتابة الكتب نفسها للمرة الأولى.

قراء الكتابات المسيحية

في الجزء السابق ركزت نقاشنا على تقنين الكتاب المقدس. وكما رأينا في كل الأحوال فإن العديد من الكتابات كانت تكتب وتقرأ من قبل المسيحيين في القرون الأولى ، وليس فقط الكتب التي وصلت إلى العهد الجديد ، كان هناك أناجيل أخرى وكتب أعمال ورسائل إنجيلية ورؤى بشأن القيامة ، كان هناك سجلات للاضطهاد وروايات عن الشهادة ودفاعات من أجل الإيمان وأنظمة كنسية وهجومات على المهرطقين ، رسائل وعظ وتعليمات وتفسير للكتاب المقدس. مجال واسع من الأدب ساعد على تعريف المسيحية وجعلها الدين الذي وصلت إليه. وسيكون مفيداً لنقاشنا في هذه المرحلة أن نسأل سؤالاً عن كل هذه المؤلفات الأدبية ، من كان يقرؤها في الواقع؟

قد يبدو هذا السؤال في العالم المعاصر غريباً بعض الشيء ، فإذا كان المؤلفون يكتبون كتباً للمسيحيين فإن الناس أو الأشخاص الذين يقرؤون هذه الكتب سيكونون بشكل مفترض هم المسيحيين. ولكن عندما يسأل عن العالم القديم فإن هذا السؤال لديه تفرد خاص ، لأنه في العالم القديم كان أغلب الناس غير قادرين على القراءة.

إن معرفة القراءة والكتابة هو أسلوب حياة لنا في العالم المعاصر. نحن نقرأ طوال الوقت. كل يوم ، نقرأ الجرائد والمجلات والكتب من كل الأنواع ، سير

حياة، روايات، كتب عن كيفية صنع الأشياء، كتب مساعدة ذاتية، كتب حمية، كتب دينية، كتب فلسفية، تاريخ، مذكرات وهكذا. لكن سهولة تعاملنا مع اللغات المكتوبة اليوم لها علاقة ضئيلة بممارسة القراءة والواقع في القدم.

أظهرت دراسات عن قدرة القراءة أن ما نعتقد أنه قدرة جماعية على القراءة هو ظاهرة معاصرة. ظاهرة برزت مع بداية الثورة الصناعية، فقط عندما أدركت الأمم الفائدة الاقتصادية لجعل كل شخص قادراً على القراءة أصبحوا راغبين في تكديس مصادر ضخمة - خاصة الوقت والمال والمصادر البشرية- لضمان أن كل شخص قادر على القراءة بشكل أساسي. في المجتمعات غير الصناعية كانت هذه المصادر ضرورية في أماكن أخرى، والقدرة على القراءة لم تساعد الاقتصاد أو رفاهية المجتمع ككل. وكنتيجة لذلك فإن كل هذه المجتمعات تقريباً تحوي على أقلية صغيرة من الناس القادرين على القراءة والكتابة.

هذا الأمر ينطبق أيضاً على المجتمعات القديمة التي نربطها بالقراءة والكتابة - على سبيل المثال روما في أثناء الحقبة المسيحية الأولى وأيضاً اليونان في الفترة الكلاسيكية- وفي أفضل دراسة وأكثرها تأثيراً عن التعليم في المجتمعات القديمة التي أجريت من قبل أستاذ جامعة كولومبيا وليم هاريس تشير أنه في أفضل الأماكن والأزمنة -على سبيل المثال- أثينا في قمة الفترة الكلاسيكية في القرن الخامس قبل الميلاد كانت نسبة المتعلمين نادراً ما تكون أعلى من عشرة أو خمسة عشر في المئة من عدد السكان، ولعكس الأرقام فإن هذا يعني أنه، وتحت أفضل الظروف، فإن خمسة وثمانين إلى تسعين بالمئة من عدد السكان كانوا غير قادرين على القراءة والكتابة. في القرن المسيحي

الأول وعلى امتداد الإمبراطورية الرومانية فإن نسب المتعلمين يمكن أن تكون أخفض من ذلك.

كما تبين فإن تحديد معنى القراءة والكتابة هو عمل معقد جداً. فعلى سبيل المثال العديد من الأشخاص يمكنهم القراءة، ولكنهم غير قادرين على تركيب جملة. وما الذي يعنيه أن يكون الناس متعلمين؟ هل يقال إنهم متعلمون إذا استطاعوا أن يفهموا الرسوم المتحركة ولكنهم لم يستطيعوا أن يقرؤوا الصفحة الافتتاحية؟ هل يمكن أن يقال إن الناس قادرين على الكتابة إذا استطاعوا أن يوقعوا اسمهم، ولكنهم لم يستطيعوا أن ينسخوا صفحة من النص؟

إن مشكلة التحديد واضحة أكثر عندما نتجه إلى العالم القديم حيث عانى الأقدمون أنفسهم من صعوبة في تحديد معنى أن يكون الشخص متعلماً. ويأتي أحد أكثر الأمثلة توضيحاً من مصر في القرن الميلادي الثاني. منذ القدم، وبما أن معظم الناس كانوا غير قادرين على الكتابة والقراءة، كان هناك قراءٌ وكتابٌ محليون يؤجرون خدماتهم للناس الذين كانوا بحاجة إلى القيام بأعمال تتضمن نصوصاً مكتوبة، مثل: إيصالات الضرائب، وعقود قانونية، وتراخيص، ورسائل شخصية، وما شابه ذلك. في مصر كان هناك موظفون رسميون موكلون بمهمة الإشراف على مهام حكومية معينة تتطلب الكتابة. لم تكن هذه الخدمات كالنساخ المحليين أو في القرية تطلب عادة كما هو الحال في مراكز الإشراف الرسمية، فإن الناس الذين يطلبونهم كانوا مسؤولين عن الدفع لهم من جيوبهم الخاصة هذه الأعمال. بكلمات أخرى كانت مخصصة للأفراد الأكثر ثراء في المجتمع وتابعت وحملت معها هذا الوضع، ولكنها كانت تتطلب إنفاقاً من الأموال الشخصية.

المثال الذي يوضح مشكلة تعريف التعلم يتضمن ناسخاً مصرياً يدعى بتاوس من قرية كرانيس في مصر العليا. وكما كان يحدث غالباً فقد عين بتاوس لمهام في قرية أخرى تولوميس هورمو حيث كلف بالإشراف على الشؤون المالية والزراعية. وفي عام 184م كان على بتاوس أن يستجيب لبعض الشكاوي على ناسخ آخر في قرية تولوميس هورمو رجل يدعى أسخريون وكان قد عين في مكان آخر ليتولى مهام النسخ. كان القرويون في منطقة أسخريون مستائين لأنه لم يكن يستطيع تأدية مهامه حيث إنه كما اتهموه أنه أمي. ولمعالجة هذا النقاش قال بتاوس إن أسخريون ليس أمياً على الإطلاق لأنه قد وقع باسمه في عدد من الوثائق الرسمية، وبكلمات أخرى فإن التعليم بالنسبة لبتاوس كان يعني بكل بساطة قدرة الفرد على التوقيع باسمه.

كان بتاوس نفسه يعاني من صعوبات في القيام بأكثر من ذلك. هذا وإننا نملك قطعة من ورق البردي حيث تدرب عليها بتاوس على كتابته، وكتب عليها اثنتي عشرة مرة هذه الكلمات، باللغة اليونانية التي كان يجب أن يوقع بها على الوثائق الرسمية. "أنا بتاوس ناسخ القرية أُقر بذلك". وكان من الغريب أنه نسخ الكلمات بشكل صحيح في المرات الأربع الأولى ولكن في المرة الخامسة نسي الحرف الأول من الكلمة الأخيرة، وفي المرات السبع الباقية تابع نسيان ذلك الحرف، وهذا دليل على أنه كان يكتب كلمات لا يعرفها، ولكنه كان ببساطة ينسخ عن السطر السابق. كان من الواضح أنه لا يستطيع قراءة حتى الكلمات البسيطة التي كان يضعها على الورقة. وقد كان هو الناسخ الرسمي المحلي.

فإذا عددنا بتاوس ضمن الناس المتعلمين في القدم، فكم عدد الناس الذين يستطيعون فعلاً قراءة النصوص وفهم ما تريد قوله. من المستحيل أن

نستطيع إيجاد رقم دقيق، ولكن يبدو أن النسبة لن تكون مرتفعة جداً. هناك أسباب للاعتقاد أنه ضمن المجتمعات المسيحية كانت الأعداد ستكون أخفض من الأماكن ذات عدد السكان الكبير، وكان سبب ذلك كما يبدو أن المسيحيين وخاصة في الحركة الأولى كانوا يأتون من الطبقات الأخفض وغير المثقفة. كان هناك دائماً استثناءات بالطبع، كالرسول بولس وعدد آخر من الكتاب الذين وصلت أعمالهم إلى العهد الجديد والذين كانوا كما هو واضح كتاباً موهوبين، ولكن بشكل أكبر كان المسيحيون يأتون من صفوف الأميين.

إن هذا حقيقي جداً بالنسبة للمسيحيين الأوائل، الذين كانوا مع المسيح أو مع رسله. ففي الروايات الإنجيلية كان معظم أتباع المسيح قرويين بسطاء من الجليل، وصيادين غير مثقفين. على سبيل المثال، اثنان منهم بطرس ويوحنا، قيل عنهما بوضوح إنهما أميان في كتاب الأعمال (13:4) يشير الرسول بولس إلى رعيته في كورنثوس إنه "ليس العديد منكم حكماء بالمقاييس البشرية" (رسالة كورنتوس الأول (27:1)) مما قد يعني أن القليل منهم كانوا مثقفين، وليس الغالبية. وعند توجهنا إلى القرن الثاني الميلادي لا يبدو أن الأشياء قد تغيرت بشكل كبير. كما أشرت فإن بعض المفكرين قد اهتدوا إلى الإيمان، ولكن معظم المسيحيين كانوا من الطبقات غير المثقفة من المجتمع.

تأتي الأدلة على وجهة النظر هذه من مصادر عدة. ومن أهمها معارض وثني للمسيحيين اسمه كليسوس عاش في نهاية القرن الثاني. كتب كليسوس كتاباً يدعى *"الكلمة الحقيقية"* هاجم به المسيحية في عدد من النقاط محاولاً أن يبرهن أنها كانت ديناً غبياً وخطراً يجب أن يمحى عن وجه

الأرض. لسوء الحظ نحن لا نملك كتاب "*الكلمة الحقيقية*" ذاته، كل ما نملكه هو اقتباسات منه في كتابات واحد من أشهر آباء الكنيسة، أوريغون الذي عاش بعد كليسوس قرابة خمس وسبعين سنة وطلب منه أن يكتب رداً على اتهامه، نجا كتاب أوريغون المسمى "*ضد كليسوس*"، وهو مصدر معلوماتنا الرئيسي لما قاله ناقد متعلم مثل كليسوس في كتابه الموجه ضد المسيحية. وأحد أهم مزايا كتاب أوريغون هو أنه يقتبس من عمل كليسوس السابق سطراً بسطر قبل أن يعرض رده عليه. وهذا يسمح لنا بأن نعيد تشكيل اتهامات كليسوس بشيء من الدقة، أحد هذه الادعاءات أن المسيحيين جاهلون، وهم أشخاص من الطبقات الدنيا من المجتمع. أما الشيء الصادم فهو أن أوريغون في رده لا ينكر ذلك. وبالنسبة للاتهامات التالية المعطاة من قبل كليسوس إن وصايا المسيحيين هي كالتالي:

لا تدعوا أحداً مثقفاً ولا حكيماً ولا ذا منطق يقترب منكم، لأن هذه القدرات يعتقد أنها من الشرير. ولكن بالنسبة لأي شخص جاهل وغبي وغير مثقف، وأي شخص يشبه الأطفال فليتقدم بجرأة. (ضد كليسوس 3.44).

هذا ونرى أولئك الذين يعرضون معرفتهم السرية بالأسواق ويتسولون لن يدخلوا أبداً إلى تجمع لرجال أذكياء، ولن يتجرؤوا على كشف معتقداتهم النبيلة في حضورهم. ولكن عندما يرون صبية صغاراً أو مجتمع عبيد أو مجموعة من الأغبياء فإنهم يدفعون أنفسهم نحوهم ويتباهون (ضد كليسوس 3.50).

في البيوت الخاصة ترى أيضاً عمال الصوف والإسكافين وعمل الغسيل وأكثر الفلاحين جهلاً الذين لن يجرؤوا على أن يقولوا أي شيء على

الإطلاق في مواجهة كبارهم أو أسيادهم الأكثر ذكاءً، ولكن عندما يختلون بالصغار أو مع بعض النسوة الغبيات فإنهم يطلقون تصريحات مذهلة. فعلى سبيل المثال: يقولون إنهم يجب ألا ينتبهوا إلى آبائهم أو لمعلميهم في المدرسة، ...؛ هؤلاء يتكلمون بدون منطق وليس لديهم أي فهم. ولكن إن كانوا يرغبون، يجب أن يتركوا آباءهم ومعلميهم ويذهبوا برفقة النساء والأطفال الصغار الذين يشاركونهم في اللعب إلى دكان عامل الصوف أو الإسكافي أو الغسالة وهناك سيتعلمون الكمال وبقولهم ذلك يقنعونهم". (ضد كليسوس 3.56).

يرد أوريغون أن المسيحيين المؤمنين الحقيقيين هم في الواقع حكماء (وبعضهم ذو تعليم عالي)، ولكنهم حكماء فيما يختص بالرب وليس فيما يختص بالأمور الدنيوية. ولكنه لا ينكر بكلماته الأخرى أن المجتمع المسيحي كان يتشكل بأعظمية من الصفوف الدنيا وغير المثقفة من المجتمع.

القراءات العامة للمسيحية القديمة

يبدو أن لدينا وضعاً متناقضاً في المسيحية الأولى، لقد كانت ديانة كتابية مع كل هذه الأنواع من الكتابات التي تبرهن على أهميتها لجميع جوانب الإيمان تقريباً. ومع ذلك فإن معظم الشعب كان غير قادر على قراءة هذه الكتابات. كيف نستطيع معالجة هذا التناقض؟

في الواقع، فإن المسألة ليست بهذه الغرابة. فإذا تذكرنا ما قد لمحنا إليه من قبل أن المجتمعات من كل الأنواع ومن القدم استخدمت بشكل عام خدمات المتعلمين لصالح الأميين، بالنسبة للعالم القديم. فإن قراءة كتاب لا تعني عادةً أن يقوم بقراءته الشخص بنفسه، إن ذلك يعني قراءته بصوت عالٍ

للآخرين، يمكن أن يقول أحدهم إنه قد قرأ كتاباً، ويكون في الواقع قد سمعه يُقرأ من قبل الآخرين. لا يبدو أن هناك طريقة للتخلص من الاستنتاج أن الكتب -بالرغم من أهميتها للحركة المسيحية الأولى- كانت تقرأ دائماً تقريباً بصوت عالٍ في الاجتماعات الاجتماعية وفي اجتماعات العبادة.

يجب أن نتذكر هنا أن بولس يطلب من مستمعيه في تسالونيكي أن تُقرأ رسالته على جميع الأخوة والأخوات، يمكن أن يكون هذا قد حدث بشكل واسع في المجتمع. وكتب مؤلف رسالة كولوسي "وعندما تقرأ هذه الرسالة احرص أن تقرأها في كنيسة لاوديكيا، وأن تقرأ الرسائل المكتوبة إلى لاوديكيا أيضاً" وتذكر أيضاً تقرير جاستن الشهيد "في اليوم الذي يدعى الأحد، كل الذين يعيشون في المدن والريف يتجمعون سوية في مكان واحد. وتقرأ مذكرات الرسل وكتابات الأنبياء، طالما يسمح الوقت بذلك". كان الأمر نفسه ينطبق على الكتابات المسيحية الأولى. فعلى سبيل المثال يخبرنا سفر الرؤيا "مبارك الذي يقرأ كلمات النبوءة، ومبارك الذي يسمعها" ومن الواضح أنه يشير إلى القراءة العامة لهذا النص. وفي الكتاب الأقل شهرة المدعو كليمنت الثاني من منتصف القرن الثاني يشير الكاتب في إشارة إلى كلماته "أنا أقرأ عليكم بالانتباه إلى ما كتب، كي تستطيعوا إنقاذ أنفسكم وإنقاذ الذي يقرأ عليكم" (كليمنت 1:19).

بالمختصر، فإن الكتب كانت ذات أهمية عالية في بداية المسيحية، كانت تقرأ في معظم الأوقات بصوت عالٍ من قبل أولئك الذين كانوا قادرين على القراءة، كي يستطيع الأميون سماعها وفهمها وحتى دراستها. وعلى الرغم من واقع أن المسيحية الأولى كانت تتشكل وبشكل واسع من مؤمنين أميين لقد كانت ديانة ذات أدب كبير.

يجب مناقشة مواضيع مهمة أخرى إذا كانت الكتب مهمة لهذه الدرجة من المسيحية الأولى إذا كانت تقرأ على المجتمعات المسيحية حول المتوسط كيف كانت المجتمعات تحصل على هذه الكتب؟ كيف كانت توزع؟ لقد كانت في الأيام التي سبقت عصر النشر والوسائط الإلكترونية للطباعة أو حتى الطباعة بالحروف المتحركة، لقد كانت مجتمعات المؤمنين قد حصلت على نسخ من كتب مسيحية متعددة، كانت متداولة، فكيف حصلوا على هذه النسخ؟ من كان يقوم بالنسخ؟ والأكثر أهمية لموضوع بحثنا كيف يمكننا (أو يمكنهم) أن يعرفوا أن النسخ التي ملكوها كانت دقيقة، وأنها لم يطرأ عليها أي تعديل في عملية النسخ؟



صفحة من Codex Vaticanus تعود إلى القرن الرابع، مع ملاحظة على الهامش (بين العمودين الأول والثاني) يذم سلفه لتغييره للنص: "غبي وأحمق دع القراءة القديمة وشأنها لا تغيرها!"

2

نساخ الكتابات المسيحية الأولى

كما رأينا في الفصل الأول، فإن المسيحية في بدايتها الأولى كانت ديناً أدبياً مع وجود الكتب التي كانت تلعب دوراً هاماً في حياة وإيمان المجتمعات المسيحية النامية حول المتوسط. إذاً كيف كان يوزع هذا الأدب المسيحي؟ الجواب بالطبع فإنه بغرض وضع الكتاب ضمن التوزيع بشكل واسع فإنه يجب أن ينسخ.

النسخ في العالم اليوناني الروماني

إن الطريقة الوحيدة لنسخ كتاب في العالم القديم كان بواسطة الكتابة اليدوية حرفاً بحرف وكلمة بكلمة في كل مرة. وكانت عملية بطيئة ومجهدة، ولكن لم يكن هناك بديل. وبما أننا معتادون اليوم على رؤية نسخ متعددة من الكتب تظهر على رفوف سلاسل المكتبات الكبرى في البلاد بعد أيام معدودة من صدورها فإننا نتوقع بكل بساطة أن نسخة من الكتاب —على سبيل المثال- "*دافنشي كود*" ستكون مماثلة تماماً لجميع النسخ الأخرى، ولن تتغير أي كلمات منها. وسيكون الكتاب نفسه مهما كانت النسخة التي تقرؤها، لكن الأمر لم يكن كذلك في العالم القديم. فكما أن الكتب لم يكن من الممكن توزيعها بالجملة دون شاحنات أو طائرات أو سكك حديد،

فلم يكن هناك إمكانية لإنتاج الكتب بالجملة (بسبب عدم وجود مطابع). وبما أنها كانت يجب أن تنسخ باليد واحداً في كل مرة وببطء وبجهد كبير، فإن معظم الكتب كانت غير منتشرة بشكل واسع. وتلك الكتب قليلة العدد التي كانت منتجة بنسخ متعددة كانت غير متشابهة، لأن النساخ الذين نسخوا النصوص قاموا بتعديلات محكمة في تلك النصوص مغيرين كلمات نسخوها عن طريق الصدفة (بسبب زلة قلم أو قلة في الانتباه) أو عن سابق تصميم (عندما يغير ناسخ كلمة ينسخها عن عمد). ولم يكن أي شخص يقرأ كتاباً في القدم واثقاً بالكامل أنه يقرأ ما كان الكاتب قد كتبه، يمكن أن تكون الكلمات قد تغيرت في الواقع. إن هناك احتمالاً كبيراً أن تكون قد تغيرت حتى ولو بشكل ضئيل.

اليوم فإن الناشر يصدر عدداً من الكتب إلى الجمهور بأن يرسلها إلى المكاتب. ولكن بالعالم القديم، وبما أن الكتب لم تكن تنتج بأعداد كبيرة ولم يكن هناك شركات نشر ومكاتب، فقد كانت الأمور مختلفة. فعادةً ما كان الكاتب يكتب كتاباً ويكون لديه مجموعة من الأصدقاء يقرؤونه أو يستمعون إليه وهو يقرأ بصوت عالٍ. وهذا كان سيؤمن فرصة لتحرير بعض محتوى الكتاب. ثم عندما ينهي المؤلف الكتاب يقوم بصنع عدة نسخ للأصدقاء والمعارف. وكان هذا عندئذ هو عملية النشر عندما لا يكون الكتاب بعد الآن تحت تحكم مؤلف وحده بل بين يدي الآخرين. فإذا أراد هؤلاء الآخرون أن يحصلوا على نسخ إضافية -لإعطائها إلى أفراد عائلة آخرين أو لأصدقاء- فإن عليهم أن يرتبوا للحصول على نسخ منها للنقل عن طريق ناسخ محلي، الذي كان يصنع النسخ ليكسب عيشه، أو من قبل عبد متعلم ينسخ النص كجزء من واجباته المنزلية.

نحن نعرف أن هذه العملية قد تكون بطيئة وغير دقيقة بشكل مثير للجنون، وأن النسخ المصنوعة بهذه الطريقة قد ينتهي بها المطاف بأن تكون مختلفة عن النسخ الأصلية. وتأتينا شهادات من الكُتاب القدماء بأنفسهم. وهنا سوف أذكر بعض أمثلة مثيرة للاهتمام من القرن الأول للميلاد، ففي مقالة شهيرة عن مشكلة الغضب يشير الفيلسوف الروماني سينيكا أن هناك اختلافاً بين الغضب الموجه لما قد سبّب لنا الأذى، والغضب بسبب شيء لا يستطيع أن يؤذينا. ولتوضيح الفئة الثانية يذكر "أشياء جامدة معينة كالمخطوطات التي نرميها غالباً بعيدةً عنا بسبب أنها مكتوبة بخط صغير جداً، أو نمزقها لأنها مليئة بالأخطاء". لا بد أنها كانت تجربة محبطة، أي قراءة نص مليء بالأخطاء الطباعية، أي أخطاء الناسخ، بشكل كافٍ لتشتيت القارئ.

يأتينا مثال ظريف من قصائد الشاعر الروماني الظريف مارشال الذي، في إحدى قصائده، يُعلم قراءه:

عزيزي القارئ إذا وجدت في أي قصيدة من هذه الأوراق غموضاً أو لاتينيةً غير سليمة فإن الخطأ ليس خطئي، إن الناسخ قد أفسدها بسبب استعجاله لكي يتم لك قصته عن هذه الأشعار. ولكن إذا اعتقدت أنه ليس خطأه بل خطئي عندها سوف أؤمن أنك ليس لديك ذكاءً. "انظر إنها سيئة" كما لو أنني أنكرت ما هو واضح! إنها سيئة، ولكنك لا تستطيع القيام بما هو أفضل.

إن نسخ النصوص سمح لاحتماليات من الأخطاء اليدوية، وهذه المشكلات كانت معروفة بشكل واسع عبر القدم.

النسخ في الدوائر المسيحية الأولى

هناك عدة إشارات في النصوص المسيحية الأولى تشير إلى نشاطات النسخ. وأحد أكثر هذه الأمثلة إثارة يأتي من نص مشهور في القرن الثاني يدعى الراعي لـ هرمس. وقد قُرِئ هذا الكتاب بشكل واسع من القرن الثاني إلى الرابع الميلادي. واعتقد بعض المسيحيين أنه يجب أن يعتبر جزءاً من القانون. إنه متضمن كأحد أسفار العهد الجديد على سبيل المثال، في واحدة من أقدم المخطوطات الناجية المخطوطة الشهيرة من القرن الرابع Codex Sinaiticus. وفي ذلك الكتاب يتلقى رسول مسيحي اسمه هرمس مجموعة من الرؤى، بعضها يخص المستقبل، وبعضها الآخر يخص الحياة الشخصية والاجتماعية للمسيحيين في ذلك العصر. وفي بداية الكتاب (إنه كتاب طويل أطول من أي كتاب آخر وصل إلى العهد الجديد) رأى هرمس رؤيا لمرأة مسنة بشكل ملائكي يرمز إلى الكنيسة المسيحية تقرأ بصوت عالٍ من كتاب صغير، وتطلب من هرمس أن يوصل الأشياء التي سمعها إلى رفاقه المسيحيين. فأجاب أنه لا يستطيع تذكر أي شيء قرأته. ويسألها "أعطيني الكتاب لكي أنسخ منه". وأعطته الكتاب. ثم يقول بعد ذلك:

"أخذته وذهبت بعيداً إلى الطرف الآخر من الحقل حيث نسخته كله حرفاً بحرف، لأنني لم أستطع أن أميز بين المقاطع. ثم عندما أنهيت حروف الكتاب اختفى فجأة من يدي، ولم أعرف من أخذه"

وبرغم من كونه كتاباً صغيراً لا بد أنها كانت عملية صعبة نسخُه حرفاً بحرف. وعندما يقول هرمس إنه لم يكن يستطيع التمييز بين المقاطع فإنه قد يشير إلى أنه لم يكن موهوباً في القراءة. وأنه لم يتدرب كناسخ محترف كشخص يستطيع قراءة النصوص بطلاقة. إحدى مشكلات النصوص

اليونانية القديمة (التي تتضمن جميع الكتابات المسيحية الأولى ومن ضمنها تلك الموجودة في الكتاب المقدس في العهد الجديد) أنها عندما نسخت لم تستخدم أية علامات ترقيم ولا علامات تمييز بين الحروف الصغيرة والكبيرة. والأغرب من ذلك بالنسبة للقراء المعاصرين دون فراغات لتفصل الكلمات بعضها عن بعض. إن هذا النوع من الكتابة المتصلة يسمى Scriptuo Continua ، ومن الواضح أنه يجعل من الصعب أحياناً القراءة ناهيك عن فهم النص، إن الكلمات (Godisnowhere) تعني للمؤمنين (God is now here) (الرب هنا الآن) وتعني للملحدين (God is nowhere) (الرب غير موجود).

عندما يقول هرمس إنه لم يكن باستطاعته تمييز المقاطع يشير بوضوح إلى أنه غير قادر على قراءة النص بطلاقة، لكنه يستطيع أن يميز الحروف. وبالتالي نسخها حرفاً بحرف. من الواضح أنك إن كنت لا تعرف ما تقرؤه فإن إمكانية اقترافك للأخطاء في نقل النص تتضاعف.

يشير هرمس إلى النسخ في مكان آخر لاحقاً في رؤياه، حيث تأتي إليه المرأة المسنة مجدداً وتسأله فيما إذا كان قد سلّم الكتاب الذي نسخه إلى قادة الكنيسة. فيجيب أنه لم يقم بذلك، فتخبره:

" حسناً ما فعلت. لأن لدي بعض الكلمات لأضيفها. ثم عندما أنتهي من الكلمات ستصبح معروفة عن طريقك لكل أولئك المختارين، ثم سوف تكتب كتابين صغيرين مرسلاً واحداً منهم إلى كليمنت والآخر إلى كرابتي. سيرسل كليمنت كتابه إلى المدن الأجنبية، لأن تلك مهمته. أما كرابتي فسوف تحذر الأرامل واليتامى. وأنت سوف تقرأ كتابك في المدينة مع الكهنة الذين يقودون هذه الكنيسة".

بالتالي فإن النص الذي نسخه هرمس كان لديه بضع إضافات يجب أن تنجز. وكان عليه أن يصنع منه نسختين. وإحدى هاتين النسختين كانت ستذهب إلى رجل يدعى كليمنت، وهو شخص ربما يكون معروفاً من نصوص أخرى، لأنه المطران الثالث لمدينة روما. ومن المحتمل أن يكون هذا قبل أن يصبح رئيساً للكنيسة. وكما يبدو هنا فإنه قد كان المراسل الأجنبي لمجتمع روما المسيحي. هل يعقل أنه كان موظف النسخ الرسمي الذي كان ينسخ نصوصهم؟ وكانت النسخة الأخرى ستذهب إلى امرأة اسمها كرابتي، ومن المحتمل إنها ناسخة أيضاً، ربما واحدة من الذين يصنعون نسخاً عن النصوص لبعض أعضاء الكنيسة في روما. كان هرمس نفسه مكلفاً بقراءة نسخته من الكتاب لمسيحيي ذلك المجتمع (الذين كانوا معظمهم أميين وغير قادرين على قراءة النص بنفسهم). ومع ذلك تبقى كيفية قيامه بذلك مع أنه لا يستطيع أن يميز المقاطع أحدها من الآخر غامضة.

هنا تحصل عندها على لمحة واقعية عما كانت عليه عمليات النسخ في الكنيسة الأولى. ونفترض أن الوضع كان مشابهاً في الكنائس العديدة المنتشرة في منطقة المتوسط، على الرغم من أنه ليس هناك كنيسة كبيرة كتلك الموجودة في روما. إن عدداً من الأعضاء المختارين كانوا نساخاً للكنيسة. وبعضهم كان أكثر تمرساً من الآخرين. يبدو أن كليمنت كان يقوم بنشر الأدب المسيحي على أنه واحدٌ من مهماته. وهرمس يقوم بهذه المهمة ببساطة، لأنها في هذه المناسبة كانت موكلة إليه. والنسخ عن هذه النصوص التي تنتج من قبل الأعضاء المتعلمين لهذه الرعية (بعضهم متعلم أكثر من الآخرين) تقرأ فيما بعد للرعية ككل.

ماذا يمكننا أن نقول بعد عن هؤلاء النساخ في المجتمعات المسيحية. نحن لا نعرف بالضبط من هما كرابتي وكليمنت، على الرغم من أننا نملك

معلومات إضافية عن هرمس فهو يتكلم عن نفسه كعبد سابق. من الواضح أنه كان متعلماً ومثقفاً بشكل جيد. لم يكن واحداً من قادة الكنيسة في روما (ليس من الكهنة) على الرغم من وجود حديث لاحق عن أن أخاه كان رجلاً يدعى بيوس أصبح مطراناً في كنيسة روما في منتصف القرن الثاني. وإذا كان ذلك صحيحاً فمن الواضح أن العائلة كانت قد أصبحت ذات مكانة في المجتمع المسيحي حتى مع كون هرمس عبداً في وقت من الأوقات. وبما أنه من الواضح أن الناس المثقفين وحدهم هم المتعلمون، ومن الواضح أن الثقافة كانت تعني امتلاك الناس للراحة المادية الضرورية للقيام بذلك (ما لم يتدرب المرء على الكتابة أو القراءة أثناء كونه عبداً)، يبدو أن النساخ المسيحيين الأوائل كانوا الأغنى والأعلى ثقافة في المجتمعات المسيحية الذين كانوا يعيشون فيها.

كما رأينا فإنه خارج المجتمعات المسيحية في العالم الروماني كانت النصوص تنسخ بشكل واسع، إما من قبل نساخ محترفين، أو من قبل عبيد مثقفين كانوا موكلين بهذا العمل ضمن المنزل. وكان هذا يعني ضمن أشياء أخرى أن الناس الذين كانوا ينتجون النصوص عبر الإمبراطورية لم يكونوا كقاعدة هم الناس الذين أرادوا تلك النصوص. لقد كان النساخ ينتجون النصوص للآخرين بشكل واسع. وأحد الاكتشافات الحديثة المهمة، أن الباحثين الذين درسوا النساخ المسيحيين الأوائل وجدوا أن الوضع كان على العكس تماماً بالنسبة لهم. يبدو أن المسيحيين الذين ينسخون النصوص كانوا يريدونها لنفسهم فإما أنهم كانوا ينسخونها لاستخداماتهم الشخصية أو الجماعية، أو كانوا يقومون بذلك من أجل الآخرين في مجتمعهم. وبالمختصر فإن الناس الذين كانوا ينسخون النصوص في بداية المسيحية لم يكونوا

معظمهم أو كلهم محترفين ينسخون النصوص في سبيل كسب العيش، على سبيل المثال هرمس. لقد كانوا بكل بساطة أناساً متعلمين في الرعايا المسيحية كان بإمكانهم صنع نسخ (بما أنهم متعلمون)، وكانوا يريدون ذلك.

بعض أولئك الناس -أو معظمهم؟- يمكن أن يكونوا رؤساء للمجتمعات ولدينا أسباب تدفعنا للاعتقاد أن قادة المسيحيين الأوائل كانوا من بين الأعضاء الأكثر ثراء للكنيسة. وبالتالي كانت الرعية تجتمع في منازلهم (لم يكن هناك أي بناء كنسي معروف في القرنين الأول والثاني) وفقط بيوت الأعضاء الأكثر ثراء ستكون كبيرة بشكل كافٍ لتتسع لعدد كبير من الناس، بما أن معظم الناس كانوا يعيشون في شقق صغيرة، ولن يكون من غير منطقي أن نستنج أن الشخص الذي كان يؤمن المنزل كان يؤمن أيضاً القيادة للكنيسة، كما هو مبين في عدد من رسائل المسيحية التي وصلت إلينا والتي يقوم الكاتب فيها بتحية فلان وفلان (الكنيسة التي تجتمع في بيته). ربما كان أصحاب البيوت الأغنياء هؤلاء مثقفين أكثر، وبالتالي فليس من المستغرب أنه في بعض الأحيان يكلفون بقراءة الأدب المسيحي لرعاياهم كما رأينا في المثال في رسالة تيموثاوس الأولى 13:4. فهل يمكن أن قادة الكنيسة كانوا مسؤولين -معظم الوقت- عن نسخ الأدب المسيحي الذي كان يقرأ في الرعايا؟

مشكلات في نسخ النصوص المسيحية الأولى

لأن النصوص المسيحية الأولى لم تكن تنسخ من قبل نساخ محترفين على الأقل في القرنين الثاني والثالث في الكنيسة، ولكن ببساطة من قبل أعضاء مثقفين من الرعية المسيحية كانوا قادرين على القيام بالعمل وكانوا راغبين،

يمكن أن تتوقع أنه في النسخ الأولى بالتحديد فإن اقتراف الأخطاء كان شائع الانتشار. وبالطبع فإنه لدينا دليل قوي على أن هذه كانت هي الحالة. بما أنها كانت مسألة شكوى عرضية من قبل المسيحيين الذين كانوا يقرؤون تلك النصوص ويحاولون أن يكشفوا تلك الكلمات الأصلية للكاتب. فعلى سبيل المثال قام أب الكنيسة في القرن الثالث أوريغن بتسجيل هذه الشكوى عن النسخ من الإنجيل بين يديه :

إن الاختلافات بين المخطوطات قد أصبحت كبيرة. إما بسبب إهمال بعض النساخ، أو بسبب التهور الجامح لآخرين. فإما أن يهملوا تدقيق ما نقلوه، أو في أثناء عملية التدقيق يقومون بإضافات أو حذف كما يرغبون.

لم يكن أوريغن هو الوحيد الذي لاحظ هذه المشكلة، فقد لاحظها أيضاً خصمه الوثني كليسوس قبل سبعين عاماً. ففي هجومه على المسيحية وآدابها ذمّ كليسوس النساخ المسيحيين وتجاوزاتهم أثناء عمليات النسخ :

بعض المؤمنين كما لو أنهم في نوبة شُرب. يعارضون أنفسهم، ويغيرون النص الأصلي للإنجيل ثلاثة أو أربعة أو مرات عديدة. ويغيرون من شخصيته ليمكنهم من إنكار صعوبات في وجه النقد.

من الصادم في هذا المثال بالذات أن أوريغن عندما واجهه ادعاء خارجي بضعف ممارسات النسخ ضمن المسيحيين فإنه في الواقع أنكر أن المسيحيين غيروا النصوص على الرغم من حقيقة أنه هو استنكر هذه الحادثة في كتاباته الأخرى. والاستثناء الوحيد الذي يذكره في رده على كليسوس يتضمن عدة مجموعات من المهرطقين الذين يدعي أوريغن أنهم غيروا النصوص المقدسة بشكل خبيث.

لقد رأينا بالفعل هذه التهمة أن المهرطقين قد عدلوا في بعض الأحيان هذه النصوص التي نسخوها لكي يجعلوها تساند بشكل أكبر وجهات نظرهم الخاصة. لأن هذه التهمة كانت موجهة ضد عالم اللاهوت والفيلسوف من القرن الثاني مارسيون الذي قدم شريعته المؤلفة من أحد عشر سفراً بعد أن استأصل تلك المقاطع التي تعارض إشارته إلى أنه من وجهة نظر بولس فإن إله العهد القديم ليس الإله الحقيقي. وادعى خصم مارسيون الأرثوذكسي إيرنيوس أن مارسيون قام بما يلي :

" بتر رسائل الرسول بولس مزيلاً كل ما قيل من قبل الرسول بشأن أن الإله الذي صنع العالم هو في الواقع والد سيدنا يسوع المسيح، وكذلك تلك المقاطع من الكتابات التي يقتبسها الرسول في سبيل إعلامنا أنها أعلنت قبل كل شيء عن مجيء سيدنا " .

لم يكن مارسيون المتهم الوحيد فقد كان المطران الأرثوذكسي لكورنتوس واسمه ثيونيسيوس الذي كان معاصراً تقريباً لإيرنيوس قد اشتكى أن المؤمنين المزيفين قد عدلوا كتاباته دون ضمير، كما فعلوا بنصوص أكثر قداسة :

" عندما دعاني إخوتي المسيحيين لكتابة رسائل لهم قمت بذلك. وقد ملأها أتباع الشياطين بالتفاهات آخذين منها أشياءً ومضيفين أشياء أخرى. ولهؤلاء فإن عقابهم محفوظ. فلا عجب عندئذ إذا اجترأ بعضهم على العبث بكلمات الرب نفسه عندما تآمروا على العبث بجهودي المتواضعة "

إن تهماً كهذه ضد المهرطقين -أنهم غيروا النصوص المقدسة ليجعلوها تقول ما يريدونها أن تقول -شائعة بين الكتاب المسيحيين الأوائل. ولكن الجدير بالملاحظة أن الدراسات الحديثة قد أظهرت أن الدليل من المخطوطات الباقية يوجه أصبع الاتهام في الاتجاه المعاكس. فالنساخ الذين

كانوا مترافقين مع التقاليد الأرثوذكسية غيروا نصوصهم بشكل غير قليل، أحياناً بغرض إزالة احتمال إساءة استخدامها من قبل مسيحيين يؤكدون المعتقدات الهرطقية، وأحياناً ليجعلوها أكثر تطابقاً مع التعاليم المبتغاة من قبل المسيحيين في عقيدتهم الخاصة.

إن الخطر الحقيقي هو أن النصوص يمكن أن تعدل وفق الرغبة من قبل نساخ لم يوافقوا على كلماتها. وهذا واضح في طرق أخرى كذلك. ويجب أيضاً أن نتذكر دائماً أن نساخ الكتابات المسيحية الأولى كانوا ينتجون تلك النصوص في عالم ليس فيه دور طباعة أو نشر، وأيضاً ليس فيه شيء كقوانين حقوق النشر.

كيف كان للناشرين أن يضمنوا أن نصوصهم كانت لا تعدل بمجرد أن توضع ضمن النشر؟ إن الجواب باختصار أنهم لم يكن بإمكانهم ذلك. وهذا يفسر سبب أن الكتاب كانوا في بعض الأحيان ينزلون اللعنات على أي ناسخ يعدل في نصوصهم دون إذن. ونجد هذا النوع من اللعنات في واحد من الكتابات المسيحية الأولى التي وصلت إلى العهد الجديد، وهي سفر الرؤيا الذي قام كاتبه مع نهاية النص بإصدار تحذير رهيب:

"لأني أشهد لكل من يسمع أقوال نبوة هذا الكتاب، إن كان أحد يزيد على هذا يزيد الله عليه الضربات المكتوبة في هذا الكتاب، وإن كان أحد يحذف من أقوال كتاب هذه النبوة يحذف الله نصيبه من سفر الحياة ومن المدينة المقدسة ومن المكتوب في هذا الكتاب". (سفر الرؤيا 22: 18-19).

إن هذا ليس تهديداً للقارئ بأنه يجب أن يصدق ويقبل كل شيء مكتوب في كتاب النبوة، ولكنه في بعض الأحيان يفسر على أنه تهديد نمطي لنساخ الكتاب بأنهم لا ينبغي أن يضيفوا أو يحذفوا أياً من كلماته. ويمكن أن نجد

لعنات مشابهة منتشرة في الكتابات المسيحية الأولى. فمثلاً تجد التهديد الشديد المطلق من قبل الباحث المسيحي اللاتيني روفينوس بشأن ترجمته لواحد من أعمال أوريغن.

"في حضرة الله الحقيقي، الأب والابن والروح القدس، استحلف كل شخص يمكن أن يقرأ أو ينقل هذه الكتب بإيمانه بالمملكة الآتية وسر القيامة من الموتى وبالنار الأبدية المعدة للشيطان وملائكته ولكي لا يحصل على ميراث أبدي في ذلك المكان حيث البكاء وصريف الأسنان وحيث لا تنطفئ النار ولا تموت الأرواح أن لا يضيف شيئًا لما كتب وأن لا يأخذ شيئًا منه وأن لا يقوم بأي إدخال أو تعديل ولكن يقارن ما نقله مع النسخ التي نقلها منه".

هذه تهديدات خطيرة -بالجحيم والكبريت- لمجرد تعديل كلمات في نص. ومع ذلك كان بعض الكتاب مصممين تماماً على أن يتأكدوا أن كلماتهم كانت تنقل بدقة لأنه لا يوجد تهديد بشكل كافٍ بوجه النساخ الذين قد يغيرون النصوص وفق رغبتهم في عالم ليس فيه حقوق نشر.

تغييرات في النص

من الخطأ الاعتقاد أن التغييرات الوحيدة كانت تصدر عن نساخ ذوي أهواء شخصية في كلمات النص. من الواقع فإن معظم التغييرات الموجودة في المخطوطات المسيحية الأولى لا علاقة لها باللاهوت أو العقائد. إن أغلب التغييرات كانت ناتجة عن أخطاء بكل بساطة، زلات قلم أو لا مبالاة أحياناً، إضافة غير مقصودة، كلمات تهجأ بشكل خاطئ، أخطاء من نوع أو آخر، يمكن أن يكون النساخ غير أكفاء. ومن الضروري أن نتذكر أن

معظم النساخ في القرون الأولى كانوا غير مدربين على هذا النوع من العمل ولكنهم كانوا ببساطة الأعضاء المتعلمين في الرعية، والذين كانوا قادرين وراغبين. وحتى وقت لاحق بدءاً من القرن الرابع والخامس عندما برز النساخ المسيحيون المحترفون ضمن الكنيسة، وحتى لاحقاً عندما كانت المخطوطات تنسخ من قبل الرهبان المكرسين لهذا العمل في الأديرة، حتى في ذلك الحين كان بعض النساخ أقل خبرة من آخرين. وفي كل الأوقات فإن هذه المهمة يمكن أن تكون شاقة كما هو مشار إليه في بعض الملاحظات التي كانت تضاف أحياناً من قبل الكتّاب حيث يخط الكاتب تنفسه للصعداء مثل: "نهاية المخطوطة، ليكن الشكر لله". فأحياناً يغفل النساخ، وأحياناً يكونون جائعين أو ناعسين. وأحياناً بكل بساطة لا يبذلون أقصى جهدهم.

حتى النساخ الذين كانوا أكفاء ومدربين ويقظين يقترفون الأخطاء أحياناً. فأحياناً كما رأينا كانوا يغيرون النص، لأنهم يظنون أنه يجب أن يغير. ولم يكن ذلك لأسباب لاهوتية معينة فقط، لقد كان هناك أسباب أخرى ليقوم النساخ بتغيير النص عامدين، فعلى سبيل المثال: عندما يصلون إلى مقطع يبدو أنه يجسد خطأً يجب أن يصحح من المحتمل أن يكون تناقضاً في النص أو إشارة جغرافية خاطئة أو تلميح نصي في غير مكانه، لذا فعندما كان النساخ يقومون ببعض التعديلات عامدين كانت دوافعهم أحياناً نقية كالثلج المتساقط. ولكن التغييرات قد تمت دون شك، وكلمات الكاتب الأصلية يمكن أن تتغير أو تضيع في النهاية كنتيجة لذلك.

من الأمثلة المهمة عن التغيير المتعمد في نص موجود في واحدة من أقدم المخطوطات Codex Vaticanus التي سميت بهذا الاسم لأنها وجدت في مكتبة الفاتيكان، المصنوعة في القرن الرابع. ففي مقدمة الرسالة إلى العبرانيين هناك

مقطع يقال لنا فيه - في معظم المخطوطات- إن "المسيح يحمل كل شيء بقدرة كلمته" باليونانية (PHERON)، ولكن في Codex Vaticanus فإن الناسخ الأصلي صنع اختلافاً بسيطاً بفعل يبدو مشابهاً في اليونانية، وبذلك يقرأ النص "المسيح يظهر كل الأشياء بقدرة كلمته" باليونانية (PHANERON). وبعد عدة قرون قرأ ناسخ ثانٍ هذا المقطع في المخطوطة، وقرر أن يغير الكلمة غير المألوفة "يظهر" إلى الكلمة المألوفة "يحمل" ماحياً الكلمة الأولى ومسجلاً الكلمة الثانية. ثم من جديد، وبعد بضعة قرون يقرأ ناسخ آخر النص، ويلاحظ التغيير الذي قام به سلفه. فيقوم بدوره بمحو كلمة "يحمل" وإعادة كتابة كلمة "يظهر". ثم أضاف ملاحظة نصية في الهامش تشير إلى ما يظنه في الناسخ السابق. وكانت الملاحظة تقول: "غبي ومخادع، دع الكتابة القيمة وشأنها. لا تغيرها!".

لدي نسخة من هذه الصفحة موضوعة في إطار ومعلقة على جدار فوق مكتبي كتذكير دائم بالنساخ وميلهم للتغيير وإعادة تغيير نصوصهم. من الواضح أنه تغيير في كلمة واحدة. فلماذا يعد مهماً لهذه الدرجة؟ إنه مهم لأن الطريقة الوحيدة لفهم ما كان الكاتب يريد قوله هي معرفة ما كانت كلماته كلها أصلاً (فكر بكل العظات التي استندت على أساس كلمة واحدة في النص ماذا لو كان الكاتب لم يكتب هذه الكلمة في الواقع؟) فقول إن المسيح يكشف كل شيء بقوة كلمته مختلف تماماً عن قول إنه يجمع الكون بواسطة كلمته.

التعقيدات في معرفة "النص الأصلي"

هكذا فإن كل أنواع التغييرات قد تمت على النصوص من قبل النساخ الذين كانوا ينسخونها. سنلقي نظرة على أنواع التغييرات بشكل أعمق في فصل

لاحق. ولكن في الوقت الحاضر فإنه يكفي أن نعرف أن التغييرات قد تمت، وأنها قد تمت بشكل واسع وخاصة في المئتي عام الأولى، حيث كانت النصوص تنسخ عندما كان معظم النساخ غير محترفين. وأحد الأسئلة الرئيسية الي يواجهها النقاد النصيون هي كيفية الرجوع إلى النص الأصلي -النص كما كتبه الكاتب للمرة الأولى- آخذين بعين الاعتبار أن المخطوطات التي نملكها مليئة بالأخطاء. إن المشكلة تصبح أكثر خطورة بسبب حقيقة أنه بمجرد اقتراف الخطأ فإنه يصبح جزءاً لا يتجزأ من النص بشكل أكثر من الكلمة الأصلية.

هذا يعني أنه عندما يغير الناسخ النص -بشكل عرضي أو متعمد- فإن هذه التغييرات تصبح دائمة في مخطوطته (ما لم يأتِ ناسخ آخر ليصحح الخطأ بالطبع). ويأتي الناسخ التالي لينسخ تلك المخطوطة ناسخاً الأخطاء معها (ظناً منه بأنها من النص الأصلي) ويضيف إليها أخطاءه الخاصة. والناسخ التالي الذي ينسخ تلك المخطوطة ينسخ أخطاء سلفيه السابقين ويضيف أخطاءه الخاصة، وهكذا. إن الطريقة الوحيدة لتصحيح الأخطاء هي عندما يدرك ناسخ أن سلفه قد اقترف خطأ ويحاول أن يحله. وليس هناك ضمانة بكل الأحوال أن الناسخ الذي يحاول أن يصحح الخطأ يصححه بشكل صحيح، حيث وعن طريق تغيير ما يظن أنه خطأ قد يغيره في الواقع بشكل خاطئ. وبذلك فنحن الآن بين يدينا ثلاثة أشكال من النصوص الأصلي، والخاطئ، والمحاولة الخاطئة لتصحيح الخطأ. تتضاعف الأخطاء وتكرر، وأحياناً تصحح وأحياناً تتضاعف، وهكذا فإن الأمر يستمر لقرون أحياناً.

بالطبع فإن الناسخ قد يملك أكثر من نسخة من المخطوطة بين يديه، ويستطيع تصحيح الأخطاء في إحدى المخطوطات عن طريق القراءة الصحيحة للمخطوطة الأخرى، وهذا يحسن الوضع بشكل ملحوظ. ومن

جهة أخرى فإنه من المحتمل أيضاً أن يقوم الناسخ بتصحيح المخطوطة الصحيحة على ضوء كلمات المخطوطة الخاطئة، وبالتالي فإن الاحتمالات لا حصر لها.

بالنظر إلى هذه المشكلات، كيف يمكننا أن نأمل أن نعود إلى أي شيء يشبه النص الأصلي، النص الذي كتبه الكاتب في الحقيقة؟ إنها مشكلة كبيرة لدرجة أن بعض نقاد النصوص بدؤوا يقولون إنه يجب أن نعلق كل مناقشة عن نص أصلي، لأنه من المتعذر بلوغه. بالنسبة لنا يمكن أن يكون هذا شططاً. ولكن مثالاً أو مثالين واقعين مأخوذين من كتابات العهد الجديد يمكن أن تظهر المشكلة.

أمثلة عن المشكلات

لنأخذ كمثال أول رسالة بولس إلى أهل غلاطية. حتى أثناء كتابة النص الأصلي لدينا صعوبات جمة لأخذها بعين الاعتبار التي يمكن أن تجعلنا متعاطفين مع أولئك الذين يريدون الاستسلام بشأن معرفة ما كان النص الأصلي عليه. لم تكن غلاطية مدينة واحدة ذات كنيسة واحدة. لقد كانت منطقة في آسيا الصغرى (تركيا حالياً) حيث أسس بولس عدداً من الكنائس. وعندما يكتب إلى أهل غلاطية، أفكان يكتب إلى إحدى الكنائس أم إلى الكنائس كلها؟ من المفترض بما أنه لا يحدد أي بلدة بالذات، فقد كان يقصد أن تذهب هذه الرسائل إلى جميع الكنائس. أكان ذلك يعني أنه صنع عدة نسخ من الرسالة نفسها أم أنه أراد أن تمر الرسائل على الكنائس في المنطقة؟ نحن لا نعرف.

لنفترض أنه صنع عدة نسخ منها. فكيف قام بذلك؟ للبدء يبدو أن هذه الرسالة كغيرها من رسائل بولس لم يكتبها بولس بيده، بل أمليت على

أحد النساخ. ويأتي الدليل على ذلك في نهاية الرسالة، حيث يضيف بولس توقيعه بخط يده الخاص كي يعرف متلقو الرسالة أنه مسؤول عن الرسالة (تقنية شائعة بالنسبة للرسالة المكتوبة بالإملاء في العصور القديمة): "انظروا إلى الحروف الكبيرة التي أكتبها لكم بيدي" (غلاطية 11:6)، إذاً من المحتمل أن خط يده كان كبيراً وغير احترافي مثل خط الناسخ الذي كان يملي عليه الرسالة.

والآن إذا كان بولس قد أملى تلك الرسالة، أفأملاها كلمة بكلمة؟ أم أنه أعطى رؤوس الأقلام الرئيسية وسمح للكاتب أن يملأ الباقي؟ كلتا الطريقتين كانتا متبعتين من قبل كتّاب الرسائل في القدم. إذا كان الكاتب قد ملأ باقي الرسالة فهل يمكننا أن نتأكد أنه ملأها كما كان بولس يريدها؟ إذا لم يكن الحال كذلك، فهل حقاً نملك كلمات بولس أم أنها كلمات كاتب غير معروف؟ ولكن لنفترض أن بولس قد أملى الرسالة كلمة بكلمة؟ فهل يمكن أنه في بعض الأماكن قام الكاتب بكتابة كلمات خاطئة؟ لقد حدثت أشياء أغرب من هذا. فإذا كان هو الوضع فإن المخطوطة الأصلية ستكون حاوية على أخطاء بالفعل وكذلك كل النسخ الأخرى لن تكون حاملة لكلمات بولس (في الأماكن التي كتبها الكاتب بشكل خاطئ).

لنفترض رغم ذلك أن الكلمات كانت صحيحة مئة بالمئة، فإذا أرسلت عدة نسخ من هذه الرسالة، فهل يمكننا أن نتأكد أن النسخ جميعها كانت صحيحة مئة بالمئة؟ من المحتمل على الأقل أنه حتى لو كانت قد نسخت كلها بحضور بولس فإن كلمة أو كلمتين هنا أو هناك قد تغيرت في إحدى النسخ، فإذا كان ذلك صحيحاً ماذا لو أن واحدة من النسخ قد أصبحت مصدراً لنسخ عدة نسخ منها في ذلك الحين وصولاً إلى القرن الثاني مروراً

إلى القرن الثالث، وهكذا. في تلك الحالة فإن النسخة الأقدم التي أمنّت أساس النسخ لكل النسخ اللاحقة من هذه الرسالة لن تكون ما أراد بولس فعلاً قوله أو ما أراد كتابته.

ما أن تبدأ الرسالة في الانتقال -حين تصل إلى وجهتها في إحدى بلدات غلاطية- فإنها تنسخ بالطبع، وترتكب الأخطاء فيها. أحياناً يغير النساخ فيها عن عمد وأحياناً يتم ذلك بطريق الخطأ. وهذه النسخ المليئة بالأخطاء تنسخ. والنسخ المليئة بالأخطاء من تلك النسخ تنسخ أيضاً. وهكذا حتى نهاية الخط. وفي وسط كل هذا فإن النسخة الأصلية أو واحدة من النسخ الأصلية تضيع أو تبلى، و في مرحلة من المراحل لا يعود بالإمكان مقارنة نسخة بالنسخة الأصلية للتأكد من صحتها، حتى لو أن أحدهم خطرت بباله تلك الفكرة اللامعة.

من ثم فإن ما وصلنا اليوم ليس النص الأصلي عن الرسالة ولا واحدة من النسخ التي صنعها بولس نفسه، ولا واحدة من النسخ التي صنعت في أي بلدة من بلدات غلاطية التي أرسلت إليها الرسالة، ولا واحدة من النسخ عن تلك النسخ. إن أول نسخة تصلنا من رسالة بولس إلى غلاطية مكتملة بشكل مقبول (هذا النص مجزأ أي أنه يحوي على عدد من الأجزاء المفقودة) هي بردية تدعى P46 (بما أنها كانت الجزء السادس والأربعين من العهد الجديد حين صنف) وتعود إلى حوالي 200 م وذلك بعد 150 عاماً من كتابة بولس لتلك الرسالة. لقد كانت هذه الرسالة قيد التداول تنسخ بشكل صحيح حيناً وبشكل خاطئ أحياناً لمدة 15 عقداً قبل أن تصلنا أي نسخة وتنجو حتى يومنا هذا. لا يمكننا أن نعيد النسخة التي نسخت منها P46. هل كانت نسخة دقيقة؟ وإذا كانت كذلك كم هي نسبة دقتها؟ من المؤكد أنها

تحوي على أخطاء من نوع ما، كما كانت النسخة التي نسخت منها، وكذلك النسخة التي نسخت منها تلك النسخة، وهكذا.

باختصار فإنه عمل معقد جداً أن نتكلم عن النص الأصلي لرسالة غلاطية. نحن لا نملكها، وأفضل ما يمكننا القيام به هو الرجوع إلى مرحلة مبكرة من إرسالها. ونأمل ببساطة أن ما نعيد بناءه من النسخ المصنوعة في تلك المرحلة - مستندين على النسخ التي صدف أنها نجت (بأعداد متزايدة باقترابنا من القرون الوسطى) - يعكس بشكل منطقي ما كان بولس نفسه يريد كتابته، أو على الأقل ما كان ينوي كتابته عندما أملى تلك الرسالة.

في المثال الثاني عن المشكلات لنأخذ إنجيل يوحنا، هذا الإنجيل مختلف عن الأناجيل الثلاثة الأخرى في العهد الجديد راوياً عدداً من القصص التي تختلف عن تلك الأناجيل ومستخدماً أسلوب كتابة مختلفاً جداً. هنا في إنجيل يوحنا تكون أقوال المسيح محادثات طويلة بدلاً من أقوال مباشرة وبليغة. إن المسيح لا يروي أمثالاً أبداً على سبيل المثال في إنجيل يوحنا، على عكس الأناجيل الأخرى. فضلاً على ذلك فإن الأحداث المروية في إنجيل يوحنا موجودة فقط في هذا الإنجيل. فعلى سبيل المثال محادثات المسيح مع نيقموديموس في الإصحاح الثالث، ومع المرأة السامرية في الإصحاح الرابع ومعجزته في تحويل الماء إلى خمر في الإصحاح الثاني، وإقامة إليعازر من الأموات في الإصحاح العاشر، حتى وصف الكاتب للمسيح مختلف أيضاً. فعلى عكس الأناجيل الثلاثة الأخرى يقضي المسيح معظم وقته شارحاً من هو (المرسل من السماء) معطياً إشارات كي يبرهن أن ما يقوله عن نفسه صحيح.

لا شك أن يوحنا كان لديه مصادر لرواياته. فعلى سبيل المثال كان لديه مصدر روى أعاجيب المسيح ومصادر روت أحاديثه. وهو يمزج بين هذه

المصادر في روايته الخاصة عن حياة المسيح وخدمته وموته وقيامته. ومن المحتمل رغم ذلك أن يوحنا قد صنع في الواقع عدة إصدارات من إنجيله. فقد علق القراء لوقت طويل أن الإصحاح 21 يبدو أنه أضيف لاحقاً حيث يبدو أن الإنجيل قد انتهى في (20:30-31)، وأن أحداث الإصحاح 21 تبدو وكأنها نوع من الأفكار المتأخرة التي أضيفت ربما لتملأ قصص قيامة المسيح وظهوراته، ولتفسر أنه عندما توفي "التلميذ المحبوب" المسؤول عن رواية هذه القصص في إنجيله فإن ذلك لم يكن غير متوقع (21:22-23).

هناك مقاطع أخرى في الإنجيل لا تتوافق تماماً مع البقية، حتى الآيات الافتتاحية (1:1-18) التي تشكل نوعاً من المقدمة للإنجيل تبدو أنها مختلفة عن البقية. إن ذلك الشعر ذائع الصيت الذي يتكلم عن كلمة الله التي وجدت مع الله منذ الأزل، وكانت هي الله أصبحت جسداً في يسوع المسيح إن هذا المقطع مكتوب بأسلوب شعري متقن غير موجود في باقي أجزاء الإنجيل، بالإضافة إلى أنه مع تكرار السمات الأساسية في باقي الرواية فإن أحد أهم كلماته غير مستعملة. لذا فإن المسيح يوصف في الرواية على أنه الذي أتى من السماء، ولكنه لم يُدْعَ "بالكلمة" في مكان آخر من الإنجيل. أفيمكن أن تكون الافتتاحية قد جاءت من مصدر آخر مختلف عن باقي الرواية، وأنها أضيفت على أنها افتتاحية مناسبة من قبل الكاتب بعد أن نشرت نسخة سابقة بالفعل؟

لنفترض للحظة، ومن أجل النقاش فقط، أن الإصحاح 21 و(1:1-18) لم تكن من المكونات الأصلية للإنجيل. ما الذي يمكن أن يقدمه هذا للناقد النصي الذي يريد إعادة بناء النص الأصلي؟ أي أصلي يبنى؟ كل النصوص والمخطوطات اليونانية لدينا تحوي المقطع موضع النقاش، فهل يعيد الناقد

النصي بناءها وكأنها نص أصلي من الإنجيل الذي احتواها أصلاً؟ ولكن ألا يجب أن نعتبر أن الشكل الأصلي هو النسخة الأولى التي كانت تفتقد لهذين المقطعين؟ وإذا كان المرء يرغب في إعادة بناء الشكل الأسبق فهل من العدل أن يتوقف هناك مع إعادة بناء النسخة الأولى من إنجيل يوحنا؟ لم لا يتمادى إلى أبعد من ذلك ويحاول إعادة بناء المصادر التي تكمن وراء هذا الإنجيل؟ كمصادر المعجزات والأحاديث أو حتى الوصايا الشفهية التي تكمن وراءه؟

هذه هي الأسئلة التي تزعج النقاد النصيين والتي دفعت بالبعض للقول إنه يجب أن نتخلى عن أي مهمة للبحث عن النصوص الأصلية بما أننا لا نستطيع حتى أن نتفق على ما قد يعينه أن نتكلم عن النص الأصلي لرسالة بولس إلى غلاطية أو لإنجيل يوحنا. على كل حال أما أنا فأظن أنه إن لم يكن بالإمكان أن نكون واثقين مئة بالمئة مما قد نصل إليه فإنه على الأقل نستطيع أن نكون واثقين أن كل المخطوطات التي وصلتنا هي نسخ عن مخطوطات أخرى، وهي بنفسها نسخ من أخرى. وأنه ممكن على الأقل أن نعود إلى أقدم وأول مرحلة من المخطوطات لكل كتاب من كتب العهد الجديد. كل مخطوطات رسالة غلاطية تعود بشكل واضح إلى بعض النصوص التي تم نسخها. كل مخطوطاتنا عن إنجيل يوحنا تعود إلى نسخة من إنجيل يوحنا تتضمن المقدمة والإصحاح 21. وبالتالي يجب أن نعلم أن العودة إلى أول نسخة نستطيع الوصول إليها هو أفضل ما يمكننا القيام به، سواء وصلنا إلى النص الأصلي أم لم نصل. إن هذا الشكل الأقدم من النص لاشك أنه أقرب ما يكون إلى ما كان يريد الكاتب قوله أو كتابته أصلاً، وبالتالي هو أساس تفسيرنا لتعاليمه.

إعادة بناء النصوص في العهد الجديد

تنطبق مشكلات مماثلة بالطبع على جميع نصوص الكتابات المسيحية سواء كانت تلك الموجودة في العهد الجديد أو خارجه، سواء كانت الأناجيل، أو أعمال الرسال، أو الرسائل أو سفر الرؤيا أو أي نوع آخر من الكتابات المسيحية الأولى. إن مهمة الناقد النصي هي معرفة الشكل الأول للنص في كل تلك الكتابات. وكما سنرى لاحقاً هناك مبادئ أساسية في اتخاذ هذا القرار، طرق لتقرير فيما إذا كانت هذه الاختلافات في المخطوطات التي لدينا هي أخطاء، وأيها متعمد، وأيها يبدو أنه يعود إلى الكاتب الأساسي. ولكنها ليست مهمة سهلة.

إن النتيجة من جهة أخرى يمكن أن تكون منورة إلى حد بعيد، أو حتى مثيرة. وكان نقاد النصوص قادرين على تحديد عدد من الأماكن في المخطوطات التي نجت وبدقة نسبية لا تمثل النص الأصلي للعهد الجديد. وبالنسبة لهؤلاء الذين ليسوا خبراء في هذا المجال، ولكنهم يعرفون العهد الجديد جيداً (الترجمة الإنكليزية) فإن بعض النتائج يمكن أن تكون مدهشة فعلاً. ولأختم هذا الفصل سأناقش مقطعين من هذا النوع. مقطعين من الإنجيل نعرف بشكل جيد أنهما لا ينتميان أصلاً إلى العهد الجديد. مع أنهما أصبحا جزءين مشهورين من الإنجيل للمسيحيين على مدى القرون وبقيا على هذا الحال حتى يومنا هذا.

المرأة الزانية

إن قصة المسيح مع المرأة الزانية هي دون شك من أكثر القصص المعروفة عن المسيح في الإنجيل. وهي بالتأكيد واحدة من القصص المفضلة في نسخ

هوليوود عن حياة المسيح حتى إنها وصلت إلى فيلم (ميل غيبسون) *آلام المسيح*. على الرغم من أن ذلك الفيلم يركز فقط على ساعات المسيح الأخيرة (إن هذه القصة تعالج كواحدة من مقاطع التذكر النادرة في الفيلم). على الرغم من شعبيتها فإن هذه الرواية غير موجودة إلا في مقطع واحد من العهد الجديد. إنجيل يوحنا (7:53-8:12) وتبدو أنها ليست أصلية حتى هناك.

إن القصة معروفة. حيث يكون المسيح يعلم في الهيكل، وتقترب منه مجموعة من الكتبة والفريسيين أعدائه الألداء جالبين معهم امرأة أمسكت بالجرم المشهود وهي تقترف الزنى. يضعونها أمامه، لأنهم أرادوا أن يختبروه. إن قوانين موسى كما يقولون له تطالب بأن إمرأة كهذه ترجم حتى الموت. ولكنهم يريدون أن يعرفوا ما رأيه في هذه المسألة. فهل يجب أن يرجموها أم يظهروا لها الرحمة؟ ولكن ذلك فخ بالطبع؛ فإذا قال المسيح دعوا المرأة وشأنها فسيتهم بخرق قوانين الله، وإذا أخبرهم بأن يرجموها فسيتهم بنقض تعاليمه الخاصة عن الحب والرحمة والمسامحة.

إن المسيح لا يرد من فوره، بل ينحني على الأرض بدلاً من ذلك ليكتب عليها. وعندما يلحون عليه بالسؤال يقول لهم: "من كان منكم بلا خطيئة فليرمها بحجرٍ". ومن ثم يتابع كتابته على الأرض، بينما يغادر أولئك الذين جلبوا المرأة الموقع -شاعرين كما يبدو بضغط خطاياهم- حتى لم يبق أحد سوى المرأة ناظرة إلى المسيح. فيقول لها: "أيها امرأة! أين هم؟ أليس هناك منهم من أدانك؟" فتجيب المرأة: "لا أحد يا سيدي" فيجيب: "وأنا لا أدينك اذهبي ولا تخطئي مجدداً".

إنها قصة رائعة مليئة بالحكم وحبكة ذكية يستخدم فيها المسيح حكمته ليخلص نفسه - ناهيك عن ذكر المرأة المسكينة- من المشكلة. وبالطبع فإنه

بالنسبة للقارئ المنتبه فإن هذه القصة تحتمل أسئلة لا حصر لها. إذا كانت هذه المرأة قد ضبطت وهي تمارس الزنى على سبيل المثال، فأين هو الرجل الذي أمسكت معه؟ إن كليهما يجب أن يرجما وفق قوانين موسى. بالإضافة إلى ذلك عندما كان المسيح يكتب على الأرض ماذا كان يكتب بالضبط؟ (وفقاً لإحدى الروايات القديمة فقد كان يكتب خطايا المتهمين الذين عندما رأوا خطاياهم معروفة غادروا محرجين). وحتى لو كان المسيح يعلم رسالة حب، فهل كان يظن حقاً أن قوانين الرب المعطاة من قبل موسى غير صالحة بعد الآن؟ هل كان يظن أن الخطايا لا يجب أن تعاقب على الإطلاق؟

على الرغم من روعة هذه القصة وجودتها الآسرة، وإثارتها للاهتمام، فهي تعرض مشكلة كبيرة أخرى. فكما تبين فإنها لم تكن من المقاطع الأصلية في إنجيل يوحنا، في الواقع فإنها لم تكن جزءاً أصلياً من أي من الأناجيل. لقد أضيفت لاحقاً من قبل النساخ.

كيف نعرف هذا؟ في الواقع إن الباحثين الذين يعملون على المخطوطات ليس لديهم شك في هذه الحالة بالذات. سنعاين لاحقاً في هذا الكتاب وبشكل متعمق أكثر نوعية الأدلة التي يستخدمها الباحثون ليصدروا حكماً من هذا النوع. وهنا أستطيع أن أشير إلى بضعة حقائق أساسية، برهنت عن كونها مقنعة لأغلب الباحثين من كل المعتقدات. إن القصة غير موجودة في واحدة من أقدم وأفضل المخطوطات لإنجيل يوحنا، وأسلوب كتابتها مختلف تماماً عما نجده في باقي إنجيل يوحنا (من ضمنها قصص كتبت مباشرةً قبلها أو بعدها)، كما أنها تتضمن عدداً كبيراً من الكلمات والعبارات التي تعتبر غريبة عن هذا الإنجيل، وبالتالي فإن الاستنتاج لا مفر منه أن هذا المقطع ليس جزءاً أصلياً من الإنجيل.

ولكن كيف أضيف؟ هناك نظريات لا حصر لها بشأن هذا الموضوع. يعتقد أغلب الباحثين أنها كانت -على الأغلب- قصة مشهورة تدور بشكل شفهي عن المسيح وأضيفت في وقت ما كهامش على المخطوطة وهكذا ظن ناسخ أو آخر أن هذه الملاحظة الهامشية كان ينبغي أن تكون جزءاً من النص وبالتالي أدخلها مباشرةً بعد القصة التي تنتهي في يوحنا (52:7). ومن الجدير بالملاحظة أن نساخاً آخرين أدخلوها في مواقع أخرى من العهد الجديد، بعضهم أدخلها بعد يوحنا (25:21) وآخرون أدخلوها بعد لوقا (38:21). وفي كل الأحوال فإن كاتب هذه الرواية ليس يوحنا.

إن ذلك يترك القراء في معضلة حقيقية. إذا لم تكن هذه القصة جزءاً أصلياً من إنجيل يوحنا، فهل يجب أن تعتبر جزءاً من الإنجيل؟ لن يجيب الجميع على هذا السؤال بالطريقة نفسها. ولكن عند معظم نقاد النصوص فإن الجواب هو لا.

الآيات الاثنتا عشرة الأخيرة من إنجيل مرقس

إن المثال الثاني الذي سنطرحه قد لا يكون معروفاً لقراء الإنجيل للعاديين، ولكنه كان ذا تأثير كبير في تفسير الإنجيل، ويعرض مشكلة مشابهة للباحثين في الروايات المكتوبة من العهد الجديد. إن هذا المثال يأتي من إنجيل مرقس، ويتعلق بنهايته.

في رواية مرقس يقال لنا إن المسيح قد صلب ثم دفن من قبل يوسف الرامي في اليوم الذي يسبق السبت، مرقس (47:42:15). وفي اليوم الذي يلي السبت جاءت مريم المجدلية مع اثنتين من النسوة إلى القبر لكي يدهنوا الجسد بالطيب بشكل مناسب (1:16-2). وعندما يصلن إلى القبر يجدن أن الحجر

قد دحرج ، وعندما يدخلن القبر يجدن شاباً ذا رداء أبيض يقول لهن : "لا تندهشن ، أنتن تطلبن يسوع الناصري المصلوب ، لقد قام ، ليس هو ههنا هوذا الموضع الذي وضعوه فيه" ثم يأمر النسوة أن يخبرن تلاميذ المسيح أنه سيسبقهم إلى الجليل ، وأنه سيراهم هناك. ولكن النسوة يهربن من القبر ولا يقلن أي شيء لأي شخص "لأنهن كن خائفات" (16 : 4-8) .

ثم تأتي الآيات الاثنتا عشرة في إنجيل مرقس في عدد من النسخ الإنكليزية الحديثة ، آيات تتابع القصة ، حيث يقال إن المسيح بنفسه ظهر لمريم المجدلية ، التي ذهبت وأخبرت تلاميذه. ولكنهم لم يصدقوها. ثم يظهر لاثنين آخرين. وأخيراً يظهر للتلاميذ الأحد عشر (دون يهوذا الأسخريوطي) المجتمعين سوية حول المنضدة ، ويوبخهم المسيح لعدم إيمانهم. ثم يأمرهم بالذهاب وإعلان بشارته للخليقة كلها. فأولئك الذين اعتمدوا سيكونون مخلصين. والذين لم يؤمنوا سيدانون ، ثم تأتي الآيتان الأكثر إثارة للاهتمام في ذلك المقطع ، وهذه الآيات تتبع المؤمنين

"يخرجون الشياطين باسمي ، ويتكلمون بألسنة جديدة ، يحملون حيات ، وإذا شربوا شيئاً مميتاً لا يضرهم ، ويضعون أيديهم على المرضى فيبرؤون" (الآيات 17-18)

ثم يرفع المسيح إلى السماء ويجلس عن يمين الأب. وأما التلاميذ فخرجوا ، وكرزوا. وكلامهم يثبت من قبل آيات تصاحبهم (الآيات 19-20).

إنه مقطع رائع ، قوي ومؤثر ، إنه واحد من المقاطع المستخدمة لدى المسيحيين الخمسينيين ليظهروا أن أتباع المسيح سيكونون قادرين على التكلم بلغات غير معروفة كما يحدث في أثناء قداسهم ، كما أنه واحد من المقاطع الرئيسية المستخدمة من قبل جماعات Appalachians الذين يقومون حتى هذا

اليوم بإمساك أفاعٍ سامة بين يديهم لكي يظهروا إيمانهم بكلمات المسيح، حيث بقيامهم بذلك لا يصيبهم أي أذى.

لكن هناك مشكلة واحدة، حيث إن هذا المقطع هو -مجدداً- ليس جزءاً أصلياً من إنجيل مرقس، بل أضيف لاحقاً من قبل ناسخ.

بشكل ما فإن المشكلة النصية هنا واضحة أكثر من مقطع المرأة الزانية، لأنه من دون هذه الآيات الأخيرة سيكون لإنجيل مرقس نهاية صعبة على الفهم، ولكن هذا لا يعني أن الباحثين مجبرون على قبول هذه الآيات كما سنرى مباشرةً. إن أسباب اعتقادنا أن هذه الآيات هي إضافة هي أسباب قوية وغير قابلة للجدال تقريباً، ولكن الباحثين يناقشون ما هي النهاية الأصلية لإنجيل مرقس، آخذين بعين الاعتبار أن هذه النهاية موجودة في عدد من الترجمات الإنكليزية (على الرغم من أنها معلّمة في بعض الترجمات على أنها غير أصلية) وفي المخطوطات اليونانية اللاحقة أنها ليست أصلية.

إن الأدلة على أن هذه الآيات ليست أصلية في إنجيل مرقس مشابهة لأدلة مقطع المرأة الزانية. ومجدداً أقول إنني لست بحاجة إلى الدخول في تفاصيل الآن، ولكن هذه الآيات غير موجودة في اثنتين من أقدم وأفضل المخطوطات لإنجيل مرقس. وبالإضافة إلى أدلة أخرى فإن أسلوب الكتابة يختلف عما نجده في أماكن أخرى من إنجيل مرقس. إن الانتقال بين هذا المقطع والمقطع السابق له صعب على الفهم (فعلى سبيل المثال مريم المجدلية يتم التعريف عنها في الآية التاسعة كما لو أنها لم تذكر من قبل، مع أنها ذكرت في الآيات السابقة. وهناك مشكلة أخرى مع النسخة اليونانية تجعل

الانتقال أكثر غرابة). هناك عدد كبير من الكلمات والعبارات غير الموجودة في أي مكان آخر من إنجيل مرقس. وهناك أدلة كافية لتقنع تقريباً كل الباحثين النصيين أن هذه الآيات مضافة إلى إنجيل مرقس. فمن دونها تكون نهاية القصة مفاجئة. لاحظ ما يحدث عندما تنزع هذه الآيات. يطلب من النسوة أن يخبرن تلاميذ المسيح بأنه سيسبقهم إلى الجليل وسيقابلهم هناك، ولكنهن يهربن من القبر، ولا يقلن شيئاً لأحد "لأنهن كن خائفات". وهكذا ينتهي الإنجيل.

من الواضح أن النساخ ظنوا أن النهاية تبدو مفاجئة جداً. ألم تخبر النسوة أي شخص؟ وعندها ألم يعرف التلاميذ بالقيام؟ ألم يظهر لهم المسيح؟ كيف يعقل أن تكون هذه هي النهاية؟ ولحل هذه المشكلة أضاف النساخ نهاية أخرى.

يتفق بعض الباحثين مع النساخ أن (8:16) هي نهاية مفاجئة بالنسبة لإنجيل، وكما أشرنا فإن هؤلاء الباحثين لا يعتقدون أن هذه الآيات الاثنتي عشرة الأخيرة في آخر المخطوطات لدينا هي النهاية الأصلية -إنهم يعرفون أن هذه ليست هي القضية- ولكنهم يظنون أنه من المحتمل أن الصفحة الأخيرة من إنجيل مرقس حيث يقابل المسيح تلاميذه بالفعل في الجليل قد ضاعت بشكل ما، وأن كل نسخنا التي نملكها من هذا الإنجيل تعود إلى تلك المخطوطة الناقصة دون الصفحة الأخيرة.

إن هذا التفسير محتمل بشكل كامل. ولكنه من المحتمل أيضاً برأي باحثين آخرين أن مرقس قد عنى بالفعل أن ينهي إنجيله بالآية 8 من الإصحاح (3:16) نهاية صادقة حقاً، إن تلاميذ المسيح لم يعلموا بقيامته لأن النسوة لم يخبرنهم بذلك. وأحد الأسباب التي تدفع للاعتقاد بأن مرقس قد أنهى

إنجيله بهذا الشكل أن هذه النهاية تندمج بشكل جيد مع دوافع أخرى في إنجيله. وكما لاحظ تلاميذ مرقس لوقت طويل فإن التلاميذ لم يفهموا الأمر في الإنجيل (على عكس بعض الأناجيل الأخرى) فقد ذكر عدة مرات أنهم لم يفهموا المسيح (6: 51-52، 8:21). وعندما أخبرهم المسيح في عدة مواقف أنه يجب أن يعاني ويموت فإنهم فشلوا في فهم كلماته بشكل واضح (8:32-33، 9:30-32، 10:33-40). ربما في الواقع لم يفهموا أبداً (على عكس قراء مرقس الذين فهموا من البداية من هو المسيح). أيضاً من المثير للاهتمام أننا نلاحظ في إنجيل مرقس أنه عندما يفهم شخص ما شيئاً عن المسيح فإن المسيح يأمره بالصمت، وعلى الرغم من ذلك ينطلق ذلك الشخص متجاهلاً هذا الأمر وناشراً الخبر (مثال 1:43-45). فكم يكون من سخرية القدر أن النسوة في القبر عندما يطلب منهن ألا يصمتن بل يتكلمن يتجاهلن الأمر أيضاً ويصمتن.

باختصار قد يكون مرقس قد تعمد أن يوصل قارئه إلى هذه النهاية المفاجئة كطريقة ذكية لجعل القارئ يتوقف، ويأخذ نفساً عميقاً، ويسأل: ماذا؟

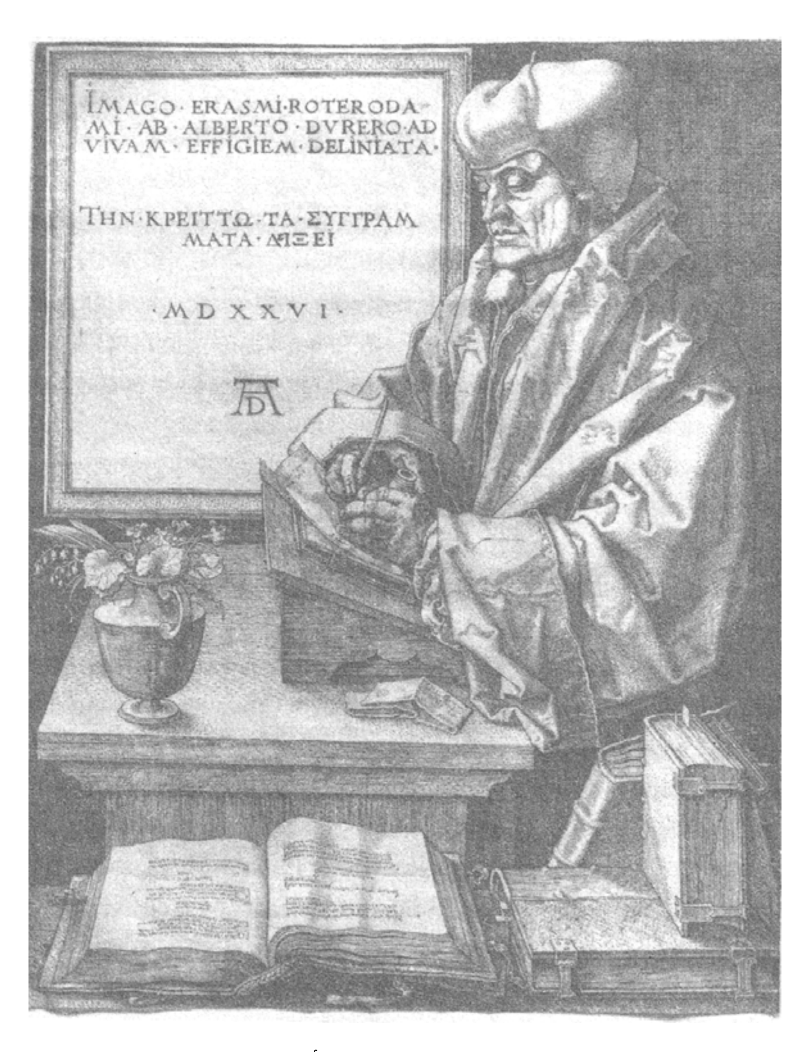
خلاصة

إن المقطعين اللذين نوقشا فيما سبق يمثلان مثالين من آلاف الأماكن التي خضعت لتغييرات من قبل النساخ. وفي كلا المقطعين فنحن نتعامل مع إضافات قام بها النساخ على النص، إضافات ذات حجم كبير. على الرغم من أن معظم التغييرات ليست بهذه الضخامة فإن العديد منها يعتبر مهماً (وإن الكثير غيرها ليس مهماً). في النسخ التي وصلتنا من العهد الجديد وفي الفصول اللاحقة سنرى كيف أن الباحثين قاموا باكتشاف هذه التغييرات

ووضعوا طرقاً للوصول إلى ما كان عليه النص الأصلي. وسنرغب بشكل خاص في معرفة أمثلة أخرى عن أماكن هذه التغييرات وكيف أثرت هذه التغييرات على الترجمة الإنكليزية للإنجيل.

أود أن أنهي هذا الفصل بملاحظة اكتشفناها. فكما رأينا في الفصل الأول فإن المسيحية كانت منذ انطلاقها ديانة كتابية شددت على نصوص معينة على أنها نصوص ذات ميثاقية. وكما رأينا في هذا الفصل أننا لا نملك هذه النصوص الموثوقة. إن هذه ديانة كتابية خضعت نصوصها لتغيرات وبقيت فقط في نسخ تختلف واحدتها عن الأخرى، أحياناً تختلف بشكل كبير. وتكون مهمة ناقد النص هي محاولة استعادة الشكل لأقدم لهذه النصوص.

إن هذه مهمة حرجة لأننا لا نستطيع أن نفسر كلمات العهد الجديد دون معرفة ما هي هذه الكلمات؟ -بالإضافة، وكما آمل أنه قد أصبح واضحاً الآن- أن العلم بهذه الكلمات مهم ليس لأولئك الذين يعتبرونها موحاة بشكل إلهي، إنه مهم لكل من يعتبر أن العهد الجديد كتاباً ذا أهمية. وبالتأكيد فإن كل شخص مهتم بتاريخ ومجتمع وحضارة الحضارة الغربية يعتقد ذلك، لأن العهد الجديد لا يمثل شيئاً آخر، لأنه كتاب محترم من قبل الملايين، وهو الأساس لأكبر ديانة اليوم.



صورة محفورة من بداية القرن السادس عشر بيد ألبريخت ديوير تصور ديسيديوس إيراموس العالم الإنساني الشهير من روتردام الذي أنتج أول نسخة منشورة من العهد الجديد اليوناني

3

نصوص العهد الجديد

التعديل – والمخطوطات – والاختلافات

إن عمليات النسخ التي كنا نتكلم عنها حتى الآن كانت في القرون الثلاثة الأولى للمسيحية عندما كان معظم نساخ النصوص المسيحية غير مدربين بشكل احترافي لهذا العمل. بل كانوا وبكل بساطة مسيحيين متعلمين من هذا المجتمع أو ذاك قادرين على القراءة والكتابة وما يدعى بإعادة إنتاج النصوص في وقت فراغهم. ولأنهم لم يكونوا غير مدربين بشكل كافٍ ليؤدوا هذا النوع من العمل، كانوا أكثر عرضة لاقتراف الأخطاء من النساخ المحترفين، وهذا يفسر ميل نسخنا القديمة من الأعمال المسيحية الأولى للاختلاف بعضها عن بعض وعن النسخ الأولى أكثر من اختلاف النسخ المصنوعة في العصور الوسطى. وأخيراً برزت طبقة من النساخ المحترفين لتصبح جزءاً من المشهد الفكري المسيحي. ومع ظهور النساخ المحترفين بدأ النسخ الأكثر انضباطاً، والذي قلّت فيه الأخطاء المرتكبة. قبل أن يحدث ذلك كانت النصوص المسيحية في القرون الأولى للكنيسة تنسخ في أي مكان تكتب أو ترسل إليه. ولما كانت النصوص تنسخ محلياً فليس من المفاجئ أن تظهر النصوص المنسوخة في أماكن مختلفة اختلافات بعضها عن بعض. ولتوضيح ذلك فإن المخطوطات المنسوخة في روما فيها أخطاء مشتركة كونها

نسخت محلياً واحدة عن الأخرى وكانت غير متأثرة بتلك المنسوخة في فلسطين. وتلك الموجودة في فلسطين أخذت شخصيتها الخاصة المختلفة عن تلك الموجودة في الإسكندرية في مصر. بالإضافة إلى ذلك في القرون الأولى للكنيسة فإن بعض الأماكن كانت لديها نساخ أفضل من أماكن أخرى. وقد ميز الباحثون المعاصرون أن النساخ في الإسكندرية - التي كانت مركزاً فكرياً هاماً في العالم القديم- كانوا أكثر تدقيقاً حتى في تلك القرون الأولى. ولذلك فقد حفظت النصوص الكتابية الأولى في الإسكندرية في المسيحية بشكل نقي جداً بواسطة نساخ مسيحيين، متفانين وموهوبين.

النساخ المسيحيون المحترفون

متى بدأت الكنيسة باستخدام نساخ محترفين لنسخ نصوصها؟ هناك أسباب جيدة للاعتقاد أن هذا حدث في وقت ما من بداية القرن الرابع، وحتى ذلك الحين فإن المسيحية كانت ديناً صغيراً وأقلية في الإمبراطورية الرومانية تضطهد أحياناً. ولكن تغييراً كبيراً حصل عندما اعتنق قسطنطين إمبراطور روما المسيحية حوالي 318م، وتحولت المسيحية فجأة من دين للمنبوذين اجتماعياً والمضطهدين من قبل الجماعات المحلية والسلطات الإمبراطورية على حد سواء إلى دين ذي دور رئيسي في المشهد الديني للإمبراطورية. حيث لم تتوقف الاضطهادات فحسب، بل انهمرت العطايا على الكنيسة من أقوى قوة في العالم، وهي الإمبراطورية الرومانية. ونتجت عن ذلك تحولات عظمى حيث أصبح أمراً مرغوباً أن يكون الشخص تابعاً للمسيح في عصر جاهر فيه الإمبراطور نفسه علناً إذعانه للمسيحية.

دخـل عـدد متـزايد مـن الأشـخاص المـثقفين وذوي الـتدريب العالـي إلى المسيحية، وكانـوا بـشكل طبيعـي الأشـخاص المناسـبين لنـسخ النـصوص المسيحية. وهـناك أسـباب قوية للاعتقاد أن حركة النسخ المسيحي قد نهضت في هـذه الفـترة، في المراكـز الحـضارية الكـبرى، إن المنسخ هـو مكـان للنـسخ الاحترافي للمخطوطات، ولدينا إشارات إلى مناسخ مسيحية كانت تعمل في الجـزء الأول مـن القـرن الـرابع، في عـام 331م كـتب الإمـبراطور قـسطنطين الـذي كـان يـريد تـوفير أناجيل رائعـة للكـنائس الكـبرى التي كان يبنيها طلباً لمطـران سـيزاريا يوسـيبيوس لينـسخ 50 إنجـيلاً علـى حـساب الـنفقة الإمبراطورية. عامـل يوسيبيوس هـذا الطلـب بكل التبجيل والاحترام الذي يستحقه، وأشـرف علـى تنفـيذه. ومـن الواضـح أن إنجازاً بهذا الحجم تطلب منسخاً احترافياً، ناهـيك عـن المـواد الـتي كانوا بحاجة إليها لصنع هذا العدد مـن النـسخ عـن الكـتب المقدسـة المسيحية. من الواضـح أن العصر قد اختلف عـن قـرن أو قـرنين مـضيا. حيث كانـت الكـنائس المحلية ستطلب ببساطة من أحد أفرادها أن يفرغ وقتاً كافياً ليصنع نسخة من نص.

بـدءاً مـن القـرن الـرابع المـيلادي بـدأت النـسخ تـصنع من قبل نساخ محترفين. وقلـل هذا بشكل طبيعي من عدد الأخطاء التي كانت تقترف في النص، وفي نهايـة الأمـر مـع تحـول العقـود إلى قرون أصبحت مهمة نسخ الكتاب المقدس عـن اليونانـية مهمـة الـرهبان الـذين كانـوا يعملـون في الأديـرة، الـذين كانـوا يقـضون أيـامهم وهـم ينـسخون النصوص بحذر وباستمرار، واستمرت هذه العملية حتى القرون الوسطى، حتى اختراع الطباعة في القرن الخامس عشر. إن عـدداً كـبيراً مـن المخطـوطات اليونانـية التي وصلتنا أتت من أقلام النساخ المـسيحيين في القـرون الوسـطى الـذين عاشـوا وعملوا في الشرق (على سبيل

المثال في مناطق هي الآن تركيا واليونان وتعرف بالإمبراطورية البيزنطية) ولذلك فإن المخطوطات اليونانية التي تعود إلى القرن السابع وما بعد تعرف بالمخطوطات البيزنطية.

كما أشرت فإن أي شخص له معرفة بمخطوطات العهد الجديد يعرف أن المخطوطات البيزنطية تميل لأن تشابه إحداها الأخرى. بينما تختلف النسخ الأقدم بعضها عن بعض وعن تلك المصنوعة في وقت سابق. ويجب أن يكون سبب ذلك واضحاً الآن، إن لذلك علاقة بمن ينسخ النصوص (محترفين) ومكان صنع هذه النسخ (في مناطق محصورة تقريباً). ولكنه سيكون خطأً كبيراً في الواقع أن نعتقد أنه على الرغم من ذلك أنه إذا كانت النسخ اللاحقة تتناسق بشكل بعضها مع بعض فإنها ستشكل مصدراً أساسياً لمعرفة ما كان النص الأصلي للعهد الجديد، لأنه يجب أن يسأل الشخص نفسه دائماً، من أين حصل النساخ في القرون الوسطى على النصوص التي نسخوها بهذا الشكل الاحترافي؟ لقد حصلوا عليها من نسخ أقدم، وكانت بدورها نسخاً عن نسخ أقدم. وكانت بدورها نسخاً عن نسخ أقدم منها، ولذا فإن النصوص التي تشكل أقرب شيء إلى النصوص الأصلية، ربما كانت على عكس المتوقع، النصوص التي تختلف بعضها عن بعض والتي صنعت في أوقات أقدم، وليست تلك المصنوعة بشكل احترافي في أوقات لاحقة.

الترجمة اللاتينية للكتاب المقدس (The Latin Vulgate)

إن أعمال النسخ التي كنت ألخصها تتضمن بشكل أساسي القسم الشرقي من الإمبراطورية الرومانية، حيث كانت اليونانية ولا تزال اللغة الأساسية.

ولكن لم يمض وقت طويل حتى رغبت الشعوب غير الناطقة باليونانية بترجمة للنصوص المقدسة إلى لغاتها المحلية. اللاتينية بالطبع كانت لغة معظم القسم الغربي من الإمبراطورية، السريانية كانت مستخدمة في سورية والقبطية في مصر. وترجمت أسفار العهد الجديد في كل من هذه المناطق.

من الترجمات المهمة تاريخياً الترجمة اللاتينية، لأن عدداً كبيراً من المسيحيين في الغرب كانوا يستخدمون هذه اللغة كلغة أساسية. ولكن المشكلات برزت بسرعة كبيرة بالنسبة للنسخ المترجمة إلى اللغة اللاتينية لأنه كان هناك العديد من الترجمات وكل منها تختلف بشكل واسع عن الأخرى ووصلت المشكلة إلى ذروتها بالقرب من نهاية القرن الرابع الميلادي عندما أمر البابا داماسوس أعظم باحث في عصره (جيروم) بأن يصنع نسخة رسمية من الترجمة اللاتينية يمكن أن تقبل من قبل جميع متكلمي اللاتينية كلغة رسمية. في روما وأماكن أخرى كنص موثوق به. ويتحدث جيروم نفسه عن العدد الكبير للترجمات المتوافرة ويكرس نفسه لحل هذه المشكلة وباختيار أفضل ترجمة لاتينية متوافرة ومقارنتها مع نص المخطوطات اليونانية تحت تصرفه. صنع جيروم نسخة جديدة من الأناجيل باللاتينية.

هذا الشكل من الإنجيل باللغة اللاتينية -ترجمة جيروم- أصبح يعرف على أنه الترجمة اللاتينية للكتاب المقدس (Latin Vulgate) للمسيحيين المتحدثين باللاتينية، لقد كان هذا هو الإنجيل المستخدم في الكنيسة الغربية، وأعيد نسخه مرات عديدة. لقد كان الكتاب الذي يقرؤه المسيحيون ويدرسه الباحثون ويستخدمه علماء اللاهوت لمدة قرون حتى فترة قريبة. وهناك الآن نسخ الترجمة اللاتينية ضعف عدد مخطوطات العهد الجديد اليونانية.

النسخة المطبوعة الأولى
من العهد الجديد اليوناني

كما أشرت سابقاً فإن نص العهد الجديد قد نسخ بشكل قياسي تقريباً في القرون الوسطى سواء في الشرق (النص البيزنطي) أو في الغرب (النص اللاتيني). ولقد كان اختراع الطباعة في القرن الخامس عشر من قبل يوهانس غوتنبرغ (1400-1468) هو ما غيّر كل شيء في إنتاج الكتب بشكل عام والإنجيل بشكل خاص. حيث يمكن أن يتأكد المرء أنه بواسطة طباعة الكتب بالحروف المتحركة فإن كل صفحة ستبدو مماثلة تماماً للصفحات الأخرى، دون اختلاف من أي نوع في كلماته. لقد انتهت تلك الأيام التي كان فيها النساخ ينتجون نسخاً مختلفة من النص نفسه بسبب تغييرات عرضية أو متعمدة. إن ما كان يجهز للطباعة كان وكأنه ينقش في الصخر. بالإضافة إلى ذلك فقد أصبحت الكتب تنتج بسرعة أكبر. فلم يعودوا بحاجة إلى نسخها حرفاً بحرف. فأصبح بالإمكان نتيجة لذلك جعلها أرخص بكثير، ولا يوجد ما يعادل التأثير الثوري لاختراع الطباعة في العالم الحديث. إن الشيء الذي يقترب منه (والذي يمكن أن يتجاوزه) هو ظهور الحاسوب الشخصي.

إن أول عمل ضخم يطبع في مطبعة غوتنبرغ كان نسخة رائعة من الإنجيل اللاتيني، وقد استغرق من (1450-1456) لإتمامه. وفي نصف القرن الذي تلا ذلك أنتجت ما يقارب من 50 نسخة من الإنجيل اللاتيني في مطابع مختلفة في أوروبا. وقد يبدو غريباً بعض الشيء أنه لم يكن هناك محاولات لطباعة نسخة من العهد الجديد اليوناني في تلك السنين الأولى للطباعة. لكن معرفة السبب ليست صعبة. إنه السبب الذي لمح إليه من قبل. إن الباحثين في كل أوروبا -ومن ضمنهم الباحثين الإنجيلين- قد تعودوا لما يقارب الألف عام

على الاعتقاد أن إنجيل جيروم اللاتيني هو إنجيل الكنيسة (كما أن بعض الكنائس الحديثة تفترض أن إنجيل الملك جيمس هو الإنجيل الحقيقي) كان يعتقد أن الإنجيل اليوناني غريب عن اللاهوت والتعليم، وكان يعتقد في الغرب اللاتيني أنه ينتمي إلى المسيحيين اليونان الأرثوذكسيين، الذين كانوا يعتبرون منشقين عن الكنيسة الحقيقية، وكان قلة من الباحثين في أوروبا الغربية يستطيعون قراءة اليونانية. ولهذه الأسباب لم يشعر أي شخص في البداية أنه مجبر على طباعة الإنجيل اليوناني.

كان أول باحث غربي يخطر له فكرة صنع نسخة من العهد الجديد اليوناني هو كاردينال إسباني اسمه زيمينيس ديرسيسنيدوس (1437-1517) الذي قامت مجموعة من العلماء تحت قيادته، ومن ضمنهم عالم اسمه دييغو لوبيز دي ستونيكا بإصدار نسخة مؤلفة من عدة مجلدات من الإنجيل وكانت هذه النسخة متعددة اللغات أي أنه تمت كتابة النص الإنجيلي بعدة لغات. ولذا مثل العهد القديم فيها بالنص الأصلي العبري والترجمة اللاتينية والترجمة اليونانية السبعينية جنباً إلى جنب في أعمدة (وما ظنه هؤلاء العلماء عن تفوق النص اللاتيني كان يرى في تعليقاتهم في المقدمة: لقد شبهوه بالمسيح ممثلاً بالنص اللاتيني مصلوب بين مجرمين، اليهود الكاذبين ممثلين بالنص العبري، واليونان المنشقين ممثلين بالترجمة السبعينية).

طبع هذا العمل في بلدة اسمها ألكالا واسمها اللاتيني كومبلوتوم. ولذلك سميت طبعة زيمينيس بطبعة كومبلوتوم متعددة اللغات. طبع المجلد الذي يحوي العهد الجديد أولاً (المجلد رقم 5 واكتمل عام 1514) واحتوى على النص اليوناني بالإضافة إلى قاموس يوناني لاتيني، ولكن لم يكن مخططاً أن تنشر هذه المجلدات منفصلة بعضها عن بعض. كانت المجلدات الست

(كان السادس يتضمن قواعد وقاموساً عبرياً ليساعد في قراءة المجلدات من (1-4)) ستنشر سوياً واستغرق ذلك وقتاً طويلاً انتهى العمل بأكمله في عام 1517. ولكن هذا كان إنتاجاً كاثوليكياً، وكان يجب أن يحصل على موافقة البابا ليو العاشر قبل أن ينشر، وقد حصل عليها عام 1520. ولكن وبسبب تعقيدات أخرى فإن هذا الكتاب لم يوزع حتى عام 1522. أي بعدما يقارب خمس سنوات من موت زيمينيس نفسه.

كما رأينا فقد كان هناك في ذلك الوقت عدة مئات من المخطوطات اليونانية (مكتوبة باليد) متوفرة للكنائس والعلماء المسيحيين في الشرق. كيف قرر ستونيكا وزملاؤه من المحررين أي تلك المخطوطات سيستعملون؟ وأي المخطوطات كانت متوافرة لديهم حقاً؟ لسوء الحظ فإن هذه الأسئلة لم يتمكن العلماء من الإجابة عنها بثقة. وفي إهداء العمل يعبر زيمينيس عن امتنانه للبابا ليو العاشر بسبب النسخ اليونانية التي أعارهم إياها من المكتبة الرسولية، ولذا فإن مخطوطات هذه الطبعة يمكن أن تكون قد جاءت من مقتنيات الفاتيكان. شك بعض العلماء أن المخطوطات التي كانت متوافرة محلياً هي التي استعملت. وبعد حوالي 250 عام من إنتاج طبعة كومبلوتوم زار باحث دانماركي اسمه مولدن هاور بلدة ألكالا لكي يستطلع مصادرهم الكتابية كي يستطيع الإجابة على السؤال، ولكنه لم يجد أي مخطوطات للعهد الجديد اليوناني، وظناً منه أن المكتبة كان لا بد أنها كانت تملك مخطوطات كهذه في وقت ما فقد قام بتحقيقات مستمرة حتى أخبره أمين المكتبة في نهاية المطاف أن المكتبة كانت تملك مخطوطات يونانية قديمة للعهد الجديد، ولكنه في عام 1749 بيعت كلها لصانع مفرقعات اسمه توريو على أنها ورق كتابة لا فائدة منه (ولكنها مناسبة لصنع المفرقعات).

قد حاول علماء في وقت لاحق أن يكذبوا هذه الرواية، فإنها على الأقل تظهر أن دراسة مخطوطات العهد الجديد اليونانية ليست علم صواريخ.

النسخة المنشورة الأولى من العهد الجديد اليوناني

على الرغم من أن النسخة متعددة اللغات المصنوعة في كومبلوتوم كانت النسخة المطبوعة الأولى من العهد الجديد اليوناني، فإنها لم تكن النسخة المنشورة الأولى. كما رأينا فإن نسخة كومبلوتوم كانت قد طبعت عام 1514 ولكنها لم ترَ النور حتى 1522. بين هذين التاريخين قام عالم هولندي جريء -المفكر الإنساني ديسيديريوس إيراسموس بإنتاج ونشر أول طبعة من العهد الجديد اليوناني، وعندها حصل على شرف تحرير النسخة المدعوة Editio princeps (أي أول طبعة منشورة)، درس إيراسموس العهد الجديد مع الأعمال العظيمة القديمة الأخرى على نحو متقطع لمدة سنوات، وفكر في وقت من الأوقات أن يجمع نسخة للطباعة. لكنه عندما زار بازيل في آب عام 1514 أقنعه ناشر يدعى يوهان فروبن بالمضي قدماً.

عرف إيراسموس وفروبن أن نسخة كومبلوتوم متعددة اللغات كانت قيد الإنجاز، لذا استعجلوا لنشر النص اليوناني بأسرع ما يمكن، بالرغم من أن التزامات أخرى منعت إيراسموس من أخذ هذه المهمة على محمل الجد حتى تموز 1515. في ذلك الوقت ذهب إلى بازيل للبحث عن المخطوطات المناسبة التي يمكن أن يستعملها كقاعدة لنصه. لم يكشف ثروة عظيمة من المخطوطات، لكن الذي وجده كان كافياً للمهمة. اعتمد للجزء الأكبر على مجموعة من المخطوطات من أواخر القرون الوسطى، ودققها كما لو أنه كان

يدقق نسخة مكتوبة يدوياً للطابعة، أخذ الطابع المخطوطات المدققة على هذا النحو وصفّ الحروف على أساسها مباشرةً.

يظهر أن إيراسموس اعتمد بشدة على مخطوطة واحدة فقط من القرن الثاني عشر للإنجيل وأخرى -أيضاً من القرن الثاني عشر- لكتاب أعمال الرسل والرسائل، بالرغم من أنه كان قادراً على الاطلاع على عدة مخطوطات أخرى والقيام بتصحيحات مستندة على قراءتها. كان لا بد أن يستعير مخطوطة لسفر الرؤيا من صديقه، جوانز روخلين، ومن سوء حظه فقد كان من المستحيل قراءة هذه المخطوطة في عدة أماكن وفقدت صفحتها الأخيرة التي احتوت على الآيات الست الأخيرة من السفر. وفي غمرة عجلته لإتمام النص استعان إيراسموس ببساطة بالنص اللاتيني مترجماً الأماكن المفقودة مرة أخرى إلى اليونانية صانعاً بذلك قراءات غير موجودة في أي من المخطوطات اليونانية الباقية حتى اليوم. وهذه كما سنرى، هي طبعة العهد الجديد اليوناني التي كانت تستخدم من قبل مترجمي إنجيل الملك جيمس لكل الأغراض العملية بعد قرن تقريباً.

بدأت طباعة نسخة إيراسموس في تشرين الأول 1515 وانتهت في خمسة أشهر فقط. تضمنت الطبعة النص اليوناني المجمع بعجلة ونسخة مدققة من النص اللاتيني جنباً إلى جنب (في الطبعات الثانية والثالثة ضمن إيراسموس ترجمته اللاتينية الخاصة للنص بدلاً من النص اللاتيني الأصلي مما سبب ذعراً للاهوتيين في عصره، الذين كانوا يعتبرون النص اللاتيني هو إنجيل الكنيسة). كان الكتاب ضخماً يتألف من ألف صفحة تقريباً. رغم ذلك كما قال إيراسموس نفسه لاحقاً فقد عُجل في طبعه بدلاً من تدقيقه (في تعبير لغته اللاتينية Praecipitatum Verius quam editum).

من المهم الاعتراف أن طبعة إيراسموس هي النسخة المنشورة الأولى من العهد الجديد اليوناني لا لأنها تشكل حكاية تاريخية مثيرة، لكن لأنه ومع تطور تاريخ النص أصبحت طبعات إيراسموس (صنع خمساً منها تستند جميعها على النسخة الأولى المجمعة على عجل بشكل قياسي) الشكل القياسي للنص اليوناني الذي ينشر في دور الطباعة الأوروبية الغربية لأكثر من ثلاثمئة عام. وقد تبعته عدة نسخ يونانية أنتجت من قبل ناشرين أسماؤهم معروفة للباحثين في هذا المجال: استيفانوس (روبرت استين)، وثيودور بيزا، وبونا فينتشر وأبراهام إلزيفير. اعتمدت كل هذه النصوص تقريباً على أية حال على نصوص سابقة تعود كلها إلى نص إيراسموس بكل عيوبه المستند على حفنة من المخطوطات فقط (أحياناً اثنتين فقط أو واحدة —أو في أجزاء من سفر الرؤيا ولا واحدة!) كانت قد أنتجت في وقت متأخر نسبياً من القرون الوسطى. لم تبحث دور الطباعة عن مخطوطات جديدة قد تكون أفضل وأقدم لكي تستند نصوصهم عليها. بدلاً من ذلك طبعوا ببساطة وأعادوا طباعة نفس النص مع القيام بتغييرات ثانوية فقط.

لكي نكون متأكدين فإن بعض هذه الطبعات هام. فعلى سبيل المثال طبعة استيفانوس الثالثة من 1550 تأتي أهميتها من كونها الطبعة الأولى التي تتضمن ملاحظات توثق الاختلافات بين بعض المخطوطات المستخدمة، طبعته الرابعة (1551) هامة أكثر لكونها الطبعة الأولى للعهد الجديد التي تقسم النص إلى آيات. حتى ذلك الحين كان النص يطبع مجملاً دون إشارات تقسمه إلى آيات. هناك حكاية مسلية عن كيفية اتخاذ استيفانوس قراراً بتقسيم النص إلى آيات (التي حفظ معظمها في ترجماتنا الإنكليزية). قرر ابنه لاحقاً أنه بينما كان مسافراً على ظهر حصان، بلا شك عنى أن أباه كان

يعمل على الطريق. وذلك بأنه كان يدخل أرقام الآيات في الأمسيات في الخانات التي كان يبيت فيها. ولكن بما أن ابنه قال بشكل حرفي إن استيفانوس قام بهذه التغييرات بينما هو على ظهر الفرس حيث تبين بعض الملاحظات المعوجة أنه كان يقوم بذلك حقاً أثناء الحركة، حيث إنه عندما كان حصانه يقع بمطب غير متوقع كان قلم استيفانوس يقفز، وهذا يفسر بعضاً من عمليات الترقيم الشاذة التي مازلنا نجدها في ترجماتنا الإنكليزية للعهد الجديد.

إن النقطة الأهم التي أحاول الوصول إليها على أية حال أن كل الطبعات اللاحقة، ومن ضمنها طبعة استيفانوس، تعود في النهاية إلى editio Princeps الخاصة بإيراسموس التي كانت مستندة على بعض المخطوطات اليونانية الحديثة وهي ليست موثوقة بالضرورة -مخطوطات صدف أنه وجدها في بازيل واستعار إحداها من صديقه روخلين- لن يكون هناك سبب للاعتقاد بأن هذه المخطوطات كانت عالية النوعية لقد كانت ببساطة ما تمكن من الحصول عليه.

في الحقيقة، فإن هذه المخطوطات لم تكن أفضل المخطوطات على ما يبدو، فقد كانت بعد كل شيء قد أنتجت بعد حوالي ألف ومئة عام من الأصل! فعلى سبيل المثال كانت المخطوطة الرئيسية التي استخدمها إيراسموس تحوي على كل من قصة المرأة الزانية والآيات الاثنتي عشر الأخيرة من إنجيل مرقس، تلك المقاطع التي لم تكن جزءاً من الإنجيل الأصلي، كما علمنا في الفصل السابق.

هناك مقطع رئيسي من الكتاب المقدس لم تتضمنه مخطوطات إيراسموس المصدرية، على كل حال، وهو مقطع رسالة يوحنا الأولى (5:7-8) التي

سماها الباحثون "فاصلة يوحنا"، وهي موجودة في مخطوطات النص اللاتيني، ولكنها غير موجودة في عدد كبير من المخطوطات اليونانية؛ مقطع هو المفضل لدى اللاهوتيين المسيحيين منذ وقت طويل، بما أنه المقطع الوحيد في الإنجيل كله الذي يوضح بجلاء ماهية الثالوث، أي أن هناك ثلاثة أشخاص في الألوهة، ولكن الثلاثة يشكلون إلهاً واحداً. ويُقرأ النص في اللاتينية:

"هناك ثلاثة يشهدون في السماء: الأب، والكلمة والروح، وهؤلاء الثلاثة هم واحد، وهناك ثلاثة يشهدون على الأرض وهم الروح، والماء والدم وهؤلاء الثلاثة هم واحد".

إنه مقطع غامض ولكن لا معادل له في دعمه لتعاليم الكنيسة التقليدية أن هناك "إله واحد ثلاثي الأقانيم". ودون هذه الآية يجب أن يستنتج مفهوم الثالوث من عدة مقاطع مجتمعة لتظهر أن المسيح هو إله كما هو الروح والأب، ومع ذلك فإن هناك إلهاً واحداً. بينما يوضح هذا المقطع ذلك بشكل مباشر ومختصر جداً.

لكن إيراسموس لم يجده في المخطوطات اليونانية، حيث تُقرأ بدلاً من ذلك وبكل بساطة: "هناك ثلاثة شهود عيان: الروح، والماء والدم وهؤلاء الثلاثة هم واحد" أين اختفت "الأب، والكلمة والروح"؟ لم يكونوا موجودين في مخطوطة إيراسموس الأساسية أو أي من المخطوطات الأخرى التي استعملها، وبالتالي، فقد تركها وبشكل طبيعي خارج طبعته الأولى من النص اليوناني.

لقد كان هذا سبب غضب اللاهوتيين في عصره، أكثر من أي شيء آخر، الذين اتهموا إيراسموس بالتلاعب بالنص في محاولة لإلغاء فكرة الثالوث، وإزالة قيمة ما تكشف بالمقابل، أي فكرة ألوهية المسيح الكاملة. وقام

ستونيكا -رئيس محرري نسخة كومبلوتوم متعددة اللغات- بذم إيراسموس علناً، وأصر على أن يرجع الآية إلى مكانها الصحيح في أية نسخ مستقبلية.

مع مضي القصة، وافق إيراسموس -ربما في لحظة سهو- على أنه سيدخل الآية في نسخة مستقبلية من نصه اليوناني للعهد الجديد مع وجود شرط واحد: أن يقدم خصمه مخطوطة يونانية تحوي على هذه الآية (حيث إن إيجادها في مخطوطة لاتينية كان غير كافٍ). وهكذا صنعت مخطوطة يونانية. في الواقع، إنها صنعت لهذه المناسبة. يبدو أن أحدهم نسخ نص الرسائل اليوناني وعندما وصل إلى المقطع المتنازع عليه ترجم النص اللاتيني إلى اليونانية معطياً "فاصلة يوحنا" بشكلها المألوف والمفيد. لاهوتياً، وبكلمات أخرى فإن المخطوطة التي قدمت لإيراسموس كانت مصنوعة في القرن السادس عشر، حسب الطلب.

على الرغم من المعطيات الخاطئة، ضمّن إيراسموس- حفاظاً على كلمته "فاصلة يوحنا" في نسخته التالية وفي كل النسخ التالية. وأصبحت تلك النسخ -كما ذكرت آنفاً- أساسات لنسخ من العهد الجديد اليوناني أعيد إنتاجها مراراً وتكراراً من قبل أشخاص مثل: استيفانوس، بيزا وإلزيفيير. أمنت هذه النسخ شكل النص الذي استخدمه مترجمو إنجيل الملك جيمس في نهاية الأمر. وهكذا تضمن الإنجيل الإنكليزي مقاطع مألوفة للقراء —من عصر الملك جيمس عام 1611 وصولاً إلى طبعات حديثة في القرن العشرين- كالمرأة الزانية، والآيات الاثنتي عشرة الأخيرة من إنجيل مرقس وفاصلة يوحنا، على الرغم من أنه لم يوجد أي من هذه المقاطع في المخطوطات الأقدم والأكثر صحة من العهد الجديد اليوناني. حيث إن هذه المقاطع دخلت إلى الفكر الإنكليزي عن طريق الصدفة التاريخية البحتة، مستندة على مخطوطات وجدها إيراسموس مفيدة، وأخرى ملفقة لمصلحته.

إن النسخ المختلفة في القرنين السادس عشر والسابع عشر كانت متشابهة جداً إلى حد أن أصحاب دور الطباعة ادعوا في نهاية الأمر أنها كانت هي النص المقبول عالمياً من قبل جميع الباحثين وقارئي العهد الجديد اليوناني - وقد كانت كذلك بالفعل، كما أنه لم يكن هناك مناقشة. والادعاء الذي يقتبس منه بشدة موجود في طبعة أنتجت عام 1633 من قبل أبراهام وبونافينتشور إلزيفير (الذين كانا قريبين) بحيث أخبرا قراءها بكلمات أصبحت -منذ ذلك الحين- مشهورة بين الباحثين، أنه "أنتم تملكون الآن النص الذي قبل من الجميع، والذي ليس فيه أي شيء مغير أو مفسد". إن صياغة هذه الجملة، وخاصةً كلمات "نص قبل من الجميع" تزودنا بالعبارة الشائعة Textus Receptus (واختصاراً T.R) وهو مصطلح مستخدم من قبل نقاد النصوص للإشارة إلى النص اليوناني المستند على النص المنشور أصلاً من قبل إيراسموس وسُلم للطباعة لأكثر من ثلاث مئة عام، وليس على أقدم وأفضل المخطوطات، حتى بدأ الباحثون النصيون بالإصرار على أن العهد الجديد اليوناني يجب أن يؤسس على مبادئ علمية مستندة على أقدم وأفضل المخطوطات، لا أن تطبع مجدداً كالعادة. لقد كان الشكل الرديء من "النص المقبول" هو الذي يشكل قاعدة للترجمات الإنكليزية الأولى، ومن ضمنها إنجيل الملك جيمس ونسخ أخرى حتى نهاية القرن التاسع عشر.

جهاز ميل للعهد الجديد اليوناني

بدا النص اليوناني للعهد الجديد في ذلك الحين - كما لو أنه ذو أساسات قوية بالنسبة لمعظم الباحثين الذين استطاعوا أن يستفيدوا من النسخ المطبوعة

في القرنين السادس عشر والسابع عشر. فبعد كل شيء فإن كل النسخ كانت متشابهة تقريباً في كلماتها. ومع ذلك فإنه ومن حين إلى آخر كان باحث يكرس نفسه لاكتشاف وملاحظة أن المخطوطات اليونانية كانت تختلف عن الشكل المطبوع المألوف للنص. لقد رأينا أن استيفانوس في نسخته عام 1550 ضمّن ملاحظات هامشية يحدد فيها أماكن الاختلافات بين المخطوطات العديدة التي تفحصها (وعددها 14). وفي نسخ لاحقة -في القرن السابع عشر- منشورة من قبل باحثين إنكليز مثل براين والتون وجون ميل اللذين أخذا الاختلافات في المخطوطات الباقية (والمتوافرة) بجدية أكبر، ولكن أحداً لم يدرك حجم مشكلة الاختلافات النصية حتى نشر واحد من الكتب الكلاسيكية في النقد النصي للعهد الجديد عام 1707. كتاب كان له تأثير كارثي على دراسة نقل العهد الجديد اليوناني، فاتحاً بوابات الفيضان التي أجبرت الباحثين على أخذ الوضع النصي للعهد الجديد لدينا على محمل الجد.

كان ذلك الكتاب هو نسخة من العهد الجديد اليوناني مكتوب من قبل جون ميل، زميل في جامعة كوينز، أوكسفورد. لقد استثمر ميل ثلاثين عاماً من العمل الشاق في جمع مواد لنسخته. إن النص الذي طبعه كان بكل بساطة نسخة استيفانوس من عام 1550، ولكن المهم بالنسبة لميل لم يكن النص الذي استخدمه، بل القراءات المختلفة التي وضعها في جهاز نقدي. لقد كان لدى ميل إمكانية الوصول إلى ما يقارب مئة مخطوطة يونانية من مخطوطات العهد الجديد. بالإضافة إلى ذلك، فقد فحص بعناية كتابات آباء الكنيسة الأوائل ليرى كيف كانوا يقتبسون النص- على افتراض أنه بإمكان الشخص أن يعيد صياغة المخطوطات المتوافرة لهم عن طريق فحص اقتباساتهم. فضلاً عن ذلك، فإنه على الرغم من عدم قدرته على قراءة

عدة لغات قديمة -عدا اللاتينية- فقد استخدم نسخة منشورة سابقاً من قبل والتون ليرى أين كانت النسخ الأولى المكتوبة بلغات مثل السريانية والقبطية تختلف عن اليونانية.

على أساس هذا الجهد على مدى ثلاثين عاماً مجمعاً المواد، نشر ميل نصاً مع أداة، حيث أشار فيه إلى أماكن الاختلافات في جميع المواد المتوافرة لديه. ولصدمة العديد من قرائه فقد عزل جهاز ميل ما يقارب ثلاثين ألف موضع اختلاف ضمن المخطوطات الناجية، ثلاثون ألف موضع حيث كانت مخطوطات، وكتابات لآباء الكنيسة ونسخ مختلفة تحوي قراءات مختلفة لمقاطع من العهد الجديد.

لم يفرغ ميل كل ما في جعبته في عرضه للبيانات التي جمعها. لقد وجد في الواقع أكثر من ثلاثين ألف اختلاف بكثير. ولم يدون كل شيء اكتشفه مستثنياً اختلافات، كالاختلاف في ترتيب الكلمات. ومع ذلك، فإن المعلومات التي ذكرها كانت كافية لترعب القراء وتبعدهم عن الغرور الذي أصيبوا به مستندين على إعادة النشر المستمرة لنص إيراسموس، والافتراض الطبيعي أن ذلك النص هو النص "الأصلي" للعهد الجديد اليوناني. أما الآن فقد طرح وضع النص الأصلي للنقاش بشكل واسع. إذا لم يكن المرء يعرف أية كلمات هي الأصلية في العهد الجديد اليوناني، فكيف يمكن له أن يستخدم هذه الكلمات في تقرير الوصايا والتعاليم المسيحية الصحيحة؟

الجدل الذي أثاره جهاز ميل

لقد كان تأثير كتاب ميل محسوساً مباشرة، على الرغم من أنه هو نفسه لم يعش ليرى الأحداث تتوالى. مات نتيجةً لسكتة قلبية بعد أسبوعين فقط من

نشر عمله الضخم. إن موته السابق لأوانه (والذي قيل إنه بسبب تناوله المفرط للقهوة) لم يمنع المنتقدين من مهاجمته بكل حال. إن الهجوم الأشد قسوة جاء بعد ثلاث سنوات في مجلد ضخم كُتب من قبل مجادلٍ اسمه دانييل ويتبي ونشر عام 1710 مجموعة ملاحظات عن تفسير العهد الجديد أضاف إليها ملحقاً من مئة صفحة يفند فيها وبتفصيل شديد الاختلافات التي وجدت من قبل ميل وجهازه. لقد كان ويتبي لاهوتياً مجادلاً بروتيستانتياً وكان مفهومه الأساسي هو أنه بالرغم من أن الله لم يمنع بالتأكيد الأخطاء من الوصول إلى مخطوطات العهد الجديد، فإنه في الوقت ذاته لن يسمح نهائياً أن يفسد النص (أي يعدل) لدرجة أنه لا يعود صالحاً لأن يحقق غايته وهدفه الإلهي. وهكذا اشتكى قائلاً: "أنا حزين، ولذلك أنا نكد أنني وجدت الكثير من الأشياء في كتاب ميل. يبدو أنها تظهر تقوّض الثقة المثلى وفي أفضل الحالات فإنها تعطي الآخرين سبباً جيداً للشك".

يتابع ويتبي في اقتراحاته أن الباحثين الرومان الكاثوليك -الذين يسميهم بالباباويين- سيكونون مسرورين جداً بأن يكونوا قادرين أن يظهروا مستندين إلى أساسات غير مؤكدة من نص العهد الجديد اليوناني أن الكتاب المقدس لا يحمل موثوقية كافية للإيمان وأن موثوقية الكنيسة هي الأساس. ويقول: "لقد جادل مورينوس (باحث كاثوليكي) لإفساد النص اليوناني الذي يرد عدم موثوقيته إلى اختلاف القراءات التي وجدها في العهد الجديد اليوناني المكتوب من قبل استيفانوس، ما النصر الذي سيحققه الباباويون على النص نفسه عندما يرون الاختلافات التي تضاعفت أربع مرات بعد جهد ميل لمدة ثلاثين عاماً من العمل؟". يتابع ويتبي ليناقش أن نص العهد الجديد هو صحيح في الواقع، بما أن ندرةً من الأخطاء الموردة من قبل ميل

تتضمن مقطعاً من الإيمان أو تشكك في السلوكيات، وأن الأغلبية العظمى من اختلافات ميل لا تؤثر على الميثاقية.

لربما نوى ويتبي أن يكون لتفنيده تأثير دون أن يقرأه أحد. لقد كان عبارةً عن مجلد كثيف منتفخ، مكوناً من مئة صفحة غير جذابة من صفحات الجدال المغلق، حيث يحاول الوصول فيه إلى غرضه عبر كتل متراكمة من التفنيدات.

لربما كان دفاع ويتبي قد حل القضية عندها لولا أنها أخذت من قبل أولئك الذين استخدموا اختلافات ميل بالطريقة التي خشيها ويتبى تماماً حيث إنهم طرحوا فكرة أن نص الكتاب المقدس لا يمكن أن يوثق به لأنه نفسه غير صحيح. وكان رئيس المدافعين عن هذه النقطة الربوبي الإنكليزي أنتوني كولينز صديق وتابع لجون لوك الذي كتب عام 1713 كتيباً عنوانه "*محاضرة في التفكير الحر*" الذي كان عملاً مثالياً من الفكر الربوبي في القرن الثامن عشر حيث ناقش أسبقية المنطق والأدلة على الإيحاء. (ومثال ذلك في الإنجيل ادعاءات الأعجوبيين). وفي القسم الثاني من الكتاب الذي يعالج مسائل دينية يعلق كولينز أنه حتى رجال الدين المسيحيين (أي ميل) كانوا يعملون لإثبات أن نص الكتاب المقدس غير ثابت، وهو بذلك يشير إلى الاختلافات الثلاثين ألفاً التي وجدها ميل.

"إذا لم نكن سنصدق المؤلف الحكيم (كولينز) فقط، بل طبيبكم الأكثر حكمة (ويتبي) فإن (ميل) كان يعمل كل ذلك الوقت لإثبات أن نص الكتاب المقدس مشكوك فيه، فما الذي يندد به ويتبي ويصرخ من أجله كما يقول؟ فإن عمل الطبيب يجعل النص كله مشكوكاً فيه، ويعرِّض كلاً

من الإصلاح الديني من قبل البابابويين والدين ذاته للملحدين لا سمح الله! فنحن ما زلنا نتأمل أشياء أفضل.

لقد وجدت تلك القراءات المختلفة قبل عدة نماذج. إن الدكتور ميل لم يصفها أو يسكها فقط. إذا كان الدين حقيقياً قبل ذلك مع وجود هذه القراءات المختلفة فسيكون آمناً كما كان على الرغم من أن كل شخص يراها. اعتمد على قولي لا حقيقة ولا نقاشاً مفتوحاً لأي مسألة يمكن أن تخرب ديناً حقيقياً" .

بنتلي، خبير بالتقاليد النصية للكلاسيكيين، يتابع ليشير إلى أن المرء يتوقع أن يجد تغييرات نصية عندما يكتشف عدداً كبيراً من المخطوطات. فإذا كان هناك مخطوطة واحدة من العمل فلن يكون هناك تغييرات نصية. وعندما تكتشف مخطوطة ثانية فإنها ستختلف عن الأولى في عدة أماكن. وهذا ليس شيئاً سيئاً فإن عدداً من القراءات المختلفة سيظهر الأماكن التي حافظت فيها المخطوطة الأولى على النص الأصلي. أضف مخطوطة ثالثة وستجد قراءات مختلفة إضافية. لكنك ستجد أيضاً أماكن إضافية حوفظ فيها على النص الأصلي (أي حين تتفق المخطوطتان الأوليان على خطأ ما) وهكذا يستمر الأمر، كلما اكتشفت مخطوطات أكثر وجدت قراءات مختلفة أكثر، ولكن زادت أيضاً احتمالية وجود مكان ما بين تلك الاختلافات يمكن فيه للمرء أن يكشف عن النص الأصلي. ولذا فإن التغييرات الثلاثين ألفاً التي كشفت من قبل ميل لا تنقص من سلامة العهد الجديد بل إنها تؤمن المعلومات التي يجب على الباحثين العمل عليها لتأسيس النص، نص يكون موثقاً بشكل أكبر من أي نص آخر من العالم القديم.

كما سنرى في الفصل القادم فإن هذا الخلاف حول ما نشره ميل أقنع بنتلي في النهاية بتحويل قدراته الفكرية الرائعة إلى مسألة تأسيس أقدم نص متوفر من العهد الجديد ولكن قبل نقل ذلك إلى المناقشة ربما يجب أن نتراجع خطوة لنرى أين نحن اليوم بالنسبة لاكتشاف ميل المدهش من ثلاثين ألف اختلاف في مخطوطات العهد الجديد.

وضعنا الحالي

في حين أن ميل فحص ما يقارب من مئة مخطوطة يونانية ليكتشف الاختلافات الثلاثين ألفاً فإننا اليوم نعرف أكثر، أكثر بكثير وفق الإحصاء الأخير. أكثر من 5700 مخطوطة يونانية اكتشفت وصنفت، وهذا يعني 57 ضعفاً لما كان يعرفه ميل عام 1707. إن هذه المخطوطات تحتوي كل شيء من أصغر الأجزاء من المخطوطات -بحجم بطاقة الائتمان- إلى المخطوطات الرائعة الضخمة محفوظة كاملة. بعضها يحتوي على سفر واحد من أسفار العهد الجديد ومخطوطات أخرى تحوي مجموعة صغيرة (على سبيل المثال الأناجيل الأربعة أو رسائل بولس) وبعضها القليل يحتوي على العهد الجديد كاملاً. وهناك بالإضافة إلى ذلك العديد من النسخ الأولى المختلفة (ترجمات) العهد الجديد.

يتراوح تاريخ هذه المخطوطات من أوائل القرن الثاني (وجد جزء صغير يدعى P^{52} ويحتوي على عدة آيات من الإصحاح 18 من إنجيل يوحنا) وصولاً إلى القرن السابع عشر. تختلف هذه المخطوطات بالحجم بشكل كبير. بعضها نسخ صغيرة يمكن أن تتسع لها راحة اليد كنسخة قبطية لإنجيل متى تدعى Codex Scheide وقياسها 5×4 بوصة، ومخطوطات أخرى كبيرة

ورائعة من ضمنها Codex Sinaiticus المذكورة سابقاً، والتي يصل قياسها إلى 135×15 بوصة، حيث إنها تنتشر بشكل رائع عندما تفتح بأكملها. وبعض هذه المخطوطات رخيصة ومنتجة على عجل وبعضها نسخ على صفحات مستعملة (حيث كانت تمسح وثيقة ما ويكتب نص العهد الجديد فوق الصفحة الممحية)، وكانت نسخ أخرى مترفة وغالية الثمن بشكل كبير، ومن ضمنها بعض المخطوطات المكتوبة على ورق مصبوغ بالأرجوان مكتوبة بحبر فضي أو ذهبي.

كقاعدة يتكلم العلماء عن 4 أنواع من المخطوطات اليونانية:

1. النوع الأقدم هو مخطوطات ورق البردي المكتوبة على مادة مصنوعة من قصب البردي. وهي مادة مهمة ولكنها رخيصة وفعالة للكتابة في العالم القديم، ويعود استخدامها إلى الفترة بين القرن الثاني والقرن السابع.
2. الحرف الكبير (مكتوبة بحروف كبيرة) هي مخطوطات تصنع من رق الكتابة (جلود حيوانية). وقد سميت على اسم الحروف الكبيرة التي تشبه الحروف الكبيرة المستخدمة في الإنكليزية اليوم. ويعود تاريخ معظمها إلى الفترة بين القرن الرابع والقرن التاسع.
3. الحرف الصغير (مكتوبة بحروف صغيرة) هي مصنوعة أيضاً من رق الكتابة، ولكنها مكتوبة بحروف أصغر وتضم بعضها إلى بعض (دون أن يترك القلم الصفحة) حيث تشكل ما يشبه المكافئ اليوناني للكتابة المتصلة، ويعود تاريخها إلى القرن التاسع فما بعد.
4. العظات: تكتب عادةً بحروف صغيرة، ولكن بدلاً من أن تحوي أسفار العهد الجديد فإنها تحوي على مجموعة من القراءات أخذت من العهد

الجديد وتستعمل في الكنيسة في كل أسبوع أو في المناسبات الدينية مثل العظات المستخدمة في الكنائس اليوم.

بالإضافة إلى هذه المخطوطات اليونانية، فنحن نعرف حوالي 10000 مخطوطة من النسخة اللاتينية، ناهيك عن ذكر مخطوطات النسخ الأخرى مثل السريانية والقبطية والأرمنية والجورجية القديمة وكنيسة سالفونيك وما إلى ذلك (تذكر أن ميل وصل إلى بضع نسخ قديمة فقط، وكان يعرف منها فقط ترجمتها اللاتينية). بالإضافة إلى ذلك لدينا كتابات آباء الكنيسة مثل كليمنت الإسكندراني وأوريغن وأثانسيوس من بين اليونانيين وتريتوليان وجيروم وأوغسطين من بين اللاتينيين، وكانوا جميعاً يقتبسون من العهد الجديد في أماكن مختلفة جاعلين بالإمكان إعادة بناء ما كانت مخطوطاتهم تبدو عليه.

بوجود عدد كبير من الأدلة ماذا يمكننا أن نقول عن العدد الكلي للاختلافات المعروفة اليوم؟ يختلف الباحثون بشكل كبير في تقديراتهم؛ بعضهم يقول إن هنا 200 ألف اختلاف معروف، وبعضهم 300 ألف وبعضهم يقول 400 ألف أو أكثر. فنحن لا نعرف بشكل مؤكد لأنه على الرغم من التطور الكبير والمذهل في تقنية الحاسوب فإنه لم يستطع أحد بعد أن يعدها كلها. ربما يكون من الأفضل -كما أشرت مسبقاً- تركها ببساطة كمسألة مقارنة. هناك اختلاف بين المخطوطات التي لدينا أكثر من الكلمات الموجودة في العهد الجديد.

أنواع التغييرات في المخطوطات

إذا كنا نعاني من مشكلات في التكلم عن عدد التغييرات الموجودة فماذا يمكننا أن نقول عن أنواع التغييرات الموجودة في هذه المخطوطات؟ إن

الباحثين اليوم يميزون عادةً بين تغييرات يبدو أنها قد اقترفت بطريق الخطأ عن طريق أخطاء كتابة، وتلك المتعمدة بتخطيط مسبق. إن هذه المعايير ليست معايير قاسية وسريعة ولكنها لا تزال ملائمة، يمكن للمرء أن يرى كيف يمكن لناسخ أن ينسى كلمة سهواً (تغيير غير مقصود) ولكنه من الصعب أن يفهم كيف يمكن أن تضاف الآيات الاثنتا عشرة من إنجيل مرقس بزلة قلم.

وهكذا قد يكون من المفيد أن أنهي هذا الفصل بعدة أمثلة عن كل نوع من هذه التغييرات.

التغييرات العرضية

إن زلات القلم العرضية دون شك كانت واسعة الانتشار كما رأينا، بسبب أن المخطوطات اليونانية كانت كلها مكتوبة بالخط المستمر دون علامات ترقيم في معظم الأحيان، وأيضاً دون فراغات بين الكلمات. وهذا يعني أن الكلمات التي تبدو متماثلة كانت غالباً تُقرأ خطأً واحدةً بدل الأخرى فعلى سبيل المثال في رسالة كورنثوس الأولى، الإصحاح (5)، الآية (8) يخبر بولس قراءه أنهم يجب أن يتشاركوا في المسيح حمل الفصح، وأنهم يجب أن لا يأكلوا الخميرة القديمة. خميرة الخبث والشر. إن الكلمة الأخيرة شر تكتب في اليونانية (PONERAS) وهي كما تبين تبدو بشكل مشابه جداً للخطيئة الجنسية (PORNEIAS) إن الاختلاف بين المعنيين يمكن أن لا يكون كبيراً لهذه الدرجة، ولكنه من الصادم أنه في بعض المخطوطات الباقية فإن بولس يحذر حصراً من الخطيئة الجنسية، وليس الشر بشكل عام.

هذا النوع من أخطاء الكتابة كان سببه في معظم الأحيان بسبب الظروف أن النساخ أحياناً يختصرون كلمات معينة ليوفروا الوقت والمساحة. إن الكلمة اليونانية المقابلة لحرف العطف واو على سبيل المثال هي KAI وكان النساخ يكتبونها ببساطة بواسطة حرفها الأول K مع وجود انحراف في أسفلها ليشير إلى أنها اختصار. ومن الاختصارات الشائعة أيضاً ما وجده أو ما سماه الباحثون بالأسماء المقدسة، وهي مجموعة كلمات مثل الله، المسيح، الرب، يسوع والروح وقد كانت تختصر لسببين؛ إمّا بسبب أنها كانت متكررة في النص، أو لإظهار أنها كانت تولى عناية خاصة. إن هذه الاختصارات المتعددة قادت أحياناً النُساخ اللاحقين إلى الاضطراب وقد خلطوا بين اختصار واختصار آخر أو قرؤوه خطأً ككلمة تامة. فعلى سبيل المثال: في رسالة روما الأولى (12:11) يحثّ بولس قراءه على عبادة الرب، ولكن كلمة رب (KURIW) كانت تختصر عادةً في المخطوطات على شكل (KW) (ومع وجود خط يرسم فوقها) وقد أخطأ بعض النُساخ الأوائل في قراءتها كاختصار لكلمة (KAIRW) التي تعني "وقت". وهكذا في تلك المخطوطات يحث بولس قراءه على عبادة الوقت.

بشكل مشابه في رسالة كورنثوس الأولى، الإصحاح (12) يشير بولس أن كل شخص في المسيح قد "عُمِّد في جسد واحد" وأن الجميع قد "شَرِبَ من روح واحدة" إن كلمة روح (PNEUMA) كانت تختصر في معظم المخطوطات كـ (PMA) مع خط مرسوم فوقها وهي وبشكل قابل للفهم يمكن. وكانت تقرأ خطأً من قبل بعض النساخ على أنها الكلمة اليونانية مشروب (POMA). وبالتالي فإنه في هذه الآية يقال إن بولس يشير إلى أن الجميع قد "شربوا من مشروب واحد".

أحد أنواع الأخطاء الشائعة في المخطوطات اليونانية كان يحدث عندما يكون هناك سطران من النص ينسخان ينتهيان بالحرف نفسه أو الكلمة نفسها، فإن الناسخ قد ينسخ السطر الأول من النص، وعندما يعود بعينيه إلى الصفحة ويرى الكلمات نفسها على السطر التالي يقوم بنسخ السطر التالي بدلاً من متابعة النسخ في السطر الأول ناسياً الكلمات فيما بينهما، أو ربما الأسطر. إن هذا النوع من الأخطاء يسمى أحياناً بزلة العين الناجمة عن النهايات المتشابهة. أنا أعلِّم تلاميذي أنهم بإمكانهم أن يطالبوا بتعليم جامعي عندما يمكنهم أن يتكلموا بذكاء عن زلات العين المسببة من قبل النهايات المتشابهة.

لتوضيح ذلك يمكننا أن نرى النص من إنجيل لوقا، الإصحاح (12:8-9) وهو:

8" من يعترف بي أمام الناس فإن ابن الإنسان سيعترف به أمام ملائكة الله، 9 ومن ينكرني أمام الناس سينكر أمام ملائكة الله"

إن مخطوطتنا الأقدم والتي كُتِبت على رق بردي في هذا المقطع تُسقِط الآية رقم (9) كلياً وليس من الصعب أن نرى كيف اقترف هذا الخطأ لقد نسخ الناسخ كلمات "أمام ملائكة الله" في الآية (8). وعندما عادت عينه إلى الصفحة رأى نفس الكلمات في الآية (9) فافترض أن هذه هي الكلمات التي نسخها للتو. ومن ثَمَّ تابع نسخ الآية (10) تاركاً الآية (9) بأكملها.

يمكن لهذا النوع من الأخطاء أحياناً أن يكون أكثر خطراً على معنى النص ففي إنجيل يوحنا الإصحاح (15:17) على سبيل المثال يقول المسيح في صلاته لله عن أتباعه:

"لست أسأل أن تأخذهم من العالم بل أن تحفظهم من الشرير" حيث إنه وفي واحدة من أفضل مخطوطاتنا (Codex Vaticanus من القرن الرابع) فإن الكلمات من "عالم....من الـ" أهملت. وبالتالي فإن المسيح يقول الصلاة غير الملائمة "أنا لا أطلب أن تأخذهم من الشرير".

كانت هذه الأخطاء العرضية تقترف أحياناً بسبب أن الكلمات تكون متشابهة في اللفظ وليس لأنها تبدو متشابهة في الكتابة. قد يحدث هذا على سبيل المثال عندما ينسخ كاتب نصاً بالإملاء، حيث يقرأ أحد النساخ من مخطوطة ويكون ناسخ أو أكثر ينسخون الكلمات إلى مخطوطات جديدة، كما كان يحدث أحياناً في المناسخ بعد القرن الرابع. فإذا كانت كلمتان تلفظان بشكل مشابه، فإن الناسخ الذي يقوم بالنسخ قد يقوم بشكل غير متعمد باستخدام كلمة خاطئة في نسخته، وخاصة إذا كانت تتماشى بشكل جيد (ولكنه خاطئ) مع النص. ويبدو أن هذا هو ما حدث على سبيل المثال في الرؤيا (5:1) حيث يصلي الكاتب إلى الذي أعتقنا من خطايانا. إن كلمة أعتقنا (LUSANTI) تلفظ تماماً ككلمة غسلنا (LOUSANTI). وبالتالي ليس من المدهش أنه في عدد من مخطوطات القرون الوسطى فإن الكاتب يصلي إلى "الذي غسلنا من خطايانا".

هناك مثال آخر من رسالة بولس إلى أهل روما، حيث يبين بولس أنه "فإذ قد تبررنا بالإيمان لنا سلام مع الله" (روما 5 : 1) أن كان هذا ما قاله إن كلمة لنا سلام هي بيان لحقيقة، وتبدو مشابهة تماماً لكلمة ليكن لنا سلام وهي دعاء. ولذا فإنه وفي عدد كبير من المخطوطات، ومن ضمنها بعض أقدم المخطوطات لدينا، فإن بولس ليس واثقاً أنه وأتباعه لديهم سلام مع الله بل

يحثّ نفسه والآخرين على البحث عن السلام. إن الباحثين النصيين يعانون من صعوبة في تقرير أي قراءة هي الصحيحة في هذا المقطع.

هناك التباس صغير في حالات أخرى، لأن التغييرات النصية تكون مفهومة. ولكنها في الواقع لا تكون منطقية. إن هذا يحدث بكثرة وغالباً لأحد الأسباب التي ناقشناها. وكمثال على ذلك في إنجيل يوحنا (39:5)، يُخبر المسيح خصومه بأن يفتشوا في الكتب "وهي تشهد لي" ففي واحدة من المخطوطات الأولى فإن الفعل النهائي قد غُيِّر إلى واحدٍ مشابه، ولكنه ليس منطقياً أبداً في السياق. في تلك المخطوطة يقول المسيح "ابحثوا في الكتب لأنها تخطئ ضدي". ويأتينا مثالٌ ثانٍ في سفر الرؤيا حيث يرى النبي رؤيا لعرش الله من حوله قوس قزح يبدو كالزمرد (3:1). وفي بعض المخطوطات الأولى هناك تغيير وفيه على الرغم من غرابته يخبرنا أنه حول العرش يوجد كهنة يبدون كالزمرد.

من بين كل الأخطاء العرضية الموجودة في مخطوطاتنا فإن الخطأ الأغرب على الإطلاق هو الموجود في مخطوطة مكتوبة بالخط الصغير للأناجيل الأربعة ورُقِّمت بشكل رسمي (109) وقد أُنتجت في القرن الرابع عشر إن خطأها المميز موجود في إنجيل لوقا، الإصحاح الثالث، في الرواية عن سلالة المسيح. من الواضح أن الناسخ كان ينسخ مخطوطة كتبت السلالة في عمودين. ولسبب غير واضح فإنه لم ينسخ عموداً في كل مرة، بل نسخ على امتداد العمودين. وكنتيجة لذلك فإن أسماء السلالة رُميت بالصدفة حيث إن معظم الناس دُعوا أبناء للآباء الخاطئين. أما الأسوأ فهو أن العمود الثاني من النص الذي كان الناسخ ينسخه لم يكن فيه عدد مماثل من الأسطر للعمود الأول. وبالتالي فإنه في تلك النسخة التي صنعها فإن أبو الجنس

البشري (بمعنى آخر، آخر من ذكر) ليس هو الرب بل هو إسرائيلي اسمه فارسي، والرب نفسه هو ابن لإنسان اسمه آرام.

الأخطاء المتعمدة

إن بعض الأمثلة التي كنا نلقي نظرة عليها هي الأسهل إيجاداً أو إزالة في أثناء محاولة تأسيس الشكل الأول للنص، بينما تكون الأخطاء المتعمدة الأصعب في التحديد. بسبب أنها وبشكل خاص قد اقترفت عن عمد فإن هذه الأخطاء تكون منطقية. وبما أنها منطقية فسيكون هناك نقاد يناقشون أنها منطقية أكثر من غيرها أي أنها هي الأصل، إن هذا ليس جدالاً بين باحثين يظنون أن النص قد حُرِّف وأولئك الذين يظنون أنه لم يُحرَّف. إن الجميع يعرفون أن النص قد غُيِّر. إن السؤال الوحيد هو أنه أي من القراءات تمثل التفسير، وأيها يمثل الشكل الأول الذي يمكن قبوله من النص. وهنا أحياناً يختلف العلماء.

إن العلماء وبشكل كبير يتفقون في عدد جدير بالاهتمام من المواقف - معظمها في الغالب. وربما يكون من المفيد لنا أن نأخذ بعين الاعتبار عدداً من أنواع التغييرات المتعمدة التي يمكن للمرء أن يجدها في مخطوطتنا، حيث إنها يمكن أن توضح أسباب قيام النُساخ بهذه التغييرات.

إن النساخ كانوا يغيرون النص أحياناً لأنهم كانوا يظنون أنه يحتوي على أخطاء واقعية، ويبدو أنها هذه هي الحالة في بداية إنجيل مرقس حيث يقدم الكاتب إنجيله بقوله: "كما هو مكتوب في أشعياء النبي ها أنا أُرْسِلُ أمام وجهك ملاكي وصولاً إلى اصنعوا سبله مستقيمة"، إن المشكلة هي أن بداية الاقتباس ليست من أشعياء على الإطلاق من مقطع من خروج 20:23،

ومال 1:3. أدرك النُساخ أن هذه كانت صعوبة، ولذا غيروا النص جاعلين إياه كما هو مكتوب في الأنبياء. والآن ليس هناك مشكلة في نسب هذا الاقتباس بشكل خاطئ، ولكن هناك شك بسيط يتعلق بما كتبه مرقس بشكل أصلي. إن نسب الاقتباس إلى أشعياء موجود في أقدم وأفضل المخطوطات، وفي حالات أخرى إن الخطأ الذي يحاول الناسخ تصحيحه لا يكون واقعياً بل تفسيرياً. ويأتينا مثال معروف من متى (36:24) حيث يتنبأ المسيح بنهاية العالم ويقول: "أما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بها أحد لا الملائكة في السماء ولا الابن بل فقط الأب" وجد النُساخ هذا المقطع صعباً فإن ابن الله المسيح نفسه لا يعرف متى ستأتي النهاية كيف يمكن أن يكون ذلك؟ أليس كلّي المعرفة؟ ولحل هذه المشكلة قام بعض النُساخ ببساطة تعديل النص بإخراج كلمة ولا حتى الابن. الآن يمكن أن يكون الملائكة جاهلين، ولكن ابن الله ليس كذلك.

في حالات أخرى فإن النساخ غيروا النص ليس لأنهم ظنوا أنه يحتوي على خطأ، بل لأنهم أرادوا أن يدوروا حول فهم خاطئ له. هناك مثال في متى (13-12 : 17)، حيث يعرّف المسيح يوحنا المعمدان على أنه إيليا النبي الذي يأتي في نهاية الوقت:

> *"لكني أقول لكم إن إيليا قد جاء ولم يعرفوه بل عملوا به كما أرادوا كذلك ابن الإنسان أيضاً سوف يتألم منهم وحين إذ فهم التلاميذ أنه قال لهم عن يوحنا المعمدان".*

إن المشكلة المحتملة هي أنه كما يقرأ النص يمكن أن يفسر بأنه يعني أن يوحنا المعمدان لم يكن إيليا بل كان هو ابن الإنسان. عرف النُساخ تمام المعرفة أن هذه لم تكن هي القضية، ولذا قام بعض منهم بتغيير مكان النص جاعلين

القول "عرف تلاميذه أنه كان يحدثهم عن يوحنا المعمدان"، تقع قبل عبارة "ابن الإنسان".

أحياناً كان النُساخ يغيرون نصوصهم لأسباب لاهوتية أكثر وضوحاً ليتأكدوا أن النص لن يستخدم من قبل المهرطقين، أو ليكونوا متأكدين أنه يعني ما كان يجب أن يعني بالأصل. هناك أمثلة هائلة العدد عن هذا النوع من التغيير وسنناقشها بالتفصيل في الوقت الحالي فسأكتفي بعرض بعض الأمثلة المختصرة.

في القرن الثاني كان هناك مسيحيون آمنوا بشدة أن الخلاص الذي جلبه المسيح كان شيئاً جديداً كلياً متفوقاً على أي شيء عرفه العالم من قبل، وبالتأكيد كان متفوقاً على دين اليهودية الذي انبثقت منه المسيحية. وقد شطح بعض المسيحيين بعيداً ليصروا على أن اليهودية، الدين القديم لليهود، قد أزيحت كلياً بظهور المسيحية. وعند بعض النُساخ من أتباع هذا المعتقد فإن المثل الذي يُخبر المسيح فيه عن الخمر الجديدة والزقاق القديمة كان يبدو مثيراً للمشكلات:

> *"لا أحد يجعل خمراً جديدة في زقاق عتيقة لئلا تشق الخمر الجديدة الزقاق فهي تهرق والزقاق تُتلف بل يجعلون خمراً جديدة في زقاق جديدة فتحفظ جميعاً. ولا أحد إذا شرب العتيق يريد للوقت الجديدة لأنه يقول العتيق أطيب".*

كيف يمكن أن يشير المسيح إلى أن القديم أفضل من الجديد؟ أليس الخلاص الذي يجلبه متفوقاً على أي شيء كانت اليهودية تعرضه (أو أي دين آخر)؟ إن النساخ الذين وجدوا هذا القول مثيراً للحيرة قاموا ببساطة بحذف الجملة الأخير، لذا فلم يعد المسيح الآن يقول أي شيء عن كون القديم أفضل من الجديد.

كـان النُـساخ أحياناً يغيرون نصوصهم ليؤكدوا أن التعاليم المفضلة قد أُكِّدت كما ينبغي. ونجد ذلك على سبيل المثال في رواية سلالة المسيح في متى، حيث يبدأ من أب اليهود إبراهيم ويتتبع سلالة المسيح من أبٍ إلى ابنٍ وصولاً إلى "يعقوب الذي هو أبو يوسف زوج مريم التي ولد منها يسوع الذي يدعى المسيح" (متى 16:1). وكما يبدو فإن السلالة تعامل المسيح على أنه حالة استثنائية حيث إنه لم يُقل عنه إنه ابن يوسف. وبالنسبة لبعض النساخ على كل حال فإن هذا لم يكن كافياً، ولذا غيروا النص ليقرأ "يعقوب الذي كان أبا يوسف الذي خُطِبت له العذراء مريم التي وَلَدت يسوع الذي دعي المسيح" إن يوسف الآن ليس زوج مريم بل هو فقط خطيبها، وهي كانت عذراء. وهي نقطة مهمة جداً للنُساخ الأوائل.

كان النساخ في بعض الأحيان يعدلون النصوص لأسباب طقسية وليست لاهوتية. فمع انتشار طقوس التنسك بقوة في بداية المسيحية فإنه ليس من المدهش أن نجد أن ذلك كان له تأثير على التغييرات النسخية في النصوص، فعلى سبيل المثال في مرقس، الإصحاح التاسع، عندما يُخرج المسيح شيطاناً لم يكن تلاميذه قادرين على إخراجه فإنه يخبرهم "هذا النوع لا يخرج إلا بالصلاة" (مرقس 29:9). ولكن النساخ في وقت لاحق قاموا بإضافة مناسبة لوجهة نظرهم، حيث إن المسيح أصبح يقول إن "هذا النوع يخرج فقط بالصلاة والصوم".

إن أفضل الأمثلة المعروفة عن التغييرات الطقسية هي الموجودة في نسخة لوقا عن الصلاة الربّية. إن تلك الصلاة موجودة أيضاً في متى، ولكنها بالطبع أطول. والصلاة من إنجيل متى كانت ولا تزال هي المعروفة بشكل أكبر للمسيحيين. وبالمقارنة فإن نسخة لوقا تبدو مختصرة بشكل ميؤوس منه:

"أبانا ليتقدس اسمك لتأتي ملكوتك أعطنا كل يوم خبزنا اليومي واغفر لنا خطايانا لأننا نغفر لدائنينا ولا تقدنا إلى التجربة"

حلّ النساخ مشكلة نسخة لوقا المختصرة بإضافة الصيغة المعروفة في المقطع المماثل من إنجيل متى (6: 9-13)، لذا أصبحت الآن كما في متى تقول الصلاة:

"أبانا الذي في السموات ليتقدس اسمك لتأتي ملكوتك لتكن مشيئتك على الأرض كما في السماء أعطنا كل يوم خبزنا اليومي واغفر لنا خطايانا كما نحن نغفر لمن أخطأ إلينا ولا تدخلنا في التجربة لكن نجنا من الشرير".

إن هذه النزعة النسخية للتنسيق بين المقاطع في الإنجيل موجودة في كل مكان. فكلما كان هناك اختلاف في رواية قصة بين الأناجيل يتدخل ناسخ أو آخر ليجعلوا الروايات متناسقة بشكل تام حاذفين الاختلافات بضربات من أقلامهم.

كان النساخ أحياناً يتأثرون بالروايات الشفهية الدائرة حول المسيح والقصص المُخْبَرة عنه، وليس بالمقاطع المتماثلة. لقد رأينا ذلك واضحاً بشكل كبير في قصة المرأة الزانية والآيات الاثنتي عشرة من إنجيل مرقس. وبإمكاننا أن نرى بحالات أصغر كيف أثرت الروايات المحكية على النص المكتوب للأناجيل. وأحد الأمثلة الصارخة هي قصة بارزة في يوحنا، الإصحاح الخامس عن شفاء المسيح لعاجز بالقرب من بركة بيت حستا. حيث يقال لنا في بداية القصة إن عدداً من الناس عُجَّزاً وعمياناً وعرجاناً ومشلولين كانوا مضطجعين بالقرب من هذه البركة، وأن المسيح خصَّ شخصاً واحداً كان هناك منذ ثمانية وثلاثين عاماً ليشفيه. وعندما سأله المسيح إذا كان يريد أن

يُشفى فأجاب الرجل أنه ليس هناك من يستطيع أن يضعه في البركة "عندما تضطرب المياه" حيث إن شخصاً ما يسبقه إليها دائماً.

في أقدم وأفضل المخطوطات ليس هناك تفسير لسبب رغبة الرجل لدخول البركة مع اضطراب المياه، ولكن الروايات المحكية زودّتنا بالنقص حيث أضيفت الآيات (3) و(4) الموجودة في عدد من المخطوطات اللاحقة حيث يقال لنا إن هناك ملاكاً يحلّ أحياناً في البركة ويحرك الماء. فمن نزل أولاً بعد تحريك الماء كان يبرأ من أي مرض) فهي لمسة لطيفة لقصة مؤثرة بالفعل.

استنتاج

يمكننا أن نستمر إلى الأبد بالحديث عن أماكن معينة غُيِّر فيها النص في العهد الجديد سواء كانت سهواً أم عن عمد. وكما أشرت فإن الأمثلة لا تعد بالمئات بل بالآلاف. إن الأمثلة المعطاة كافية لإيصال الفكرة العامة. ولكنه هناك الكثير من الاختلافات بين مخطوطاتنا -اختلافات صنعها النُساخ الذين كانوا يعيدون إنتاج نصوصهم المقدسة. في قرون المسيحية الأولى كان النساخ غير محترفين، وهكذا كانوا عرضة أكثر لتغيير النصوص التي كانوا ينسخونها أكثر من النساخ في حقبات لاحقة بدءاً من القرن الرابع حيث إنهم بدؤوا يصبحون محترفين.

من المهم أن نرى أنواع الاختلافات العرضية والمتعمدة التي كان النساخ عرضة للقيام بها، لأنهم في ذلك الحين سيكون من الأسهل تحديد أماكن التغييرات، وبالتالي يمكننا إزالة بعض التخمينات الموجودة في تحديد أي من النصوص يمثل النص المعدّل وأيها يمثل النص الأصلي. ومن المهم أيضاً أن

نرى كيف قام العلماء المعاصرون باختراع طرق للقيام بهذا التحديد. في الفصل اللاحق سنتتبع بعض تلك القصص بدءاً من زمن جون ميل ووصولاً إلى وقتنا الحاضر، مُلقين نظرة على الطرق التي طُورت لإعادة بناء نص العهد الجديد ولمعرفة الطرق التي نُميِّز بها أثناء انتقاله.



الصفحة الأخيرة من إنجيل يوحنا في مخطوطة Codex Sinaiticus الشهيرة التي وجدت في القرن التاسع عشر على يد الباحث تيسخيندورف في دير القديسة كاترين على جبل سيناء

4

البحث عن الأصل

طرق واكتشافات

كما رأينا أنه قبل أن ينشر ميل عمله أو نسخته من العهد الجديد اليوناني بوقت طويل مع ملاحظات عن أماكن الاختلافات الثلاثين ألفاً بين الشواهد الباقية ، فإن بعض الباحثين أدركوا أنه كان هناك مشكلة في نص العهد الجديد. فقد قام الناقد الوثني في القرن الثاني كليسوس بمناقشة أن المسيحيين كانوا يغيرون النص وفق إرادتهم كما لو أنهم سكارى في نوبة شرب. وقام منافسه أوريغن بالتكلم عن العدد العظيم من الاختلافات بين مخطوطات الأناجيل وبعد أكثر من قرن قام البابا داماسوس بتأثير قلقه من الاختلافات في المخطوطات اليونانية بتكليف جيروم ليُنتج ترجمة موحّدة. فكان على جيروم نفسه أن يقارن بين عدد كبير من النُسخ والنصوص من كلا اللغتين اليونانية واللاتينية ليقرر النص الذي كان يعتقد أنه كُتب بشكل أصلي من قبل كاتبه.

بقيت المشكلة ساكنة عبر القرون الوسطى وصولاً إلى القرن السابع حين بدأ ميل وآخرون بالتعامل معها بشكل جدي. ففي حين كان ميل يقوم بعملية جمع المعلومات لأجل نسخته التي شكلت نقطة تحول عام (1707) كان هناك باحث آخر يواظب العمل على مشكلة العهد الجديد. لم يكن هذا

الباحث إنكليزياً بل كان فرنسياً. ولم يكن بروتستانتياً بل كاثوليكياً. كانت وجهة نظره هي بالتحديد تلك التي كان يخشاها العديد من البروتستانت الإنكليز بأنها ستنتج من تحليل دقيق لنص العهد الجديد. وأعني بذلك أن الاختلافات واسعة الانتشار في التقاليد تُظهر أن الإيمان المسيحي لا يمكن أن يرتكز بشكل مفرد على الكتاب المقدس (تعاليم الإصلاح البروتستانتي القائمة على الكتاب المقدس الواحد) بما أن النص كان غير ثابت وغير معتمد عليه. فبدلاً من ذلك من وجهة نظره فإن الكاثوليكيين يجب أن يكونوا على حق في أن الإيمان يتطلب التعاليم الرسولية المحافظ عليها في الكنيسة الكاثوليكية. إن الكاتب الفرنسي الذي لاحق هذه الأفكار في سلسلة من المنشورات الهامة هو ريتشارد سيمون (1638-1712).

ريتشارد سيمون

على الرغم من أن سيمون كان بشكل رئيسي باحثاً في العبرية فإنه يحمل على التقاليد المكتوبة في كلا العهدين القديم والجديد كانت دراسة الماجستير الخاصة به *"تاريخ نقدي لنص العهد الجديد"* والتي ظهرت عام (1689) عندما كان ميل لا يزال يعمل لكشف الاختلافات في الروايات النصية وصل هذا العمل إلى يد ميل. وفي المناقشة الافتتاحية لنسخته عام (1707) اعترف بسعة معرفتها وأهميتها بالنسبة لبحثه الخاص حتى مع اختلافه بالرأي مع استنتاجاتها اللاهوتية. لم يكن كتاب سيمون مكرساً لكشف أي تغير متوفر في القراءات، ولكن لمناقشة الاختلافات النصية في التعاليم لكي يظهر الشك في النص في بعض الأماكن وليناقش في بعض الأحيان تفوق الإنجيل اللاتيني الذي كان لا يزال يعتبر النص الموثوق به من قبل اللاهوتيين الكاثوليكيين.

لقد كانت المشكلات النصية الرئيسية مألوفة جداً لديه. فقد ناقش مطولاً على سبيل المثال عدداً من الأمثلة التي طرحناها بأنفسنا حتى هذه النقطة. المرأة الزانية، آيات مرقس الاثنتي عشرة الأخيرة، فاصلة يوحنا (التي تؤكد بشكل قاطع تعاليم الثالوث)، ويكافح خلال مناقشته ليظهر أن جيروم هو الذي زوّد الكنيسة بنص يمكن أن يستخدم كقاعدة للانعكاسات اللاهوتية. وكما يقول في مقدمة الجزء الأول من كتاب من عمله:

إن القديس جيروم قد أدى للكنيسة خدمة ليست بالصغيرة في تصحيح ومراجعة النسخ اللاتينية القديمة وفق أشدّ قواعد النقد صرامة، وهذا ما نحاول أن نظهره في هذا العمل. إن معظم النماذج اليونانية للعهد الجديد ليست بأفضل حال بما أنها مناسبة لتلك النسخ اللاتينية التي وجدها القديس جيروم خطيرة جداً بحيث أنها تحتاج إلى تعديل.

إن هذه المناقشة ذكية وسنتابعها لاحقاً، إن أقدم المخطوطات اليونانية لا يعتمد عليها، لأنها بالتحديد تلك النسخ المنحلة التي اضطر جيروم لمراجعتها لكي يؤسس النص المتفوق. فإن النسخ اليونانية المنتجة قبل عصر جيروم على الرغم من كونها أقدم المخطوطات فإنها لا يمكن أن يوثق بها.

على الرغم من ذكاء المناقشة فإنها لم تلق دعماً كبيراً من النقاد النصيين. إن تأثيرها لا يزيد ببساطة عن إعلان أن أقدم المخطوطات الباقية لدينا لا يمكن أن يوثق بها. ولكن مراجعة تلك المخطوطات موثوقة ولكن على أي أرضية؟ قام جيروم بمراجعة هذه النصوص على أرضية مخطوطات سابقة. حتى جيروم نفسه وثق بالسجلات الأقدم للنص، وعدم قيامنا بذلك يعتبر خطوة كبيرة إلى الوراء حتى مع أخذ الفروقات الموجودة في التعاليم المكتوبة في القرون الأولى بعين الاعتبار.

على كل حال فإنه وفي متابعة لقضيته يناقش سيمون أن كل المخطوطات تمثل تغييرات نصية، خاصة المخطوطات اليونانية. ويمكن أن نرى هنا هجوماً عنيفاً ضد المنشقين اليونانيين من قبل الكنيسة الحقيقية:

"لن يكون هناك في هذا اليوم أي نسخة من العهد الجديد سواء كانت يونانية، أو لاتينية، أو سريانية، أو عبرية يمكن أن تدعى بصدق مخطوطة أصلية. لأنه ليس هناك واحدة بأية لغة كانت مكتوبة تكون معصومة تماماً من الإضافات. ويجب أيضاً أن أعترف أن النساخ اليونانيين تمتعوا بحرية كبيرة في كتابة نسخهم كما سأبرهن في مكان آخر."

إن برنامج سيمون اللاهوتي لملاحظة كهذه واضحة خلال بحثه الطويل. حيث إنه يسأل على نحوٍ متكلّف:

"هل يعقل أن الله قد أعطى كنيسته كتباً لتخدمها كقوانين وأنه في الوقت نفسه سمح أن الأصل الأول من هذه الكتب يجب أن يضيع منذ بداية المسيحية؟"

إن جوابه بالطبع هو: لا. إن الكتاب المقدس يؤمن فعلاً أساساً للإيمان، ولكنه ليست الكتب نفسها هي التي تهمّ بشكل مطلق (بما أنها بعد كل شيء قد تغيرت على مر الزمان) ولكن تفسير هذه الكتب كما هو موجود في التعاليم الرسولية التي انتقلت عبر الكنيسة (الكاثوليكية)

"على الرغم من أن الكتاب المقدس هو قاعدة أكيدة يستند عليها إيماننا ومع ذلك فإن هذه القاعدة ليست ككل كافية بحد ذاتها. إنه من الضروري أن تعرض بجانب ذلك ما هي التعاليم الرسولية. ولا يمكننا أن نتعلمها إلا من الكنيسة الرسولية التي حافظت على روح الكتاب المقدس الحقيقية."

إن استنتاجات سيمون المعادية للبروتستانت تبدو بشكل أوضح في بعض كتاباته الأخرى. فعلى سبيل المثال: في عمل يعالج "المعلقين الأساسيين على العهد الجديد" فإنه صريح في قوله:

"إن التغييرات العظيمة التي جرت على مخطوطات الإنجيل، بما أن الأصل الأول قد ضاع فإنها تدمّر تماماً مبدأ البروتستانتيين الذين يستشيرون فقط هذه المخطوطات نفسها بشكلها الحالي. إذا كانت حقيقة الدين لم تعش في الكنيسة فإنه لن يكون من الآمن البحث عنها الآن في كتب كانت عرضة لتغييرات عديدة وكانت في كثير من الأحيان معتمدة على رغبة الناسخ"

إن هذا النوع من الهجوم الفكري الشديد على مفهوم البروتستانت للكتاب المقدس أُخِذَ على محمل الجد في أروقة المجمع. وبمجرد ظهور نسخة ميل عام (1707) فإن الباحثين الإنجيليين البروتستانت قد دُفِعوا من قبل طبيعة موادهم لإعادة النظر والدفاع عن مفهومهم للإيمان. لم يكن بإمكانهم بالطبع غض النظر ببساطة عن الكتاب المقدس الواحد فإن كلمات الإنجيل ما زالت توصل ميثاقية كلمة الرب، ولكن كيف يمكن للمرء أن يتعامل مع الموقف، أنه في كثير من الأحيان لا نعرف ما هي أو ما كانت عليه هذه الكلمات. أحد الحلول كان بتطوير طرق للنقد النصي يستطيع بها الباحثون المعاصرون إعادة بناء الكلمات الأصلية حتى يصبح أساس الدين موثوقاً به مرة أخرى. إن هذا البرنامج اللاهوتي كان السبب وراء الجهود الكبيرة في إنكلترا وألمانيا بشكل خاص لاختراع طرق موثوقة وقادرة على إعادة بناء الكلمات الأصلية للعهد الجديد من الأعداد الكبيرة من النسخ المملوءة بالأخطاء التي بقيت حتى اليوم.

ريتشارد بنتلي

كما رأينا فإن رتشارد بنتلي الباحث الكلاسيكي هو رئيس جامعة الثالوث في كامبريدج حوّل فكره المعروف إلى مشكلات العهد الجديد، التعاليم المكتوبة في العهد الجديد كاستجابة لردود الأفعال السلبية التي أثارها نشر كتاب ميل من العهد الجديد اليوناني مع المجموعة الضخمة للاختلافات النصية بين المخطوطات. إن ردّ بنتلي على الربوبي كولينز برهن على شعبيته واستمر على مدى ثمان نسخ. إن نظرته بعيدة المدى كانت أنّ الاختلافات الثلاثين ألفاً في العهد الجديد اليوناني لم تكن كثيرة على تعليم مكتوب يحتوي على هذه الثروة من المواضيع، وأن ميل ليس مذنباً في تشويه سمعة حقيقة الديانة المسيحية إذ لم يخترع هذه الاختلافات بل أشار إليها بكل بساطة.

أصبح بنتلي نفسه في نهاية الأمر مهتماً بالعمل على التعاليم النصية للعهد الجديد. وبمجرد أن حوّل تفكيره إليها استنتج أنه بإمكانه في الواقع أن يقوم بتقدم ملحوظ في تأسيس النص الأصلي في معظم الأماكن حيث وجدت الاختلافات النصية. وفي رسالة عام (1716) إلى الراعي المطران وايك أقرّ بمقدمة نسخة جديدة مقترحة من العهد الجديد اليوناني حيث سيكون قادراً بالتحليل الدقيق على إعادة النص في العهد الجديد إلى حالته في عصر مجمع نيقيا (في أوائل القرن الرابع) وسيكون شكله شكل النص الذي أُعلن في القرون السابقة من قبل الباحث النصي الكبير في العصور الغابرة أوريغن قبل قرون من الغالبية العظمى من التغييرات النصية (كما آمن بنتلي) التي أفسدت التعاليم.

لم يكن بنتلي عرضة للتواضع الزائف كما يدعي في رسالته :

"أنا أجد فيّ القدرة (على ما يراه النص مستحيلاً) لأعطي نسخة من العهد الجديد اليوناني مشابهة تماماً لما كانت عليه النماذج الأفضل في وقت مجمع نيقيا. بحيث لن يكون هناك عشرون كلمة أو حتى جزءاً مختلفاً بحيث يصبح الكتاب الذي يُعتقد من قبل الإدارة الحالية أنه الكتاب الأقل ميثاقية يحظى بشهادة ميثاقية تسمو فوق كل الكتب الأخرى، وتوضع نهاية مباشرة لكل القراءات المختلفة من الآن فصاعداً".

إن منهج بنتلي في البدء كان مباشراً نوعاً. ما فقد قرر أن يقارن النص في أقدم وأهم المخطوطات اليونانية للعهد الجديد في بريطانيا من مخطوطة Codex Alexandrinus من القرن الخامس مع أقدم النسخ المتوفرة من النص اللاتيني. وكان ما وجده هو مجال واسع من التطابق في القراءات حيث اتفقت هاتان المخطوطتان مرات عديدة إحداهما مع الأخرى، ولكن اختلفا عن المخطوطات اليونانية المكتوبة في العصور الوسطى. امتدت الاتفاقات حتى مواضيع كترتيب الكلمات حيث اختلفت مخطوطات متعددة. وكان بنتلي واثقاً عندئذ أنه بإمكانه أن يدقق كلا النسختين اللاتينية واليونانية من العهد الجديد للوصول إلى أقدم الأشكال من هذين النصين، بحيث لا يكون هناك أي شك يتعلق بقراءتهما الأقدم. وبذلك تصبح أماكن الاختلافات الثلاثين ألفاً التي اكتشفها ميل غير ذات علاقة بتلك الموجودة في مستندات النص. إن الفكرة من وراء هذه الطريقة كانت بسيطة، فإذا كان جيروم في الواقع قد استخدم أفضل المخطوطات اليونانية المتوفرة لتدقيق نصه فإنه بمقارنة أفضل المخطوطات من النص اللاتيني (للتحقق من نص جيروم الأصلي) مع أقدم المخطوطات اليونانية للعهد الجديد (للتحقق من أيها

استخدم من قبل جيروم) يمكن للمرء تحديد الكيفية التي كانت تبدو عليها أفضل النصوص في عهد جيروم وإزاحة ما يقارب ألف عام من النقل النصي التي خضعت النصوص عبرها للتغيير بشكل مستمر. بالإضافة إلى ذلك بما أن نص جيروم كان هو نص سلفه أوريغن ، فإنه يمكن للمرء أن يتأكد أن هذا كان هو أفضل نص متوفر في القرون الأولى للمسيحية.

لذا يرسم بنتلي ما كان بالنسبة له استنتاجاً لا يمكن تجنبه

" بحذف ألفي خطأ من النص اليوناني الباباوي وعدد مشابه من نسخة البابا ستيفنز البروتستانتي (بمعنى آخر نسخة استيفانوس) يمكنني أن أطرح نسخة من كل منهما في أعمدة دون استخدام أي كتاب يعود إلى ما يقل عن تسعمائة عام والذي يتفق كلمة - بكلمة - ما أدهشني في البداية - يتفق حتى بالترتيب بشكل أفضل مما قد يتفق فيه سجلان أو عقدان رسميان "

إن قضاء بنتلي لوقت أطول في مقارنة المخطوطات وفحص المقارنات التي قام بها آخرون زاد من ثقته في قدرته على القيام بالعمل والقيام به بشكل صحيح والقيام به مرة وإلى الأبد. وفي عام (1720) نشر كتيباً عنونه "بمشروع طبع" مصمم ليجلب الدعم لمشروعه بكسب عدد من المتعهدين الماليين. وفيه يطرح طريقته المقترحة لإعادة تكوين النص ويناقش دقتها التي ليس لها نظير، ويقول:

" إن الكاتب يؤمن أنه استطاع استعادة النماذج الحقيقية لأوريغن (عدا في أماكن قليلة جداً). وهو متأكد أن النصين اليوناني واللاتيني بمساعدتهما المتبادلة قد وصلا إلى النص الأصلي بأدق التفاصيل بشكل لا يمكن إنجازه الآن في أي كتاب كلاسيكي مهما كان. فتخرجنا من متاهة الأخطاء الثلاثين ألفاً التي تملأ صفحات أفضل نُسخنا الحالية التي تضع كلها سمعة

متساوية تسيء إلى عدد من الأشخاص الجيدين. ويقودنا هذا الدليل ويخلصنا أنه ستغدو الاختلافات نادرة، مائتان من أصل الآلاف العديدة ولن تكون ذات بال."

إن تخفيض الاختلافات الملحوظة الثلاثين ألفاً لدى ميل إلى ما يقارب مئتي اختلاف هو تقدم ملحوظ. ولكن في كل حال لم يكن الجميع واثقين أن بنتلي بإمكانه أن ينتج ما وعد به. ففي كتيب مجهول المصدر كُتب رداً على الاقتراحات، وناقش كتيب بنتلي فقرة بفقرة، هوجم بنتلي بسبب برنامجه. وقيل عنه من قبل خصمه غير المعروف بأنه لا يملك لا المواهب ولا المواد المناسبة للقيام بالعمل الذي تعهد به (لقد كان ذلك العصر عصر المجادلين ومؤلفي الكتيبات).

لقد عدَّ بنتلي هذا -كما يمكن للمرء أن يتصور- على أنه افتراء على مواهبه العظيمة (التي اعترف بها بنفسه)، ورد بشكل مماثل ولكن لسوء الحظ فقد أخطأ في هوية خصمه الذي كان في الواقع باحثاً من كامبريدج اسمه ميدلتن بآخر يدعى جون كولباتش وكتب رداً موجهاً إياه إلى كولباتش، وكما كانت العادة في تلك الأيام مطلقاً عليه نعوتاً مختلفة. إن هذه الكتيبات الجدالية تعدّ جواهر للحفاظ عليها في أيامنا التي تتميز بالجدالات المهذبة حيث لم يكن هناك شيء مهذب بشأن الأمور الشخصية في تلك الأيام، حيث يعلق بنتلي: "لسنا بحاجة إلى الذهاب إلى أبعد من هذه الفقرة لنجد عينة عظيمة من الحقد والوقاحة كتبها مؤلف تافه غير معروف على الورق" وفي رده يقوم باستخدام أوصاف تصويرية مسيئة واصفاً كولباتش (الذي لم يكن لديه أي علاقة بالكتيب قيد المناقشة) برأس ملفوف، وحشرة، ودودة، ويرقة، وقارض، وجرذ مزعج، وكلب نبّاح ولص جاهل ومشعوذ.

عندما تنبه بنتلي إلى الشخصية الحقيقية لخصمه كان محرجاً بعض الشيء من خطئه الذي اقترفه، ولكنه تابع الدفاع عن نفسه. وقد قام الطرفان بأكثر من جولة متبادلة. إن هذه الدفاعات أعاقت العمل نفسه، كما أثرت عدة عوامل من ضمنها التزامات بنتلي المرهقة لجامعته في كامبريدج ومشاريع كتاباته الأخرى وعوائق محبطة تضمنت فشله في الحصول على إعفاء من ضريبة الاستيراد للورق الذي كان يريد استخدامه لنسخته. وفي النهاية فإن اقتراحه لطبع العهد الجديد اليوناني باستخدام نصوص من أقدم المخطوطات المتوافرة وليس من المخطوطات اليونانية الأخيرة الخاطئة لم يسفر عن شيء. وبعد موته أُجبر ابن أخيه على إعادة أموال التي جمعها من المتعهدين مغلقاً الموضوع بأكمله.

يوهان ألبريخت بينغل

من فرنسا (سيمون) إلى انكلترا (بنتلي). والآن إلى ألمانيا وقد كانت المشكلات النصية للعهد الجديد تشغل الباحثين الإنجيليين الرائدين في ذلك العصر في مناطق رئيسية من مسيحية أوروبا. يوهان أ. بينغل (1687-1752) كان قساً بروفيسوراً تقياً وقد أزعجه وبشدة في بداية حياته وجود هذا العدد الكبير من الاختلافات النصية في مخطوطات العهد الجديد. وقد صُدِمَ بشدة بشكل خاص مع نشر نسخة ميل واختلافاتها الثلاثين ألفاً. لقد كان ذلك تحدياً كبيراً لإيمان بينغل الذي يرتكز بشكل أساسي على كل كلمة من كلمات الكتاب المقدس. فإذا كانت هذه الكلمات ليست مؤكدة فماذا عن الإيمان الذي يرتكز عليها؟

أمضى بينغل معظم حياته العلمية يعمل على هذه المشكلة. وكما سنرى فقد أحرز تقدماً ملحوظاً في إيجاد حلول لها. ولكن أولاً يجب أن نلقي نظرة مختصرة على مقارنة بينغل بميل. إن التزامات بينغل الدينية تغلغلت في حياته وأفكاره. ويمكن للمرء أن يدرك مدى الجدية التي تعامل بها مع إيمانه من عنوان محاضرة افتتاحية ألقاها عندما عُيِّن مدرساً مبتدئاً في المعهد اللاهوتي في دينكيندورف : السعي المتقن وراء التقوى هو أفضل طريقة للوصول إلى تعليم عميق).

كان بينغل مفسراً حذراً جداً ومدرّباً بشكل كلاسيكي للنصوص الإنجيلية. وهو من أفضل المعلقين الإنجيليين المعروفين. لقد كتب ملاحظات مستفيضة عن كل كتاب من كتب العهد الجديد مستكشفاً قضايا قواعدية وتاريخية وتفسيرية بشكل مطوّل بعروضٍ واضحة وجذابة وما زالت جديرة بالقراءة حتى اليوم. وكان قلب هذا العمل التفسيري هو الثقة في كلمات الكتاب المقدس. لقد أخذت هذه الثقة بينغل في اتجاهات قد تبدو غريبة بعض الشيء اليوم. وظناً منه بأن كل كلمات الكتاب المقدس موحاة -من ضمنها كلمات وسفر الرؤيا- أصبح بينغل مقتنعاً أن تدخلات الله العظيم في حياة البشر كانت في ذروتها تقريباً. وأن النبوة الإنجيلية إشارات أن جيله كان يعيش بالقرب من نهاية أيام العالم. لقد آمن في الواقع أنه يعرف من كانت ستحمل هذه النهاية. كانت برأيه بعد قرن في المستقبل أي عام (1836).

لم يكن بينغل مندهشاً من آيات كآيات متى (36:24) التي تقول إنه لا أحد يعرف اليوم والساعة لا الملائكة في السماء ولا حتى الابن بل الأب فقط. وكونه المفسّر الدقيق الذي كان عليه ، فإن بينغل يشير إلى أن المسيح هنا يتكلم بصيغة الزمن الحاضر أي أنه في يومه ذلك كان بإمكان المسيح أن يقول لا أحد يعرف ، ولكن ذلك لا يعني أنه في زمن لاحق لن يعرف أحد.

بدراسة النبوءات الإنجيلية يمكن للمسيحيين لاحقاً أن يعرفوا. كانت البابوية بنظره هي المسيح الدجّال، والماسونيون يمثلون النبي الكذاب في سفر الرؤيا، والنهاية كانت ستكون بعد قرن (كان يكتب 1730).

"إن المحنة العظيمة والتي بحثت عنها الكنيسة البدائية من المسيح الدجّال المستقبلي لم تصل بعد، ولكنها قريبة جداً. لأن توقعات القيامة من الفصل العاشر حتى الرابع عشر كانت تتحقق على مدى قرون عديدة. والنقطة الجوهرية تصبح أوضح وأوضح للرؤية وأنه خلال مئة عام أخرى قد حلّ التغيير العظيم المتوقع، ومع ذلك ليصمد الباقون وخاصة في النهاية العظمى التي أتوقعها في سنة (1836)"

من الواضح أن المتنبئين بيوم الدينونة في عصرنا هال ليندسي (كاتب The Late Great Planet Earth) وتيم لاهاي (الكاتب المساعد لسلسلة Left behind) لهم أسلافهم كما أنه سيكون لديهم أتباع في عالم بدون نهاية. إن تفسيرات بينغل للنبوءة تهمنا لأهدافنا هنا، لأنها كانت مرتكزة على معرفة الكلمات الدقيقة للكتاب المقدس. إذا لم يكن رقم المسيح الدجال 666 ولكن 616 فإن ذلك كان سيكون له تأثير عميق. وبما أن الكلمات المهمة فإنه من المهم أن تمتلك تلك الكلمات. ولذا أمضى بينغل وقتاً طويلاً من أوقات أبحاثه مستكشفاً الآلاف العديدة من القراءات المختلفة المتوافرة في مخطوطاتنا. وفي سعيه للوصول إلى ما وراء التغييرات التي قام بها النساخ عائداً إلى النصوص الأصلية للكتاب وصل إلى عدة اكتشافات في علم المناهج.

كان الأول هو معيار اخترعه وقد لخّص فيه مقاربته لتأسيس نص أصلي عندما كانت الكلمات مشكوكاً في أمرها. لقد حاول باحثون قبله مثل سيمون وبنتلي أن يخترعوا معايير لتقويم قراءات مختلفة. والبعض الآخر

الذين لم نناقشهم هنا وضعوا لائحة طويلة من المعايير التي يمكن أن تكون مفيدة. وبعد دراسة مكثفة لهذه المسألة (درس بينغل كل شيء بشكل مكثف) وجد بينغل أنه يستطيع اختصار أغلب المعايير المقترحة في عبارة بسيطة تقول: إن القراءة الأصعب هي المفضلة على الأسهل. ومنطق هذه العبارة هو كالتالي: عندما كان النساخ يغيرون نصوصهم كانوا يميلون إلى تحسينها. إذا رأوا شيئاً يعتقدون أنه خطأ كانوا يصححونه. إذا رأوا روايتين للقصة نفسها بشكل مختلف كانوا يجانسونها. وإذا صادفوا نصاً يعتقدون أنه غريب على آرائهم اللاهوتية كانوا يعدلونه. ففي كل الأحوال فإنه لمعرفة ما كان النص الأقدم أو حتى الأصلي يقول يجب أن لا يعطى التفضيل إلى القراءات التي صححت الخطأ أو جانست الرواية أو حسّنت مفهومها اللاهوتي، ولكن على العكس كان يجب أن يعطى للقراءات التي تكون أصعب في التفسير. في كل الأحوال فإنه كلما زادت صعوبة القراءة كانت مفضلة أكثر.

إن الاكتشاف الآخر الذي اكتشفه بينغل لا يركز على كم القراءات التي نملكها تحت تصرفنا، بل على كم الوثائق التي تحويها. لقد لاحظ أن الوثائق التي نسخت واحدة عن الأخرى تحمل أقرب الشبه للنماذج التي نسخت عنها، ولتلك المخطوطات التي نسخت عن النموذج نفسه. بعض المخطوطات تشبه بعض النماذج أكثر من بعضها الآخر. وبذلك يمكن ترتيب الوثائق الناجية في نوع من علاقات الأنساب حيث هناك مجموعة من الوثائق تكون قريبة بعضها من بعض بشكل أكثر من قربها لوثائق أخرى. إن هذا الأمر مفيد، لأنه نظرياً يمكن للمرء أن يبني ما يشبه شجرة عائلة ويتابع خط الوثائق وصولاً إلى مصدرها. إن الأمر يشبه إيجاد سلف مشترك بينك وبين شخص يعيش في مدينة أخرى ويحمل كنيتك نفسها.

سنرى لاحقاً بشكل كامل كيف طور جمع النماذج في عائلات ليصبح مبدأً منهجياً رسمياً ليساعد النقاد النصيين على تأسيس النص الأصلي. أما الآن فإنه يكفي أن نعلق أن بينغل كان أول شخص راودته تلك الفكرة. وفي عام 1734 نشر نسخته العظيمة من العهد الجديد اليوناني التي طبع فيها الجزء الأكبر من "النص المقبول"، ولكن أشار في أماكن معينة إلى أماكن ظن أنه اكتشف فيها قراءات متفوقة في النص.

يوهان ج. ويتشتاين

(Johann J. Wettstien)

إن واحداً من أكثر الشخصيات إثارة للجدل بين الباحثين الإنجيليين في القرن الثامن عشر كان ج.ج ويتشتاين (1693-1754). فقد فتن ويتشتاين في صباه بمسألة نص العهد الجديد واختلافاته المتعددة، وتابع الموضوع في دراساته الأولى. وفي يوم عيد ميلاده العشرين في آذار -17-1713 قدم أطروحة في جامعة بازيل عن اختلاف القراءات في نص العهد الجديد، حيث ناقش ويتشتاين البروتستانتي أن هذه الاختلافات لا يمكن أن تؤثر على ميثاقية وقوة الكتاب المقدس، والسبب: "لقد وضع الله هذا الكتاب في العالم كأداة لكمال الشخصية البشرية. إنه يحتوي كل ما هو ضروري للخلاص سواء كان المعتقدات أو الوصايا. ولذا فإن القراءات المختلفة يمكن أن تؤثر في نقاط صغرى في الكتاب المقدس، ولكن الرسالة الأساسية تبقى سليمة، ولا يهم أي قراءة يستخدمها الشخص.

ذهب ويتشتاين عام 1715 إلى إنكلترا كجزء من رحلة تعليمية، وأُعطي تصريحاً كاملاً لاستخدام Codex Alexandrinus التي سبق وسمعنا عنها في

علاقتها مع بنتلي. حيث لفت جزء معين من المخطوطة اهتمام ويتشتاين. لقد كان واحداً من تلك الأشياء الصغيرة ذات التأثير الكبير. لقد تضمن نص مقطع رئيسي من رسالة تيموثاوس الأولى.

إن المقطع المذكور (تيموثاوس الأولى 16:3) استخدم لوقت طويل من قبل المدافعين عن المبدأ الأرثوذكسي لدعم نظريتهم أن العهد الجديد بنفسه يدعو المسيح إلهاً. حيث إن النص في كثير من المخطوطات يشير إلى المسيح على أنه "الله ظهر في الجسد وتبرر في الروح" وكما أشرت في الفصل الثالث فإن معظم المخطوطات تختصر الأسماء المقدسة. وهذه هي الحالة هنا أيضاً حيث إن الكلمة اليونانية الله (ΘΕ0Σ) تختصر على شكل حرفين Θ وΣ مع رسم خط فوقهما للإشارة إلى أنها اختصار ΘΣ. ما لاحظه ويتشاين عند فحص Codex Alexandrinus هو أن الخط المرسوم فوق تلك الكلمة رسم بحبر مختلف عن الكلمات المحيطة بها. ولذا يبدو أنه رسم من قبل ناسخ في وقت لاحق. وبالإضافة إلى ذلك فإن الخط الأفقي في وسط الحرف Θ لم يكن فعلياً جزءاً من الحرف، بل كان خطاً رسم عبر الحرف من طرف إلى آخر على الرق القديم. وبكلمات أخرى فبدلاً من أن تكون اختصاراً لكلمة الله ΘΣ فإن الكلمة هي 0Σ كلمة مختلفة كلياً، وتعني "الذي" وهكذا تصبح القراءة الأصلية لا تقول عن المسيح أنه "الله ظهر في الجسد" لكن تقول المسيح "الذي ظهر في الجسد" وفقاً للنص القديم من Codex Alexandrinus فإن المسيح لا يدعى بشكل ظاهر بكلمة "الله" في هذا المقطع.

مع استمرار ويتشتاين في تحقيقاته فإنه وجد مقاطع أخرى تستخدم عادةً لتأكيد ألوهية المسيح كانت تمثل في الواقع مشكلات نصية. وعندما تحل هذه المشاكل على أسس النقد النصي فإنه على الأغلب تزال الإشارات على ألوهية المسيح.

وهذا يحدث على سبيل المثال عندما تزال "فاصلة يوحنا" (رسالة يوحنا الأولى 5:7-8) من النص، ويحدث أيضاً في مقطع من أعمال الرسل (20:28) التي تتكلم في كثير من المخطوطات عن كنيسة الله التي صنعها بدمه. وهنا أيضاً يبدو أن المسيح يذكر كإله. ولكن في Codex Alexandrinus وبعض المخطوطات الأخرى حيث يتكلم النص عن "كنيسة السيد التي صنعها بدمه". حيث دعي المسيح هنا "بالسيد" ولكن لم يطلق عليه حصرياً لقب "إله".

مع هذه الصعوبات بدأ ويتشتاين بالتفكير جدياً في قناعاته اللاهوتية. وأدرك أن العهد الجديد قلما يدعو المسيح بالله. وبدأ ينزعج من القساوسة والمدرسين في مدينته بازيل الذين كانوا يخلطون لغوياً بين الله والمسيح عندما كانوا يتكلمون على سبيل المثال عن الابن كما لو أنهم يتكلمون عن الأب أو يخاطبون الله الأب في صلاة ويتكلمون عن "جراحه المقدسة". اعتقد ويتشتاين أن المزيد من الدقة مطلوبة أثناء الكلام عن الأب والابن بما أنهما ليسا الشخص ذاته.

إن تشديد ويتشتاين على هذه المسائل بدأ ينشر شكوكاً حوله من قبل زملائه. شكوك أكدت عندما نشر عام 1730 دراسة عن المشكلات في العهد الجديد اليوناني بانتظار طبعة جديدة كان يعدها. ومن ضمن المقاطع التي استخدمها كعينات في نقاشه كانت تلك المقاطع المشكوك فيها، والتي كانت تستخدم من قبل اللاهوتيين لتأسيس قواعد إنجيلية لتعليم ألوهية المسيح. بالنسبة لويتشتاين فإن هذه النصوص قد عدلت خصيصاً لدعم هذا المفهوم، حيث إن النصوص الأصلية لا يمكن أن تستخدم بهذا الغرض.

أثار هذا ضجة ضخمة بين زملاء لويتشتاين الذين أصبح عدد كبير منهم خصوماً له وأصروا على مجلس مدينة بازيل على ألا يسمح لويتشتاين بنشر

العهد الجديد اليوناني الخاص به والذي سموه (غير نافع وغير لازم وحتى عملاً خطراً) وأكدوا أن الشماس ويتشتاين يعظ ما هو غير مألوف ويصرح في عظاته بما يخالف تعاليم الكنيسة البروتستاينية، وأن لديه طبعة جديد من العهد الجديد اليوناني وفيها بعض الأفكار الخطرة مشابهة جداً لـ Sociniinianism (تعليم يرفض ألوهية المسيح). وعندما دعي ليحاسب على أرائه أمام مجلس الكلية الأعلى وجد أن لديه آراء عقلانية ترفض الإيحاء التام للكتاب المقدس ووجود الشيطان والشياطين، وتركز الاهتمام على الغموض في الكتاب المقدس.

لقد أبعد عن الخدمة المسيحية وأجبر على ترك بازيل. لذا أقام في أمستردام وتابع عمله، وادعى لاحقاً أن كل الجدل قد أجبره على تأخير نشر نسخته من العهد الجديد اليوناني لمدة 20 عاماً (1751-1752)

مع ذلك فقد كانت طبعة رائعة وما زالت تعتبر قيمة لدى الباحثين بعد مرور أكثر من 250 عامٍ. حيث قام ويتشتاين بطباعة النص المكتوب وجمع بالإضافة إلى ذلك عدداً كبيراً من النصوص اليونانية والرومانية والعبرية التي تماثل الموجودة في العهد الجديد ويمكن أن تساعد في توضيح معناها. كما أنه يجمع عدداً كبيراً من الاختلافات النصية حيث يورد ما يقارب 25 مخطوطة حرف كبير وما يقارب 250 مخطوطة حرف صغير كأدلة (أي ما يقارب 3 أضعاف العدد المتوافر لميل) حيث رتبها بترتيب واضح مشيراً إلى كل مخطوطة حرف كبير بحرف كبير مختلف ومستخدماً الترقيم العربي ليرمز إلى مخطوطات الحرف الصغير. وهو ترميز بقي شائعاً لمدة قرون ولا يزال يستخدم حتى اليوم.

على الرغم من القيمة الكبيرة لعمل ويتشتاين فإن النظرية النصية التي يستند إليها عادةً ما ينظر إليها على أنها رجعية تماماً. لقد تجاهل ويتشتاين الطرق المطورة التي اخترعها بنتلي (الذي كان ويتشتاين يعمل لديه في مقارنة المخطوطات) وبينغل الذي اعتبره عدواً، واعتبر أن كل المخطوطات القديمة للعهد الجديد لا يمكن أن يوثق بها، لأنها -بنظره- قد عدلت جميعها لتماثل النماذج اللاتينية. ليس هناك دليل على أن هذا ما حدث والنتيجة النهائية لاستخدامها كمعايير تقويم رئيسية هي أنه عندما يحاول المرء تقرير وجود تغيير نصي من عدمه فإن أفضل إجراء كما يزعم هو عدم النظر إلى ما تقوله أقدم المخطوطات (حيث إنها -من وجهة نظره- أبعد ما تكون عن الأصل) بل أن ينظر إلى ما تقوله المخطوطات الجديدة (المخطوطات اليونانية في القرون الوسطى). ولا يوجد أي باحث نصي يشاركه في هذه النظرية الغريبة.

كارل لاخمان

بعد ويتشتاين كان هناك باحثون نصيون قدموا مساهمات أعظم أو أقل لطرق تحديد الشكل الأقدم للنص الإنجيلي مواجهين عدداً متزايداً من المخطوطات (مع اكتشاف تلك الأخيرة مؤكدة وجود التغييرات) باحثين مثل ج. سيملر وج.ج غريسباخ. وبطريقة ما فإن الاكتشاف الأكبر التالي في هذا المجال لم يظهر إلا بعد 80 عاماً آخر مع نشر الطبعة الرفيعة نسبياً والثورية وذات المنظر الشئيم من العهد الجديد اليوناني من قبل عالم تاريخ اللغة كارل لاخمان الألماني (1793-1851).

قرر لاخمان في بداية عمله أن الأدلة النصية لم تكن كافية لتحديد ما كان الكاتب يريد قوله بالأصل. إن أقدم المخطوطات التي وصل إليها كانت تلك

المخطوطات من القرنين الرابع والخامس أي بعد مئات السنين من إنتاج المخطوطات الأصلية. من يمكنه أن يتوقع تعاقبات النقل التي طرأت بين خط المخطوطة ونسخ المخطوطة التي وصلت إلينا بعد عدة قرون؟ لذا أخذ لاخمان على عاتقه مهمة أبسط. لقد علم أن ما نسميه بالنص المقبول يستند على مخطوطات القرن الثاني عشر، وكان بإمكانه تحسين تلك النسخة -بما يعادل 800 عام- بواسطة إنتاج نسخة من العهد الجديد كما لو أنها ظهرت في القرن الرابع. إن المخطوطات اليونانية الباقية بالإضافة إلى مخطوطات جيروم واقتباسات النص في كتابات أشخاص مثل إيرينيوس وأوريغن وكيبريان ستسمح بذلك على الأقل. وكان ذلك ما قام به بالاعتماد على حفنة من المخطوطات القديمة المكتوبة بالحرف الكبير، بالإضافة إلى أقدم المخطوطات اللاتينية واقتباسات آباء الكنيسة من النص لم يختر أن يدقق "النص المقبول" حيث لزم الأمر (المسلك الذي أخذه أسلافه الذين لم يكونوا راضين بهذه النسخة)، ولكنه قرر أن يترك تلك النسخة تماماً ويؤسس نصاً من جديد معتمداً على أسسه الخاصة.

وهكذا أنتج في عام 1831 نسخة جديدة من النص غير مستندة على ما نسميه "بالنص المقبول" لقد كانت هذه هي المرة الأولى التي جرؤ فيها شخص على القيام بذلك. لقد استغرق ذلك 300 عام، ولكن في نهاية الأمر فإن العالم قد وصله نسخة من العهد الجديد اليوناني كانت مرتكزة على أدلة قديمة.

لم يكن سعي لاخمان لإنتاج نص كما كان في القرن الرابع مفهوماً دائماً. وحتى عندما كان مفهوماً لم يكن يقدر. لقد اعتقد العديد من القراء أن لاخمان كان يدعي أنه يقدم النص الأصلي. وكان اعتراضهم هو أنه بقيامه بذلك كان يبتعد عن كل الأدلة السابقة (الروايات المكتوبة الأحدث والتي

تحتوي على عدد كبير من المخطوطات). وعلق آخرون على شبه محاولته بمحاولة بنيلي الذي كانت لديه فكرة مقارنة المخطوطات اليونانية واللاتينية الأولى لتحديد النص في القرن الرابع والذي اعتقد أنه كان النص الذي كان معروفاً لأوريغن في بداية القرن الثالث. وكنتيجة لذلك دعي لاخمان أحياناً "بمقلد بنتلي" في الواقع فإن لاخمان قد كسر القاعدة الميؤوس منها والمرتكزة على أصحاب المطابع والباحثين على حد سواء حيث إنهم يعطون أفضلية "للنص المقبول" وهي أفضلية لا يستحقها بما أنه كان يطبع ويطبع مجدداً. ليس بسبب شعور الناس بأنه يرتكز على أساسات نصية صحيحة، بل لأنه كان نصاً تقليدياً ومألوفاً فقط.

لوبيغوت فريدريخ كونستانتين فون تيسخيندورف

بينما كان باحثون مثل بنتلي وبينغل ولاخمان يضعون طرقاً لتستخدم في فحص القراءات المختلفة من مخطوطات العهد الجديد كانت هناك اكتشافات تكتشف بشكل منتظم في المكتبات القديمة والأديرة سواء في الشرق أو الغرب. كان هناك باحث من القرن 19 وكان دائم المواظبة على اكتشاف مخطوطات إنجيلية ونشر نصوصها يدعى لوبيغوت فريدريخ كونستانتين فون تيسخيندورف (1815-1874). كان يدعى لوبيغوت (كلمة ألمانية تعني "مجد الرب") لأنه قبل ولادته رأت والدته رجلاً أعمى، وخضع فكرها للمعتقد الخرافي القائل أن ذلك سيسبب ولادة طفل أعمى. وعندما ولد بصحة تامة كرسته للرب بتسميته بهذا الاسم غير المألوف.

لقد كان تيسخيندورف باحثاً متحمساً بشكل غير مألوف، وكان يرى أن عمله على نص العهد الجديد هو مهمة مقدسة ذات طابع إلهي. وكتب مرة إلى خطيبته في بداية عشريناته: "أنا أواجه مهمة مقدسة، الصراع لإعادة النصوص الأصلية للعهد الجديد". تلك المهمة المقدسة التي سعى لإتمامها عن طريق إيجاد كل مخطوطة مخفية في كل مكتبة ودير أمكنه إيجاده. لقد قام بعدة جولات في أوروبا وإلى الشرق (أي ما ندعوه بالشرق الأوسط) واجداً وناقلاً وناشراً لمخطوطات حيثما ذهب. وكان واحد من أول وأفضل نجاحاته هو مخطوطة كانت معروفة ولكن لم يكن هناك أحد قادراً على قراءتها كانت تلك Codex Ephraemi Rescriptus المحفوظة في Bibliuteque National في باريس. كانت المخطوطة أصلاً هي مخطوطة من العهد الجديد اليوناني تعود إلى القرن الخامس، ولكنها محيت في القرن الثاني عشر لتستخدم صفحات الرق لتسجيل بعض الطقوس من قبل أبي الكنيسة السريانية إفرام. وبما أن الصفحات لم تمسح بشكل كامل، فإنه كان بالإمكان رؤية الكتابة السابقة بالرغم من أنها لم تكن واضحة كفاية لمعرفة معظم الكلمات، على الرغم من أن عدداً من أفضل الباحثين بذلوا أفضل ما بوسعهم. على كل حال فإنه في عهد تيسخيندورف فإن الكواشف الكيميائية المكتشفة أمكنها المساعدة في إظهار الكتابة المخفية. وباستخدام هذه الكواشف بحذر كان بإمكان تيسخيندورف أن يعرف تلك الكلمات. وهكذا أنتج أول نقل ناجح لهذا النص القديم مكتسباً لنفسه سمعة من نوع ما بين المهتمين بهذا المجال.

قام هؤلاء الناس بتأمين الدعم المادي لرحلات تيسخيندورف إلى أوروبا والشرق الأوسط لإيجاد المخطوطات. ولقد كان أشهر اكتشافاته على

الإطلاق هو أفضل مخطوطة بالفعل عن الإنجيل وهي Codex Sinaiticus. إن قصة اكتشافها تشبه الأسطورة، ولدينا الرواية من يده مباشرة.

لقد قام تيسخيندورف برحلة إلى مصر عام 1844، حيث لم يكن قد أكمل الثلاثين عاماً عندما وصل على ظهر الجمل في نهاية المطاف إلى دير سانت كاثرين. وما حدث هناك في 24 أيار 1844 يفضل أن يوصف بكلماته الخاصة:

"لقد كان ذلك عند سفح جبل سيناء في دير سانت كاثرين حيث اكتشف لؤلؤة أبحاثي كلها. في زيارتي للدير في أيار 1844 لاحظت في وسط القاعة الكبرى سلة كبيرة مملأى بالمخطوطات الرقية القديمة. وأخبرني أمين المكتبة الذي كان رجل علم أن كميتين مشابهتين من الأوراق قد بليتا مع الزمن وألقيتا في النار. ولكم أن تتصوروا دهشتي عندما وجدت بين هذه الكومة من الأوراق عدداً لا بأس به من الصفحات من نسخة من العهد القديم باللغة اليونانية التي بدت لي على أنها أقدم نسخة رأيتها على الإطلاق. سمحت لي رئاسة الدير بأن احتفظ بثلث هذه المخطوطات الرقية أو ما يقارب 43 صفحة، حيث إنها كانت معدة لتلقى في النار. ولكنني لم أستطع أن أقنعهم أن يعطوني البقية. إن الرضا الغامر الذي أظهرته قد أيقظ شكوكهم بقيمة هذه المخطوطات لقد نقلت صفحة من كتاب إشعياء وإرميا وطلبت من الرهبان أن ينتبهوا إلى هذه البقايا التي تصادفهم".

لقد حاول تيسخيندورف أن يستعيد باقي مخطوطاته الثمينة، ولكنه لم يستطع أن يقنع الرهبان بمساعدته في ذلك. وبعد تسعة أعوام قام برحلة أخرى لم يكن باستطاعته أن يجد أي أثر لها. ثم في عام 1859 انطلق مرة

أخرى تحت رعاية قيصر روسيا ألكسندر الثاني المهتم بكل الأغراض المسيحية وخاصة التاريخ المسيحي. وهذه المرة لم يستطع تيسخيندورف أن يجد أي أثر للمخطوطات حتى آخر يوم من زيارته. وعندما دعي إلى غرفة مدير الدير ناقش معه العهد القديم اليوناني ، فأخبره المدير:

"لقد قرأت أنا أيضاً العهد القديم اليوناني" ثم قام بسحب مجلد ملفوف في قطعة قماش حمراء من زاوية غرفته ، ويتابع تيسخيندورف:

" عندما كشفت الغطاء اكتشفت -لدهشتني الكبرى- ليس فقط تلك الأجزاء التي أخرجتها من السلة قبل 15 عاماً ، ولكن أيضاً أجزاءً من العهد القديم والعهد الجديد بتمامه بالإضافة إلى إنجيل برنابا وجزءاً من كتابات القس هرمز. وسيطرت على فرحتي لأخفيها عن رئيس الدير وباقي الرهبان طلبت –كما لو أنني غير مهتم- أن آخذ هذه المخطوطات إلى غرفتي لألقي عليها نظرة في وقت فراغي" .

وأدرك تيسخيندورف المخطوطة الموجودة بين يديه. لقد كانت أقدم نسخة من العهد الجديد

"أغلى كنز إنجيلي موجود على الإطلاق وثيقة يتجاوز عمرها وقيمتها كل المخطوطات التي عاينتها" وبعد مفاوضات طويلة ومعقدة وذكر فيها تيسخيندورف الرهبان براعيه الذي سيغمره الفرح بهذه المخطوطة النادرة وسيقوم بلا شك بردها بمنح ، هبات مادية معينة للدير أمكن لتيسخيندورف أخيراً أن يأخذ المخطوطة إلى ليبزيك حيث قام تحت رعاية ونفقة القيصر بإعداد نسخة فاخرة من 4 مجلدات وقد ظهرت عام 1862 في الذكرى الألفية لتأسيس القيصرية الروسية.

بعد الثورة قامت الحكومة الجديدة بسبب حاجتها إلى المال وعدم اهتمامها بالمخطوطات الإنجيلية ببيع هذه المخطوطة للمتحف البريطاني مقابل مئة ألف جنيه إسترليني. وهي الآن جزء من المجموعة الدائمة للمكتبة البريطانية حيث تعرض بشكل بارز في غرفة المخطوطات هناك.

إن هذه بالطبع كانت واحدة من عدة مساهمات لتيسخيندورف في مجال الأبحاث النصية. فقد نشر إجمالاً 22 نسخة من نصوص مسيحية قديمة، بالإضافة إلى 8 نسخ متفرقة من العهد الجديد اليوناني. النسخة الثامنة التي ما زالت تعتبر كنزاً مليئاً بالمعلومات والتي تعد إقراراً لليونان ودليلاً لهذه القراءة أو تلك. إن إنتاجيته كباحث يمكن أن تقاس من مقال بيان المؤلفات المكتوب عنه من قبل باحث يدعى كاسبر رينيه غريغوري: إن اللائحة بأعمال تيسخيندورف المنشورة تملأ 11 صفحة بتمامها.

بروك فوس ويستكوت
وفينتون جون أنتوني هورت

إن النقاد النصيين المعاصرين يحملون امتناناً كبيراً لباحثي كامبريدج من القرنين الثامن عشر والتاسع عشر بروك فوس ويستكوت (1825-1901) وفينتون جون أنتوني هورت (1828-1892) لتطويرهما طرق التحليل التي تساعدنا على التفاعل مع المخطوطات الخاصة بالعهد الجديد، فمنذ نشر عملهما الشهير 1881 "العهد الجديد باليونانية الأصلية" فإن اسميهما أصبحا الاسمين الذي يجب على كل الباحثين أن يناقشوهما في إثبات آرائهم الإنسانية أو في التلاعب بتفاصيل ادعاءاتهم أو في وضع مقاربات بديلة،

من وجهة نظر نظام التحليل المحكم الذي وضعاه. إن قوة التحليل تعود إلى عبقرية هورت بشكل خاص.

إن عملهما ظهر في مجلدين. كان أحدهما نسخة من العهد الجديد مرتكزة على عملهما المشترك لمدة 28 عاماً في تقرير النص الأصلي حيثما كانت تظهر الاختلافات في النص، والآخر كان عرضاً للمبادئ النقدية التي اتبعاها في إنتاج عملهما. فقد كتب المجلد الثاني من قبل هورت، ويمثل بشكل غير مسبوق مسحاً منطقياً وحاسماً لكل المواد والطرق المتوافرة للباحثين الراغبين بالقيام بمهمة النقد النصي. إن الكتابة مكثفة لم تهدر فيها كلمة واحدة، والمنطق محكم لم يترك زاوية دون البحث فيها، إنه كتاب عظيم، ويمثل كتاباً كلاسيكياً في هذا المجال. أنا لا أسمح لطلابي المتخرجين أن ينهوا دراستهم دون أن يحفظوه.

بطريقة ما فإن مشكلات نص العهد الجديد استرعت اهتمام ويستكوت وهورت في معظم حياتهما المهنية. وعندما كان هورت في الثالثة والعشرين وتدرب على الكلاسيكيات ولم يكن واعياً للوضع النصي للعهد الجديد كتب رسالة إلى صديقه جون إليرتون.

"لم يكن لدي أي فكرة حتى بضعة أسابيع مضت عن أهمية النصوص بما أنني قرأت جزءً بسيطاً من العهد الجديد اليوناني، وأطلت مع (Textus Receptus) (النص المقبول) الرديء. إن عدة تعديلات على مخطوطة جيدة تجعل الأشياء واضحة لا بطريقة شعبية أو قومية ولكن بإعطائها معنى أعمق وأكبر. فكر بذلك النص الرديء المستند برمته على مخطوطات حديثة. إنها مباركة لنا أن تجد أن هناك مخطوطات قديمة كهذه.

وبعد عدة سنوات فقط قرر ويستكوت وهورت أن يدققا نسخة جديدة من العهد الجديد. وفي رسالة أخرى لإليرتون في 19 نيسان 1853 علق هورت :

"لم أر شخصاً أعرفه باستثناء ويستكوت الذي زرته لبضع ساعات وإحدى نتائج حديثنا سأخبرك بها. لقد اتفقنا أنا وهو على تدقيق نص إنجيلي من العهد الجديد لسنتين أو ثلاث من الآن إذا أمكن. لا خمان وتيسخيندورف سيزودانا بمواد غنية، ولكنها ليست كافية بالطبع. إن هدفنا هو تزويد رجال الدين والمدارس بنسخة محمولة من العهد الجديد اليوناني التي لم تشوه بالفساد البيزنطي (العصور الوسطى)"

إن توقعات هورت المتفائلة بأن هذه النسخة لن تستغرق وقتاً طويلاً موجودة بالدليل في تشرين الثاني من تلك السنة حيث يشير أنه يأمل أنه وويستكوت سنيتهيان من نسختهما بأقل من سنة بقليل. ومع بدء العمل على المشروع خابت آمال الانتهاء السريع، وبعد حوالي 9 أعوام كتب هورت رسالة إلى ويستكوت يحاول فيها رفع معنوياته التي تدنت مع العمل الذي لا يزال أمامهما، قال فيها :

"إن العمل يجب أن ينجز، ولن ينجز بشكل مرضٍ أبداً دون جهد ضخم. وهي حقيقة يبدو أن لا أحد في أوروبا يدركها. أما الكميات الكبيرة من القراءات فإذا فصلناها في كميات صغيرة عن الباقي فإن الجد سيكون غير متجانس. ولكن الاعتقاد أنه من المستحيل رسم خط بين القراءات الهامة وغير الهامة، يجب أن أتردد في قول إن الجهد غير متجانس مع قيمة إصلاح النص كله إلى أعظم مدى يمكن الوصول إليه. وسيكون في اعتقادي أمراً لا يغتفر بالنسبة لنا إذا تخلينا عن مهمتنا".

لم يكونا ليستسلما في مهمتهما. ولكنها أصبحت أعقد وأكثر تشابكاً مع مرور الوقت، واستغرق باحثا كامبريدج في نهاية الأمر 28 عاماً من الجهد المتواصل تقريباً لإنتاج نصهما مع مقدمة بقلم هورت.

لقد كان العمل يستحق ذلك، إن النص الذي أنتجه ويسكوت وهورت شبيه بشكل ملحوظ بذلك الذي يستخدمه الباحثون اليوم بشكل واسع بعد أكثر من قرن. وليس الأمر أنه لم يتم اكتشاف مخطوطات جديدة أو لم تظهر تطورات نظرية أو لم تنبثق اختلافات في الرأي من يوم ويستكوت وهورت. ومع ذلك فإنه حتى مع تطور التقنيات والطرق وحتى مع مصادر المخطوطات التي لا تقارن التي نملكها تحت تصرفنا فإن نصوصنا اليونانية اليوم تحمل شبهاً غريباً بنص ويستكوت وهورت اليوناني.

لن يخدم هدفي هنا أن أدخل في نقاش مفصل عن التطويرات التي أحدثها ويستكوت وهورت في تأسيس نصهما اليوناني. إن المنطق الذي أظهر عملهما أهميته هو جمع المخطوطات. فمنذ أن لاحظ بينغل أن المخطوطات تجتمع في مجمعات أسرية (أو ما يشبه رسم شجرة مماثلة لأفراد أسرة) فإن الباحثين حاولوا أن يعزلوا مجموعات مختلفة من النماذج في عائلات وكان ويستكوت وهورت مهتمين جداً بهذا المسعى أيضاً. لقد كانت وجهة نظرهما في هذه القضية أن المخطوطات تنتمي إلى العائلة نفسها عندما تتفق بعضها مع بعض في الكلمات؛ أي أنه إذا كانت مخطوطتان فيهما الكلمات نفسها لآية معينة فإن ذلك يعود إلى أن هاتين المخطوطتين تعودان بشكل مطلق إلى مصدر واحد سواء كانت المخطوطة الأصلية أو نسخة عنها. وكما يقول المبدأ أحياناً: *"هوية القراءة تشير إلى هوية الأصل"*.

يمكن للمرء عندها أن يشكل مجموعات أسرية مرتكزة على الاتفاقات النصية بين المخطوطات الناجية المختلفة. بالنسبة لويستكوت وهورت فإن هناك 4 عائلات كبرى في المخطوطات:

1. النص السرياني: أو ما سماه الباحثون الآخرون بالنص البيزنطي الذي يمثل معظم مخطوطات العصور الوسطى. إن أعدادها كبيرة، ولكنها غير قريبة في كلماتها من النص الأصلي.

2. النص الغربي: يتألف من مخطوطات يعود تاريخها إلى تاريخ قديم جداً. لا بد أن النماذج الأصلية تعود إلى وقت ما من القرن الثاني على أقل تقدير. وتمثل هذه النصوص النسخ الحر في تلك الفترة قبل أن يصبح نقل النصوص عملاً للنساخ المحترفين.

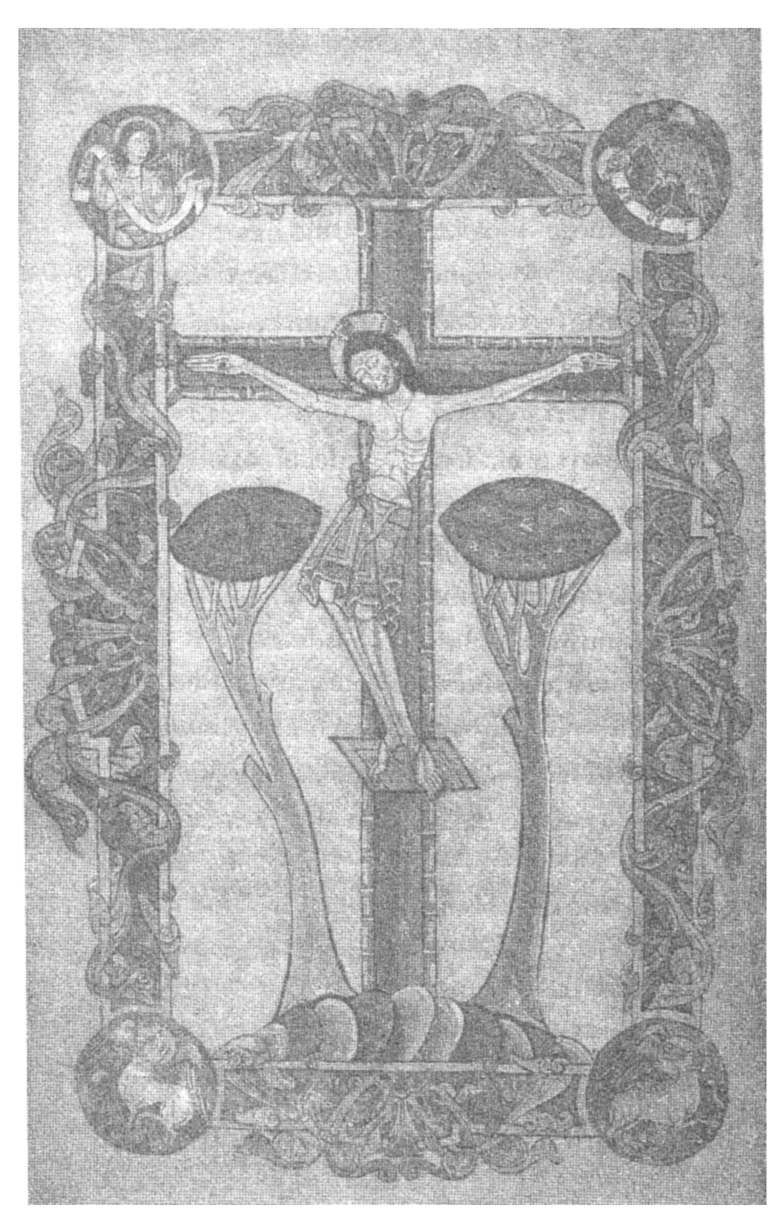
3. النصوص الاسكندرانية: التي نشأت من الإسكندرية والتي كان نساخها مدربين وحذرين، ولكنهم غيروا نصوصهم أحياناً ليجعلوها أكثر ملاءمة كقواعد وكأسلوب، وبالتالي غيروا كلمات الأصل.

4. النصوص الحيادية: التي تتألف من مخطوطات لم تخضع لأية سلسلة من التغييرات أو المراجعة في أثناء عمليات نسخها، وتمثل الشكل الأكثر صحة للنص الأصلي.

إن المثالين الأكثر تميزاً لهذه النصوص برأي ويستكوت وهورت كانتا Codex Sinaiticus (المخطوطة المكتشفة من قبل تيسخيندورف) وCodex Vaticanus المكتشفة في مكتبة الفاتيكان. هاتان كانتا أقدم مخطوطتين متوافرتين لويستكوت وهورت. وكانا يفضلانهما على أية مخطوطة أخرى، لأنهما تمثلان ما يسمى بالنصوص الحيادية.

لقد تغيرت أشياء عديدة في التسميات منذ عهد وستكوت وهورت، لم يعد الباحثون يتكلمون عن النصوص الحيادية، ومعظمهم يدرك أن "النصوص الغربية" اسم مغلوط بما أن عمليات النسخ الحرة كانت تجري في الشرق كما في الغرب. بالإضافة إلى ذلك، فإن نظام ويستكوت وهورت قد أصلح من قبل الباحثين لاحقين فإن أحدث الباحثين يظنون، على سبيل المثال، أن النصوص الاسكندرانية، والنصوص الحيادية هي نفسها، إن السبب هو كون بعض هذه المخطوطات أفضل تمثيلاً لهذا النص من المخطوطات الأخرى. ثم هناك أيضاً أنه قد تمت اكتشافات ملحوظة للمخطوطات منذ عصرهما، وخاصة اكتشاف البرديات. ومع ذلك، فإن منهج ويستكوت وهورت ما زال مستخدماً من قبل الباحثين الذين يحاولون معرفة الأماكن التي خضعت للتغيير في المخطوطات الناجية والأماكن التي حافظت على النص الأصلي.

كما سنرى في الفصل التالي، فإن المنهجية الأساسية سهلة على الفهم، بمجرد شرحها بوضوح، ويمكن أن يكون تطبيقها على المشكلات النصية مثيراً أو ربما مسلياً، حيث نعمل لنرى أياً من القراءات المختلفة في مخطوطاتنا تمثل كلمات النص المكتوبة من قبل مؤلفها، وأيها تمثل التغييرات التي قام بها النساخ فيما بعد.



صورة من القرن الحادي عشر تمثل صلب المسيح، مع وجود رمزي لكتاب الأناجيل الأربعة في الزوايا: ملاك (متى)، نسر (يوحنا)، أسد (مرقس) وثور (لوقا)

5

الأصول المهمة

في هذا الفصل سنفحص الطرق التي ابتكرها العلماء لتمييز الشكل "الأصلي" للنصّ (أو على الأقل "أقدم" شكل يمكن الوصول إليه) وشكل النصّ الذي يمثّل تعديلاً نسخياً لاحقاً. بعد عرض هذه الطرق، سأوضح كيف يمكن أن تستخدم عن طريق التركيز على ثلاثة مغايرات نصّية وجدت في مخطوطاتنا من العهد الجديد. اخترت هذه الثلاثة لأنها أساسية لتفسير الكتب التي تحويها؛ والأكثر من ذلك هو أنه لا يوجد أي من هذه القراءات المختلفة في أغلب الترجمات الإنجليزية الحديثة من العهد الجديد. بمعنى آخر، إنني أعدُّ أن الترجمات المتوافرة لأكثر القرّاء الإنجليز مستندة على النصّ الخاطئ، واعتماد النصّ الخاطئ يؤدي إلى اختلافات حقيقية في تفسير هذه الكتب.

أولاً، يجب أن نتعرف على الطرق التي طورها العلماء لاتخاذ القرارات حول أيّ من القراءات النصّية أصلية وأيها تمثّل التغييرات اللاحقة من قبل النساخ. وكما سنرى، فإن تأسيس الشكل الأسبق للنصّ ليس دائما مسألة بسيطة؛ بل يمكن أن يكون مجهوداً مرهقاً.

يدعو أغلبية النقّاد النصّيين اليوم أنفسهم بالاختياريين العقلانيين عندما يتعلق الأمر باتخاذ القرارات حول الشكل الأقدم للنصّ. هذا يعني أنّهم

"يختارون" (المعنى الجذري لكلمة اختياري) من بين تشكيلة القراءات النصّية التغيير الذي يمثل الشكل الأقدم للنصّ بأفضل شكل ممكن ، مستخدمين مجالاً من الحجج النصّية (العقلانية). هذه الحجج مستندة على الدليل الذي يصنّف عادة على أنه خارجي أو داخلي في طبيعته.

الدليل الخارجي

إن الحجج المستندة على الدليل الخارجي لها علاقة بدعم المخطوطات الباقية لهذه القراءة أو تلك. أيّ المخطوطات شهدت على القراءة؟ هل تلك المخطوطات موثوقة؟ ولماذا هي موثوقة أو غير موثوقة؟

أثناء التفكير بشأن المخطوطات التي تدعم تغييراً نصّياً دون آخر، قد يغري المرء ببساطة بأن يحصي الأصوات، على سبيل المثال، لكي يرى أيّ من القراءات المختلفة توجد في معظم المخطوطات الباقية. أكثر العلماء اليوم، على أية حال، ليسوا مقتنعين على الإطلاق أن أغلبية المخطوطات تؤمن -بالضرورة- أفضل نصّ متوفر. إنّ السبب يسهل شرحه عن طريق مثال.

افترض بأنّ بعد المخطوطة الأصلية أنتج نصان، وسندعوهما A وB. ستختلف هاتان النسختان، بالطبع، إحداهما عن الأخرى بشكل من الأشكال -اختلافاً قد يكون كبيراً أو صغيراً. لنفترض الآن أنّ A نسخت من قبل ناسخ واحد، لكن B نسخت من قبل خمسين ناسخاً آخر. ثمّ ضاعت المخطوطة الأصلية، مع النسخ A وB، بحيث أن كلّ الذي بقي من التقليد النصّي هو نسخ الجيل الثاني الإحدى والخمسون، واحدة منسوخة عن A وخمسون منسوخة عن B. إذا وجدت قراءة في المخطوطات الخمسين (من B) تختلف عن قراءة موجودة في النسخة الواحدة (من A)، فهل من الضروري

أن تكون القراءة الأولى هي القراءة الأصلية؟ لا ، على الإطلاق -بالرغم من أنّه بحساب الأصوات ، فإنها موجودة في خمسين ضعفاً من النماذج. في الواقع ، فإن الاختلاف النهائي في الدعم لتلك القراءة ليس خمسين مخطوطة مقابل واحد. بل اختلاف بين واحدة مقابل واحدة (A ضدّ B). مجرد مسألة أعداد المخطوطات التي تدعم إحدى القراءات ضد الأخرى ، لذا ، فإن ذلك ليس وثيق الصلة جدا بمسألة أي القراءات الموجودة في مخطوطاتنا الباقية تمثّل الشكل الأصلي (أو الأقدم) للنصّ.

لذا اقتنع العلماء عموماً بأنّ الاعتبارات الأخرى أكثر أهمية بكثير في تقرير أن القراءة التي تعتبر الشكل الأقدم للنصّ ستوجد في المخطوطات الأقدم الباقية مسلمين بأن النصّ يتغير أكثر فأكثر بمرور الوقت. هذا لا يعني أن المرء يمكنه أن يتبع المخطوطات الأقدم بصورة عمياء في كلّ الحالات ، بالطبع. وهذا لسببين ، الأول مسألة منطق والآخر مسألة تاريخ. من ناحية المنطق ، لنفترض أن مخطوطة من القرن الخامس فيها قراءة ما ، ولكن مخطوطة من القرن الثامن فيها قراءة مختلفة. هل القراءة الموجودة في مخطوطة القرن الخامس هي بالضرورة الشكل الأقدم للنصّ؟ لا ، ليس بالضرورة. ماذا لو أن مخطوطة القرن الخامس كانت قد أنتجت من نسخة من القرن الرابع ، لكن مخطوطة القرن الثامن أنتجت من إحدى نسخ القرن الثالث؟ في تلك الحالة ، فإن مخطوطة القرن الثامن تحفظ القراءة الأقدم.

السبب الثاني التاريخي هو أن المرء لا يستطيع النظر إلى ما تقوله المخطوطة الأقدم ببساطة ، بدون اعتبارات أخرى ، ذلك أنه ، كما رأينا ، فإن الفترة الأولى للنقل النصّي كانت أيضا الأقلّ ضبطاً. أي عندما كان نساخ غير محترفين ، ينسخون نصوصنا ويقترفون الكثير من الأخطاء في نسخهم.

لذا، فإن عمر المخطوطة يهمّ، لكنّه لا يمكن أن يكون معياراً مطلقاً. لهذا فإن أكثر النقّاد النصّيين هم اختياريون عقلانيون. يعتقدون بأنّهم يجب أن ينظروا إلى مدى الحجج بالنسبة لقراءة أو أخرى، لا أن يعدوا المخطوطات ببساطة أو يأخذوا أقدم مخطوطة مثبتة. مع ذلك، ففي نهاية اليوم، إذا كانت أغلبية مخطوطاتنا القديمة تدعم إحدى القراءات أكثر من الأخرى، فإنه بالتأكيد يجب أن ينظر إلى تلك المجموعة من العوامل على أنها مهمة في اتخاذ قرار نصّي.

الميزّة الأخرى للدليل الخارجي هي المدى الجغرافي للمخطوطات المساندة لقراءة ضد أخرى. لنفترض أن إحدى القراءات موجودة في عدد من المخطوطات، لكن كلّ هذه المخطوطات يمكن أن يظهر أنها نشأت، لنقل، في روما، بينما تشكيلة واسعة من المخطوطات الأخرى من مصر، وفلسطين، وآسيا الصغرى، وفرنسا تمثل كلّها قراءة أخرى. ففي تلك الحالة، قد يشك الناقد النصّي بأنّ القراءة الأولى كانت تغييراً "محليّاً" (النسخ المصنوعة في روما كلّها فيها نفس الخطأ) وأن القراءة الأخرى هي الأقدم، وهي المحافظة على النصّ الأصلي على الأغلب.

إن المعيار الخارجي الأكثر أهمية الذي يتبعه العلماء هو: لتعتبر قراءة "أصلية"، عادة يجب أن توجد في أفضل المخطوطات وأفضل مجموعات المخطوطات. وقد يكون هذا تقييماً صعباً بعض الشيء، لكنّه يعمل بهذه الطريقة: يمكن أن ترى بعض المخطوطات بخلفيات مختلفة، لكي تكون متفوقة على المخطوطات الأخرى. فعلى سبيل المثال، عندما يكون الدليل الداخلي (سيناقش لاحقاً) حاسماً بشكل عملي بالنسبة لقراءة ما، فإن هذه المخطوطات تكون فيها هذه القراءة بشكل دائم تقريباً، بينما المخطوطات

الأخرى (عادة، كما يبدو، المخطوطات اللاحقة) تملك القراءة البديلة. إن المبدأ هنا يقول إنه إذا كانت بعض المخطوطات معروفة بكونها متفوّقة في القراءات عندما يكون الشكل الأقدم واضحاً، فإنها على الأرجح تكون متفوّقة أيضاً في القراءات التي لا يكون الدليل الداخلي واضحاً فيها. وبطريقة ما، فإن ذلك يشبه امتلاك الشهود في محكمة أو أن تعرف أصدقاء يمكن أن تثق بكلامهم. عندما تعرف بأنّ الشخص عرضة للكذب، عندها لا يمكن أن تكون متأكّداً من أنه يمكن أن يوثق به؛ لكن إذا كنت تعرف بأنّ الشخص موثوق جداً، عندها يمكنك أن تثق بذلك الشخص حتى عندما يخبرك بشيء لا تستطيع التحقق منه.

نفس الشيء ينطبق على مجموعات النماذج. لقد رأينا في الفصل الرابع أنّ ويستكوت وهورت طوّرا فكرة بينغل بأنّ المخطوطات يمكن أن تجمّع في عائلات نصّية. البعض من هذه التجمّعات النصّية، كما يبدو، أنها يمكن أن توثق أكثر من مجموعات أخرى، لأنّها تحوي على أقدم وأفضل النماذج الباقية، وعندما تختبر، فإنها يبدو أنها تقدم قراءات متفوّقة. ويعتقد معظم الباحثين الاختياريين العقلانيين، بأنّ ما يسمّى بالنصّ الإسكندري بشكل خاص (الذي يتضمّن نصّ هورت "المحايد")، الذي ارتبط بالممارسات النسخية الحذرة أصلاً للناسخين المسيحيين في الاسكندرية، مصر، هو الشكل المتفوّق للنصّ المتوفر، وفي أكثر الحالات يزوّدنا بالنصّ الأقدم أو "الأصلي"، حيثما كان هناك اختلاف. النصوص "البيزنطية" و"الغربية"، من الناحية الأخرى، أقل احتمالاً لإبقاء أفضل القراءات، عندما لا تكون مدعومة من قبل المخطوطات الإسكندرية.

الدليل الداخلي

النقّاد النصّيون الذين يعتبرون أنفسهم اختياريين عقلانيين يختارون من مدى من القراءات المستندة على عدد من الأدلّة. بالإضافة إلى الدليل الخارجي الذي تؤمنه بالمخطوطات، يستخدم نوعان من أنواع الأدلة الداخلية يستعملان عادة. يتضمّن الأول ما يدعى بالاحتمالات الجوهرية - احتمالات مستندة على ما يمكن أن يكون مؤلف النصّ نفسه قد كتبه على الأغلب. نحن قادرون على دراسة أسلوب الكتابة، والمفردات، والنظريات اللاهوتية للمؤلف، بالطبع. عندما يكون هناك قراءتان مختلفتان أو أكثر محفوظتان بين مخطوطاتنا، وتستخدم إحداهما كلمات أو ميزات أسلوبية غير موجودة في عمل ذلك المؤلف في أي مكان آخر، أو أنها تمثّل وجهة نظر تختلف مع ما يعتنقه المؤلف ، عندها يكون من غير المحتمل أن يكون ذلك ما كتبه المؤلف -خصوصاً إذا كانت قراءة مثبتة أخرى تنسجم بشكل جيد مع كتابة المؤلف في مكان آخر.

إنّ النوع الثاني للدليل الداخلي يدعى الاحتمال النقلي. لأن هذا الاحتمال لا يسأل عن القراءة التي يحتمل أن يكون المؤلف قد كتبها، لكن عن تلك القراءة التي يحتمل أن يكون ناسخ قد خلقها. ويعود هذا النوع من الأدلة بشكل مطلق إلى فكرة بينغل أن القراءة "الأكثر صعوبة" هي على الأرجح القراءة الأصلية. هذه مقدّمة منطقية للفكرة القائلة إن النساخ يحاولون على الأرجح تصحيح ما يعتبرونه خطأً لتنسيق المقاطع التي يعتبرونها متناقضة، ولجعل النظريات اللاهوتية لنصّ ما أكثر توافقاً مع نظرياتهم الخاصة. القراءات التي قد تبدو أنها تحوي "خطأ"، أو قلة انسجام، أو نظرية لاهوتية غريبة بشكل سطحي، فإن احتمال كونها قد غيّرت من قبل ناسخ أكثر من

احتمال كونها قراءات "أسهل". ويعبر عن هذا المعيار أحياناً بالشكل التالي: "القراءة التي توضّح وجود الآخرين بشكل أفضل فإنها على الأرجح تكون أصلية".

أنا أعرض الأشكال الخارجية والداخلية المختلفة للأدلة التي يعتمد عليها النقّاد النصّيون ، لا لأنني أتوقّع أن يتقن كلّ شخص يقرأ هذه الصفحات هذه المبادئ ويبدأ بتطبيقها على مخطوطة العهد الجديد، لكن لأنه من المهم معرفتها عندما نحاول أن نقرّر ما كان النصّ الأصلي، حيث يجب أن يؤخذ مجال واسع من الاعتبارات في الحسبان، ويجب أن تتخذ الكثير من القرارات المصيرية. هناك أوقات تختلف الأدلّة المختلفة بعضها عن بعض، على سبيل المثال، عندما تكون القراءة الأكثر صعوبة (احتمالات نقلية) ليست موثقة بشكل جيد في المخطوطات القديمة (دليل خارجي)، أو عندما تكون القراءة الأكثر صعوبة لا تتناسب مع أسلوب كتابة المؤلف (احتمالات جوهرية).

باختصار، فإن تقرير النصّ الأصلي ليس بسيطاً ولا مباشراً! ويتطلّب الكثير من الفكر والنخل الحذر للأدلة، ويصل علماء مختلفون دائماً إلى استنتاجات مختلفة - ليس فقط في أمور بسيطة ليس لها تأثير على معنى مقطع ما (مثل تهجّئة كلمة أو تغيير ترتيب الكلمات في اليونانية الذي لا يمكن أن يتكرر في الترجمة الإنجليزية)، لكن أيضا في أمور كبيرة الأهمية. الأمور التي تؤثّر على تفسير كامل العهد الجديد.

لتصوير أهمية بعض القرارات النصّية، ألتفت الآن إلى المغايرات النصّية الثلاثة من النوع الأخير، حيث إن تقرير النصّ الأصلي له تأثير هام على كيفية فهم المرء لرسالة بعض من مؤلفي العهد الجديد. كما يبدو، في كلّ هذه الحالات أعتقد أن أكثر المترجمين الإنجليز اختاروا القراءة الخاطئة، ولذا

يقدّمون ترجمة ليست من النصّ الأصلي، لكن النصّ الذي أوجده النساخ عندما عدلوا الأصل. أوّل هذه النصوص تجيء من إنجيل مرقس وتتعلق بغضب المسيح عندما ترجاه مجذوم مسكين كي يشفيه.

مرقس والمسيح الغاضب

المشكلة النصّية في مرقس 1:41 تحدث في قصّة المسيح الذي يشفي فيها رجلاً مصاباً بمرض جلدي. تحفظ المخطوطات الباقية الآية 42 بشكلين مختلفين؛ كلتا القراءتين موضحتان هنا، في الأقواس.

فكان يكرز في معابدهم في كل الجليل ويطرد الشياطين. وجاء إليه أبرص جاثياً على ركبتيه ويقول له، "إذا أردت، أنت قادر على تطهيري." و[أشفق (باليونانية: Splangnistheis) / غضب (باليونانية: Orgistheis)]، مد يده ولمسَه وقال، "أريد، فاطهر." وفورا خرج منه البرص، وطهر. وانتهره، وأرسله فوراً، وقال له، "احرص على ألا تقول شيئاً لأي شخص، لكن اذهب، واعرض نفسك على الكاهن وقدم عن تطهيرك ما أمره موسى شهادة لهم" لكن عندما خرج بدأ ينادي بالعديد من الأشياء وينشر الخبر، حتى لم يعد [المسيح] قادراً على الدخول علناً إلى مدينة.

تعود أكثر الترجمات الإنجليزية إلى بداية الآية 41 لكي تؤكّد حبّ السيد المسيح لهذا الأبرص المرفوض المسكين: "تحنن" (أو الكلمة يمكن أن تترجم "تأثر بالشفقة") له. وبالقيام بذلك، تتبع هذه الترجمات النصّ اليوناني الموجود في أغلب مخطوطاتنا. من السّهل جداً أن نرى ما الذي يدعو للشفقة في هذه الحالة. نحن لا نعرف الطبيعة الدقيقة لمرض الرجل -العديد من

المعلّقين يفضّلون اعتباره على أنه تقشر في الجلد بدلاً من تعفّن اللحم الذي نسميه عادة بمرض الجذام. على أي حال، لربّما كان سقط تحت أوامر التوراة التي حرّمت على"المصابين بداء الجذام" أيّ نوع من الحياة الطبيعية ؛ لقد كانوا معزولين، منقطعين عن الناس، ويعتبرون قذرين (سفر اللاويين 13-14). ومتأثراً بالشفقة تجاه شخص كهذا، يمد السيد المسيح يداً حانية، تلمس جسده المريض، وتشفيه.

التأسي البسيط والعاطفة غير المضطربة في المشهد لربّما تفسّران تصرف المترجمين والمفسرين الذين، كقاعدة، لا يأخذون النصّ البديل الموجود في بعض من مخطوطاتنا. لأن كلمات واحدة من نماذجنا الأقدم، المسماة مخطوطة Bezae، المدعومة من قبل ثلاث مخطوطات لاتينية، تكون محيرة في بداية الأمر. هنا، بدلاً من قول إن السيد المسيح أحسّ بشفقة تجاه الرجل، يشير النصّ إلى أنّه غضب. في اليونانية هو اختلاف بين الكلمتين Splangnistheis وOrgistheis. بسبب وجودها في كلا النموذجين اليوناني واللاتيني، فإن هذه القراءة الأخرى تعتبر عموماً من قبل الاختصاصيين النصّيين على أنها تعود على الأقل إلى القرن الثاني. و لكن هل من المحتمل، مع ذلك، بأنّ يكون هذا ما كتبه مرقس نفسه؟

كما رأينا ليس من الآمن أن نقول بأنّه عندما تملك أغلبية المخطوطات إحدى القراءات و تملك بضع مخطوطات أخرى القراءة الأخرى، فإن الأغلبية صحيحة. أحيانا تكون قلة من المخطوطات هي الصحيحة حتى عندما تختلف كلّ المخطوطات الأخرى. ربما لأن الأغلبية الواسعة من مخطوطاتنا أنتجت بعد مئات ومئات السنوات من الأصلية، وهي نفسها لم تنسخ من الأصل لكن من النسخ التالية الكثيرة الأخرى. وبمجرد أن يجد

تغيير طريقه إلى إحدى المخطوطات، يمكن أن يدوم حتى يصبح منقولاً أكثر من التعبير الأصلي. وفي هذه الحالة، كلتا القراءتين اللتين نأخذهما تبدوان قديمتين للغاية. فأي منهما هي الأصلية؟

إذا أعطي القرّاء المسيحيون اليوم الخيار بين هاتين القراءتين، لا شكّ أن كلّ شخص تقريباً سيختار تلك المثبتة في أكثر مخطوطاتنا: شعر السيد المسيح بالشفقة تجاه هذا الرجل، ولذا شفاه. إنّ القراءة الأخرى صعبة على الفهم: ما الذي قد يعنيه أن نقول إن السيد المسيح شعر بالغضب؟ أليس هذا نفسه أساساً كافياً لافتراض أنّ مرقس لا بد أن يكون قد كتب أن السيد المسيح أحس بالشفقة؟

بالعكس، الحقيقة إنّ إحدى القراءات تحمل هذا المنطق الجيد وهي سهلة على الفهم وهذا بالضبط ما يجعل بعض العلماء يشكون أنّها خاطئة. لأن النساخ أيضاً، كما رأينا، كانوا سيفضّلون أن يكون النصّ غير صعب وبسيطاً على الفهم. والسؤال الّذي يجب أن يسأل هو: ما الأكثر احتمالاً، أن يكون الناسخ الذي ينسخ هذا النصّ قد غيّره ليقول إن السيد المسيح غضب بدلاً من كونه عطوفاً، أم ليقول إن السيد المسيح أصبح عطوفاً بدلاً من أن يغضب؟ أيّ قراءة تفسر وجود الأخرى بشكل أفضل؟ عندما ينظر إليها من هذا المنظور، فإن الأخيرة هي على الأرجح الصحيحة. إنّ القراءة التي تشير إلى أن السيد المسيح غضب هي القراءة "الأكثر صعوبة"، ولذا على الأرجح فإنها "أصلية".

هناك دليل أفضل من هذا السؤال التخميني عن أي من القراءات هي التي اخترعها النساخ على الأرجح. كما تبين، نحن لا نملك أيّ مخطوطات يونانية لإنجيل مرقس تحتوي هذا المقطع حتى نهاية القرن الرابع، أي تقريباً بعد

ثلاثمائة سنة من كتابة الكتاب. لكن لدينا مؤلفان نسخا هذه القصّة خلال عشرين سنة من كتابتها.

اعترف العلماء لمدة طويلة بأنّ مرقس كان الإنجيل الأول الّذي كتب، والذي استعمله كل من متّى ولوقا كمصدر لقصصهم الخاصة عن السيد المسيح. فمن الممكن، عندها، أن نفحص إنجيلي متّى ولوقا لرؤية كيف غيّرا إنجيل مرقس، إذا ما كانا يرويان نفس القصّة لكن بطريقة مختلفة (تقريباً). عندما نقوم بهذا، نجد أن متّى ولوقا كلاهما أخذا هذه القصّة من مرقس، مصدرهم المشترك. ومن المدهش أن قصتي متّى ولوقا تقريباً مماثلة حرفياً لرواية مرقس في طلب الأبرص وفي ردّ السيد المسيح في الآيتين 40-41. فما الكلمات، التي استخدماها لوصف ردّ فعل السيد المسيح؟ أسيعطف أم يغضب؟ ومن الغريب أن كلاً من متّى ولوقا يحذفان الكلمة كلها.

إذا كان نصّ مرقس المتوفر لمتّى ولوقا وصف السيد المسيح على أنه شعر بالشفقة، لماذا يحذف كل منهما هذه الكلمة؟ يصف كل من متّى ولوقا السيد المسيح في مكان آخر على أنه عطوف، وحينما يكون مرقس لديه قصّة تذكر فيها شفقة السيد المسيح بشكل واضح، فإن واحداً أو الآخر يحتفظ بهذا الوصف في روايته الخاصة.

ماذا عن الخيار الآخر؟ ماذا لو أنّ كلا من متّى ولوقا قرآ في إنجيل مرقس أن السيد المسيح غضب؟ هل كانا سيميلان لإزالة تلك العاطفة؟ هناك، في الحقيقة، مناسبات أخرى يصبح فيها السيد المسيح غاضباً في إنجيل مرقس. في كلّ من هذه الحالات، عدّل متّى ولوقا الروايات. في مرقس 3:5 السيد المسيح ينظر "غاضباً" في أولئك المجتمعين في المعبد والذين يراقبون ليروا إذا ما كان سيشفي الرجل باليدّ الذابلة. إن لوقا عنده الآية تقريباً مثل مرقس،

لكنّه يزيل الإشارة إلى غضب السيد المسيح. يعيد متّى كتابة هذا القسم من القصة بالكامل ولا يقول شيئاً عن غضب السيد المسيح. بنفس الطريقة، في مرقس 10:14 السيد المسيح يثور في وجه تلاميذه (استعملت كلمة يونانية مختلفة) لعدم السماح للناس بجلب أطفالهم لكي يباركوا. إن كلا من متّى ولوقا عندهما القصّة، بنفس الكلمات تقريباً، لكن كلاهما يحذف الإشارة إلى غضب السيد المسيح (متّى. 19:14 ؛ لوقا 18:16).

ككل، فإن متّى ولوقا ليس لديهما وخز ضمير بشأن وصف السيد المسيح ك كشخص عطوف، لكنّهما لا يصفانه أبداً على أنه غاضب. وعندما قام أحد مصادرهما (مرقس) بذلك، أعاد كلاهما كتابة التعبير بشكل مستقل في قصصهما. وهكذا، بينما يصعب فهم سبب إزالتهما لـ "إحساس بالشفقة" من رواية شفاء السيد المسيح للأبرص، من السّهل أن نرى سبب رغبتهما في إزالة "الاحساس بالغضب". وبالنظر إلى الظروف بأنّ التعبير الأخير مثبت في مجموعة قديمة جداً من مخطوطاتنا ومن غير المحتمل أن يخلقه نساخ بعيداً عن التعبير الأكثر سهولة على الفهم "أحس بالشفقة"، فإنه يتضح أكثر أن مرقس، في الحقيقة، وصف السيد المسيح على أنه غضب عندما اقترب منه الأبرص ليشفى.

هناك نقطة أخرى يجب أن تؤكّد قبل أن ننتقل. أشرت إلى أنه بينما كان متّى ولوقا يعانيان من صعوبة أن ينسبا الغضب للسيد المسيح، فإن مرقس ليس لديه هذه المشكلة. حتى في القصّة قيد المناقشة، ما عدا المشكلة النصّية للآية 41، فإن السيد المسيح لا يعالج هذا الأبرص المسكين برفق، فبعد أن يشفيه، "يوبّخه بشدّة "و" يطرده". هذه قراءة حرفية من الكلمات اليونانية، التي تخفف عادة أثناء الترجمة. إن هذه مصطلحات قاسية، مستعملة في أماكن أخرى في مرقس دائماً في سياقات النزاع والعدوان العنيف (ومثال على

ذلك: عندما يطرد السيد المسيح الشياطين). من الصعب رؤية سبب توبيخ السيد المسيح لهذا الشخص بقسوة وطرده إذا كان يحسّ شفقة تجاهه؛ لكن إذا كان غاضباً، فذلك يكون منطقياً أكثر.

لِمَ قد يكون السيد المسيح غاضباً؟ هنا تصبح العلاقة بين النصّ والتفسير حرجة. بعض العلماء الذين فضّلوا أن النصّ يشير إلى أنّ السيد المسيح "غضب" في هذا المقطع جاءوا بتفسيرات غير مناسبة على الإطلاق. وكان هدفهم بالقيام بذلك هو تسويغ العاطفة بجعل السيد المسيح يبدو عطوفاً بالرغم من أنّهم يدركون أن النصّ يقول بأنّه غضب. يجادل أحد المعلّقين، على سبيل المثال، بأنّ السيد المسيح غاضب من حالة العالم المليء بالمرض؛ بكلمات أخرى، يحبّ المريض لكن يكره المرض. ليس هناك أساس نصّي لهذا التفسير، لكنّه له مزيّة جعل السيد المسيح يبدو جيّداً. يجادل مفسر آخر بأنّ السيد المسيح غاضب لأن هذا الشخص المجذوم كان قد عزل عن المجتمع، متغاضياً عن حقيقة أن النصّ لا يقول شيئاً عن كون الرجل منبوذاً أو ما إلى ذلك، وحتى لو افترضنا بأنه كان كذلك، فإن ذلك لم يكن عيب مجتمع السيد المسيح بل خطأ الشريعة السماوية (بشكل خاص كتاب سفر اللاويين). الآخر يجادل بأنّ السيد المسيح كان غاضباً، في الحقيقة، من أن شريعة موسى تفرض هذا النوع من العزل. هذا التفسير يهمل الحقيقة بأنّه في خاتمة المقطع (الآية 44) يؤكّد السيد المسيح قانون موسى ويحثّ الأبرص سابقاً على أن يتبعها.

كلّ هذه التفسيرات لها رغبة مشتركة بتسويغ غضب السيد المسيح تقرر تجاوز النصّ لكي تقوم بذلك. إذا اخترنا أن نقوم بغير ذلك، ماذا يمكن أن نستنتج؟ يبدو لي أنّ هناك خياران، يركّز أحدهما على السياق الأدبي الفوري للمقطع والآخر يركز على سياقه الأوسع.

أولاً ، من ناحية السياق الفوري ، كيف يخلص المرء لتصوير السيد المسيح في الجزء الافتتاحي لإنجيل مرقس؟ لنحصر للحظة تصوراتنا السابقة الخاصة عن السيد المسيح ولنقرأ هذا النصّ المعيّن ببساطة، يجب أن نعترف بأنّ السيد المسيح لا يظهر على أنه الراعي الصالح الناعم الوديع والمعتدل من خلال النافذة ذات الزجاج الملطخ. يبدأ مرقس إنجيله بتصوير السيد المسيح جسديا و نفسياً على أنه صورة السلطة القوية لا يمكن العبث معه. حيث يعرف عنه من قبل نبي هائم في البريّة ؛ ويطرد من المجتمع للاشتباك في البريّة مع الشيطان والوحوش البرّية ؛ يعود للدعوة إلى توبة مستعجلة لمواجهة المجيء الوشيك لدينونة الله ؛ يأخذ تلاميذه بعيداً عن عائلاتهم ؛ يغمر جمهوره بسلطته ؛ يوبّخ ويقهر قوات شيطانية التي يمكن أن تخضع الفانين البسطاء بالكامل ؛ يرفض قبول المطالب الشعبية، ويهمل الناس الذين يطلبون مرافقته. إنّ القصّة الوحيدة في هذا الفصل الافتتاحي لإنجيل مرقس الذي يلمّح بالشفقة الشخصية هي شفاء حماة سمعان بطرس، طريحة الفراش. لكن حتى ذلك التفسير العطوف قد يكون عرضة للشكّ. لاحظ بعض المراقبين الملتوين بأنّه بعد أن طرد السيد المسيح حمّاها، تقوم لخدمتهم، أي لجلب وجبتهم المسائية على الأغلب.

يمكن أن يوصف اليد المسيح في المشاهد الافتتاحية لإنجيل مرقس على أنه شخصية قوية ذات إرادة قوية وجدول أعمال خاص، سلطة مؤثّرة لا تحبّ أن تزعج؟ فإن ذلك سيفسر ردّه على الأبرص المشفي، الذي يوبّخه بقسوة، وبعد ذلك يطرده.

هناك تفسير آخر، كما أشرت ، فإن السيد المسيح يغضب في مكان آخر في إنجيل مرقس. المرة الثانية تحدث في الإصحاح 3، الذي يتضمّن، على نحو

مدهش، قصّة شفاء أخرى. هنا يقال بشكل واضح إن السيد المسيح غاضب من الفريسيين، الذين يعتقدون بأنّه ليس له سلطة لشفاء الرجل ذي اليد المشلولة يوم السّبت.

بشكل من الأشكال، يأتينا مثال مماثل في قصّة لم يذكر فيها غضب السيد المسيح بشكل واضح لكنه واضح مع ذلك. في مرقس 9، عندما ينزل السيد المسيح من جبل التجلي مع بطرس، ويعقوب، ويوحنا، يجد غرباناً حول تلاميذه ورجلاً يائساً بينهم. إنّ ابن الرجل ممسوس من قبل شيطان، يوضّح الحالة للسيد المسيح، وبعد ذلك يناشده: "إذا كنت قادراً، أشفق علينا وساعدنا". يردّ السيد المسيح ردّاً غاضباً، "إذا كنت قادراً؟ كلّ شيء محتمل للذي يؤمن". يصبح الرجل يائساً لدرجة أكبر ويترجى، "أنا أؤمن، ساعد شكّي." عندها يطرد السيد المسيح الشيطان.

إن المدهش في هذه القصص هو أن غضب السيد المسيح الواضح ينفجر عندما يشكّ شخص ما في رغبته، أو قدرته، أو سلطته الإلهية على الشفاء. ربّما كان هذا هو العامل المشترك مع قصّة الأبرص أيضاً. كما في قصّة مرقس 9، يقترب شخص ما من السيد المسيح بحذر و يقول "إذا كنت راغباً أنت قادر على شفائي." يغضب السيد المسيح بالطبع هو راغب كما هو قادر ومخوّل. يشفي الرجل وهو ما زال منزعجاً بعض الشّيء، يوبّخه بحدّة ويطرده.

هناك شعور مختلف بالقصّة، آخذين هذه الطريقة لصياغتها، صياغة مستندة على النصّ كما كتبه مرقس. فإن مرقس يصوّر السيد المسيح غاضباً في بعض الأماكن.

لوقا والمسيح الهادئ

على خلاف مرقس، إنجيل لوقا لا يصرح أبداً بشكل واضح أن السيد المسيح يغضب. في الحقيقة، السيد المسيح لا يبدو قلقاً على الإطلاق، في أية حال. بدلاً من مسيح غاضب، فإن لوقا يصوّر السيد المسيح هادئاً. هناك مقطع وحيد في هذا الإنجيل الذي يظهر السيد المسيح فيه فاقداً لهدوئه. وذلك، في مقطع أصالته هي موضوع نقاش حامي الوطيس بين العلماء.

يوجد المقطع ضمن سياق صلاة السيد المسيح على جبل الزيتون مباشرة قبل أن يسلم و يعتقل (لوقا 22: 39-46). بعد قوله لتلاميذه بأن"صلوا خشية أن تدخلوا في التجربة"، يتركهم السيد المسيح ، و يركع على ركبتيه ويصلّي "يا أبت إذا شئت أبعد عني هذا الكأس. لكن لتكن مشئتك لا مشيئتي ". في عدد كبير من المخطوطات يتلو مقطع الصلاة رواية ليست موجودة في أي مكان آخر في الأناجيل، عن معاناة السيد المسيح المتصاعدة وما يسمّى بالعرق الدامي: "وظهر له ملاك من السماء يقوّيه. وكونه يعاني بدأ بالصلاة بحماس أكثر، وأصبح عرقه مثل قطرات دمٍ تسقط على الأرض " (لآية 44-43). وينتهي المشهد بقيام السيد المسيح من الصلاة وعودته إلى تلاميذه ليجدهم نائمين. عندها يكرّر أمره الأولي لهم بأن"صلوا خشية أن تدخلوا في التجربة"، ويصل فوراً يهوذا مع الحشود، ويعتقل السيد المسيح.

إحدى الميزّات المثيرة للنقاش حول هذا المقطع هو توازن الحجج ذهاباً وإياباً فيما إذا كانت الآيات محل النقاش (لآية 44-43) كتبت من قبل لوقا أو أنها أدخلت من قبل ناسخ في وقت لاحق. إنّ المخطوطات المعروفة بكونها الأقدم والتي يعترف عموماً أنها الأفضل (النصّ "الإسكندري") لاتتضمّن هذه الآيات. لذا ربما كانت إضافة نسخية لاحقة. من الناحية الأخرى، فإن

هذه الآيات موجودة في عدّة نماذج قديمة أخرى. كما أنها منتشرة على نحو واسع في كل المخطوطات. فهل أضيفت من قبل ناسخ أرادها أم أنها حذفت من قبل ناسخ لم يردها؟ من الصعب القول بالاستناد على المخطوطات نفسها.

اقترح بعض العلماء أننا نعتبر ميزّات أخرى هذه الآيات لمساعدتنا في اتخاذ قرار. ادّعى أحد العلماء، على سبيل المثال، أن المفردات وأسلوب الآيات يشبه كثيرا ذلك الموجود في إنجيل لوقا في أماكن أخرى (هذه حجّة "مستندة على الاحتمالات الجوهرية"): على سبيل المثال، فإن ظهور الملائكة أمر شائع في إنجيل لوقا، وعدّة كلمات وعبارات وجدت في المقطع موجودة في أماكن أخرى في لوقا، ولكن ليس في أي مكان ما عدا ذلك في العهد الجديد (مثل الفعل "يقوّي"). الحجّة لم تكن مقنعة لأي شخص، على أية حال، بما أن أغلب هذه الأفكار، والإنشاءات، والعبارات "الخاصة بلوقا" إمّا أنها صيغت على غير الطريقة المميزة للوقا (ومثال على ذلك: إن الملائكة لا تظهر أبداً في مكان آخر في لوقا بدون أن تتكلم) أو مشتركة في النصوص اليهودية والمسيحية خارج العهد الجديد. علاوة على ذلك، هناك تركيز عالٍ بشكل غير منتظم من الكلمات والعبارات غير العادية في هذه الآيات: على سبيل المثال، ثلاثة من الكلمات الرئيسية (معاناة وعرق وقطرات) غير موجودة في أي مكان آخر في لوقا، ولا توجد في أعمال الرسل (المجلد الثاني الذي كتبه نفس المؤلف). في نهاية المطاف، من الصعب اتخاذ قرار حول هذه الآيات على أساس مفرداتها وأسلوبها.

إحدى الحجج الأخرى التي استخدمها العلماء تتعلق بالتركيب الأدبي للمقطع. بإيجاز، فإن المقطع قد نظّم بتعمد بالشكل الذي يدعوه العلماء

"بالتصالب". عندما ينظّم مقطع بهذا الشكل، فإن العبارة الأولى للمقطع تقابل العبارة الأخيرة؛ وتقابل الثانية الثانية قبل الأخيرة؛ الثالثة تقابل الثالثة قبل الأخيرة، وهكذا. وبكلمات أخرى، هذا تصميم متعمّد؛ غرضه أن يركّز الانتباه على مركز المقطع بشكل رئيسي. ولذا نجد هنا:

السيد المسيح (a) يخبر تلاميذه بأن"صلوا خشية أن تدخلوا في التجربة" (v 40). ثمّ (b) يتركهم (v 41) و(c) يسجد للصلاة (v 41). إنّ مركز المقطع (d) صلاة السيد المسيح نفسها ، صلاة محصورة بطلباته أن تتم مشيئة الله (v 42). ثمّ السيد المسيح (c) يقوم من الصلاة ((v 45 a ، b)) يعود إلى تلاميذه (v 45 b)، و(a) يجدهم نائمين، ويخاطبهم مرة أخرى بنفس الكلمات، يخبرهم بأن"صلوا خشية أن تدخلوا في التجربة" (vv 45 c-46).

الحضور المجرّد لهذا التركيب الأدبي الواضح ليس المغزى هنا. إنّ المغزى هو كيفية مساهمة التصالب في معنى المقطع. القصّة تبدأ وتنتهي بالأمر للتلاميذ بالصلاة لكي يتجنّبوا الدخول في التجربة. الصلاة كانت منذ فترة طويلة معترف بها كموضوع مهم في إنجيل لوقا (أكثر من أي إنجيل آخر)؛ وهنا نصل إلى الأهمية الخاصّة. لأنه مركز المقطع ذاته هو صلاة السيد المسيح الخاصة، الصلاة التي تظهر رغبته، محصورة برغبته الأعظم أن تتم مشيئة الأب (vv 41-42). وتزود هذه الصلاة -كمركز تركيب متصالب- المقطع ببؤرته، وأيضاً، المفتاح لتفسيره. هذا درس على أهمية الصلاة في وجه الإغراء. إن التلاميذ، على الرغم من طلب السيد المسيح المتكرّر لهم بالصلاة، ينامون بدلاً من ذلك. ويجيء الحشد لاعتقال السيد المسيح فوراً. وماذا يحدث؟ إن التلاميذ، الذين أخفقوا في الصلاة، "يدخلون في التجربة"؛ يهربون تاركين السيد المسيح لمواجهة مصيره لوحده. ماذا عن السيد المسيح، الذي صلّى قبل

مجيء محاكمته؟ عندما وصل الحشد، يذعن لإرادة أبيه بشكل هادئ، مسلماً نفسه للفداء الذي استعدّ له.

قصة آلام المسيح لدى لوقا، كما كانت معروفة منذ فترة طويلة، هي قصّة استشهاد السيد المسيح، استشهاد يخدم، كما يخدم الكثير غيره، لوضع مثال للمؤمنين عن كيفية الصمود في وجه الموت. تظهر رواية الفداء لدى لوقا أن الصلاة هي الشيء الوحيد الذي يمكن أن يهيّئ المرء للموت.

ما الذي يحدث، عندما تدخل هذه الآيات المتنازع عليها (vv 43-44) إلى المقطع؟ على المستوى الأدبي، فإن التصالب الذي يركّز المقطع على صلاة السيد المسيح يحطّم بالتأكيد. الآن ينتقل مركز المقطع، وكذلك بؤرته، إلى معاناة السيد المسيح، معاناة فظيعة جداً لدرجة أنها تتطلّب معزٍّ خارق للطبيعة لحمله. و من المهم في هذه النسخة الأطول للقصّة، أن صلاة السيد المسيح لا تزوده بذلك الأمان الهادئ الذي ينضح في كل أنحاء بقيّة الرواية؛ في الحقيقة، بعد أن يصلّي "بحماس أكثر" لدرجة أن عرقه يظهر على شكل قطرات عظيمة من الدمّ تسقط على الأرض. نقطتي هي ليست التركيب الأدبي اللطيف المفقود، لكن أن بؤرة التركيز تنتقل إلى السيد المسيح في عمق معاناته وفي حاجته إلى التدخّل الإعجوبي.

هذا نفسه قد لا يبدو مشكلة صعبة، حتى يدرك المرء أنه في إنجيل لوقا فإن السيد المسيح لم يصوّر بهذه الطريقة في أي مكان آخر. بل على العكس تماماً، لقد قطع لوقا شوطاً طويلاً ليقاوم بالضبط صورة السيد المسيح التي تعرضها هذه الآيات. بدلاً من دخول آلامه بالخوف والارتجاف، متألماً من مصيره القادم، فإن السيد المسيح يصوره لوقا يذهب إلى موته هادئاً ومسيطراً، واثقاً بإرادة الأب حتى النهاية. والحقيقة المدهشة، ذات الصلة

المعيّنة بمشكلتنا النصّية، أن لوقا كان بإمكانه أن ينتج هذه الصورة للسيد المسيح فقط بواسطة إزالة الروايات التي ناقضتها من مصادره (ومثال على ذلك: الإنجيل طبقاً لمرقس). بينما يبدو النصّ الأطول للوقا 22: 43-44 شاذاً بشكل واضح.

أي مقارنة بسيطة بنسخة مرقس للقصّة بين يديك ستكون توضيحية بهذا الشأن (أن نفهم أن مرقس كان مصدر لوقا الذي غيّره لخلق تأكيداته المتميّزة الخاصة). حيث إن لوقا حذف عبارة مرقس بالكامل التي تقول إن السيد المسيح "بدأ يتوتر ويكتئب" (مرقس 14:33)، بالإضافة إلى تعليق السيد المسيح الخاص إلى أتباعه "نفسي حزينة، حتى الموت "(مرقس 14:34). وبدلاً من سقوطه على الأرض بألم (مرقس 14:35)، ينحني السيد المسيح في إنجيل لوقا على ركبتيه (لوقا 22:41). في لوقا، السيد المسيح لا يطلب أنْ تبعد عنه هذه الكأس (مرقس 14:35)؛ وبدلاً من الصلاة ثلاث مرات لإزالة الكأس (مرقس 14:36، 39، 41)، يطلب مرّة واحدة فقط (لوقا 22:42)، مستبقاً صلاته، فقط في لوقا، بالشرط المهم، "إذا شئت". ولذا، بينما مصدر لوقا، إنجيل مرقس، يصوّر السيد المسيح في ألم أثناء صلاته في الحديقة، أعاد لوقا تشكيل المشهد بالكامل لإظهار السيد المسيح مرتاحاً في مواجهة الموت. إنّ الاستثناء الوحيد هو الرواية عن "العرق الدامي" للسيد المسيح ، رواية غير موجودة في أقدم وأفضل النماذج لدينا. لماذا قد يذهب لوقا إلى هذا الحد لإزالة تصوير مرقس لمسيح حزين إذا كان ألم السيد المسيح مغزى قصّته؟

من الواضح أنّ لوقا لا يشترك في مفهوم مرقس بأنّ السيد المسيح كان يتألم، على حافة اليأس. ليس هناك مكان أكثر وضوحاً من روايته اللاحقة عن

صلب السيد المسيح. يصوّر مرقس السيد المسيح على أنه صامت على طريقه إلى جبل الجلجلة. تلاميذه هربوا ؛ حتى النساء المخلصات ينظرن "من بعيد". كلّ الحاضرين يسخرون منه -عابري السبيل، زعماء اليهود، وكلا اللصين. السيد المسيح في إنجيل مرقس يضرب، يهزأ به، مهجور ومتروك، ليس فقط من قبل تلاميذه بل أخيراً من قبل اللّه نفسه. كلماته الوحيدة في طول العملية كلها جاءت في النهاية ذاتها، عندما يبكي جهورياً، " Eloi, Eloi, lema sabachthani? "(إلهي، إلهي، لماذا تركتني؟). ويصدر صرخة عالية ويموت.

هذا التصوير، مرة أخرى، يناقض بشدة ذاك الذي نجده في إنجيل لوقا. في رواية لوقا، السيد المسيح بعيد عن الصمت، وعندما يتكلّم، يظهر أنّه ما زال مسيطراً، واثقاً من الإله، أبيه، واثقاً من مصيره، قلقاً بشأن مصير الآخرين. وفي الطريق إلى صلبه، طبقاً للوقا، عندما يرى السيد المسيح مجموعة النساء اللواتي يندبن سوء حظه، يأمرهن ألا يبكين عليه، بل على أنفسهن وأطفالهن، بسبب الكارثة التي ستحدث قريباً لهم (27:23-31). بينما هو يسمّر إلى الصليب، بدلاً من أن يكون صامتاً، يصلّي إلى الله، "يا أبت!، اغفر لهم، لأنهم لا يعرفون ماذا يعملون"(23:43). على الصليب، في خضم عذاباته، ينخرط السيد المسيح في محادثة ذكية مع أحد اللصين اللذين صلبا بجانبه، يطمئنه بأنّهما سيكونان سوية ذلك اليوم في الجنة (23:43). و أكثر من ذلك كله، فبدلاً من لفظ ندائه المثير للشفقة بسبب الإهمال في النهاية، فإن السيد المسيح في إنجيل لوقا، وبثقة كاملة من موقفه أمام الله، يوصّي بروحه إلى أبيه المحبّ: "يا أبت!، بين يديك أستودع روحي "(24:46).

سيكون من الصعب أن نبالغ في تقدير أهمية هذه التغييرات التي قام بها لوقا على مصدره (مرقس) لفهم مشكلتنا النصّية. حيث لا يفقد السيد المسيح -

في أي نقطة في قصة الآلام عند لوقا- السيطرة؛ و ليس في ألم عميق ومنهك على مصيره. إنه مسؤول عن قدره الخاص، يعرف ما يجب أن يفعل وماذا سيحدث له عندما يفعل ذلك. إنه رجل بسلام مع نفسه وهادئ في وجه الموت.

ماذا يجب أن نقول عندئذ عن الآيات المتنازع عليها؟ هذه الآيات الوحيدة في كامل إنجيل لوقا التي تقوّض هذا التصوير الواضح. هنا فقط يتألم السيد المسيح من مصيره القادم؛ هنا فقط يبدو فاقداً للسيطرة، غير قادر على تحمّل وطأة قدره. لماذا يزيل لوقا كلّ بقايا معاناة السيد المسيح كلياً في مكان آخر إذا كان يقصد تأكيدها بشكل أقوى هنا؟ لم يزيل المادّة المتوافقة من مصدره، قبل وبعد الآيات موضع السّؤال؟ يظهر أن رواية "التعرق الدامي" للسيد المسيح، غير الموجودة في أقدم وأفضل المخطوطات ليست أصلية في إنجيل لوقا لكنها إضافة نسخية إلى الإنجيل.

رسالة العبرانيين والمسيح المنسي

تصوير لوقا للسيد المسيح يناقض ليس مرقس فحسب، لكنه يناقض مؤلفي العهد الجديد الآخرين، ومن ضمنهم ذلك المؤلف المجهول للرسالة إلى العبرانيين، الذي يظهر أن لديه معرفة برواية الآلام التي يفزع فيها السيد المسيح من الموت ويموت بدون إغاثة أو دعم إلهي، الذي يمكن رؤيته على أنه أحد أكثر المشكلات النصّية المثيرة في العهد الجديد.

تحدث المشكلة في السياق الذي يصف الخضوع النهائي لكلّ الأشياء للسيد المسيح، ابن الإنسان. وقد وضعت المغايرات النصّية موضع السّؤال مرة أخرى بين أقواس.

"لأنه إذ أخضع (الله) الكل له لم يترك شيئاً غير خاضع له. على أننا الآن لسنا نرى الكل مخضعاً له. ولكن الذي وضع قليلاً عن الملائكة يسوع نراه مكللاً بالمجد و الكرامة من أجل ألم الموت لكي يذوق (بنعمة الله / بعيداً عن الله) الموت لأجل كل واحد" (عبر 2 : 8-9).

بالرغم من أن كلّ المخطوطات الباقية تقريباً تصرّح بأنّ السيد المسيح مات من أجل كلّ الناس "بنعمة الله" (CHARITI THEOU)، تصرح بضع مخطوطات أخرى، بدلاً من ذلك، بأنّه مات "بعيداً عن الله" (CHORIS THEOU). هناك أسباب جيدة للاعتقاد بأنّ الأخيرة، على أية حال، كانت القراءة الأصلية للرسالة إلى العبرانيين.

أنا لست بحاجة إلى أن أدخل تعقيدات المخطوطة التي تدعم القراءة "بعيداً عن الله" ماعدا القول إنها بالرغم من أنها موجودة فقط في اثنتين من وثائق القرن العاشر، إحدى هذه (1739) معروف عنها بأنه قد نسخت من النسخة التي كانت بقدم مخطوطاتنا الأقدم. والأكثر أهمية، أن العالم أوريغن من أول القرن الثالث يخبرنا بأنّ هذه القراءة كانت موجودة في أغلبية مخطوطات عصره. و يظهر الدليل الآخر شعبيته المبكّرة أيضاً: كما وجد في المخطوطات المعروفة لأمبروز وجيروم في الغرب اللاتيني، وقد اقتبست من قبل عدد من كتّاب الكنيسة وصولاً إلى القرن الحادي عشر. ولذا، على الرغم من حقيقة أنها غير موجودة على نحو واسع بين مخطوطاتنا الباقية، فإن هذه القراءة كانت مدعومة من قبل دليل خارجي قوي.

عندما يتحول المرء من الدليل الخارجي إلى الدليل الداخلي، لا يمكن أن يكون هناك شكّ يتعلّق بتفوق هذا الاختلاف ضعيف الإثبات. لقد رأينا أن النساخ كانوا يميلون إلى أن يجعلوا القراءة الصعبة على الفهم أسهل، بدلاً

من جعل قراءة سهلة أصعب. يزوّدنا هذا الاختلاف بحالة منهجية من الظاهرة. إن المسيحيين في القرون الأولى اعتبروا موت السيد المسيح عموماً على أنه التوضيح الأعلى لنعمة الله. ويمكن أن يؤول قول إن السيد المسيح مات "بعيداً عن الله" بعدة معاني، معظمها غير مستساغ. بما أن النساخ لا بدّ أنهم خلقوا إحدى هاتين القراءتين من الأخرى، فهناك شك صغير يتعلّق بأي من الاثنتين هي الفاسدة.

لكن هل هذا التعديل متعمّد؟ إن المدافعين عن القراءة الأكثر شيوعاً ("نعمة الله") يلتزمون بادّعاء أن التغيير لم يكن متعمداً (وإلا فإن نصّهم المفضّل سيكون معدلاً بالتأكيد). استناداً إلى الضرورة، ابتكروا سيناريوهات بديلة لتوضيح الأصل العرضي للقراءة الأكثر صعوبة. وعموماً، فإنه ببساطة يفترض أنه لأن الكلمات موضع السّؤال متماثلة في المظهر (XWRIS / XARITI)، أخطأ الناسخ بشكل غير مقصود بين كلمة "نعمة" وبين "بعيداً عن".

يبدو أن وجهة النظر هذه، على أية حال، غير ممكنة نوعاً. هل قام ناسخ شارد الذّهن مهمل بتغيير نصّه بكتابة الكلمة المستعملة بشكل أقل بكثير في العهد الجديد ("بعيداً عن") بواحدة مستعملة أكثر بكثير ("نعمة"، شائعة أكثر بأربعة مرات)؟ هل يمكن أن يكون قد خلق جملة غير موجودة في أي مكان آخر في العهد الجديد ("بعيداً عن الله") أم تلك التي تتكرر أكثر من عشرين مرة ("بنعمة الله")؟ هل يمكن أن يكون قد صنع تصريحاً، حتى ولو عن طريق الصّدفة، غريباً ومزعجاً أم واحداً مألوفاً وسهلاً؟ بالتأكيد، هو الأخير: يخطئ القرّاء بين الكلمات غير العادية ويبسّطون تلك المعقّدة، خصوصاً عندما تشرد عقولهم جزئياً. هكذا، حتى نظرية الإهمال تدعم القراءة الأقل انتشاراً ("بعيداً عن الله") على أنها أصلية.

النظرية الأكثر شعبية بين أولئك الذين يعتقدون بأنّ العبارة ("بعيداً عن الله") ليست أصلية بأنّ القراءة وجدت كملاحظة هامشية: قرأ ناسخ في Heb. 2:8 "كلّ الأشياء" ستخضع إلى سيادة السيد المسيح، وفكّر فوراً برسالة كورنثوس الأولى 15:27 :

"لأنه أخضع كل شيء تحت قدميه" و لكن عندما قيل إن "كل الأشياء ستخضع" من الواضح أنه يعني كل الأشياء عدا الذي أخضعها (بمعنى آخر: إن الله ليس ضمن الأشياء التي تخضع للمسيح في النهاية).

طبقاً لهذه النظرية، فإن الناسخ الذي نسخ الإصحاح الثاني من رسالة العبرانيين أراده أن يكون واضحاً هنا أيضاً أنه عندما يشير النصّ إلى أن كلّ شيء سيخضع إلى السيد المسيح، هذا لا يتضمّن الله الأب. لحماية النصّ من أخطاء الصياغة، فإن الناسخ أدخل ملاحظة توضيحية في هامش Heb. 2:8 (كنوع من الإشارة إلى رسالة كورينثوس الأولى 15:27)، يشير إلى أن لا شيء يبقى غير خاضع للسيد المسيح، "ماعدا الله". هذه الملاحظة حوّلت بعد ذلك من قبل ناسخ غافل لاحقاً إلى نصّ الآية التالية (عبر. 2:9)، حيث اعتقد بأنّها تنتمي.

على الرغم من شعبية الحلّ، فإنه ذكي أكثر من اللازم، ويتطلّب الكثير من الخطوات المريبة ليتم. ليس هناك مخطوطة تحوي كلتا القراءتين في النصّ (وبمعنى آخر: التصحيح في الهامش أو نصّ الآية 8، حيث تنتمي، وتصحيح النصّ الأصلي للآية 9). علاوة على ذلك، إذا اعتقد ناسخ بأنّ الملاحظة كانت تصحيحاً هامشياً، لماذا وجده في الهامش بجانب الآية 8 بدلاً من الآية 9؟ أخيراً، إذا كان الناسخ الذي وضع الملاحظة قد قام بذلك كإشارة إلى رسالة كورنثوس الأولى ألن يكتب "ماعدا الله" (EKTOS THEOU،

العبارة الموجودة في الحقيقة في مقطع رسالة كورنثوس الأولى) بدلاً من "بعيداً عن الله" (CHORIS THEOU عبارة غير موجودة في كورنثوس الأولى)؟

إجمالاً ، من الصّعب جداً تفسير أن العبارة "بعيداً عن الله" كانت القراءة الأصلية عبرانيين 2:9. في نفس الوقت ، بينما يتوقع أن يقول ناسخ إن السيد المسيح مات "بعيداً عن الله" ، هناك أسباب عدة للاعتقاد بأنّ هذا بالضبط ما قاله مؤلف رسالة العبرانيين. ولأن هذه القراءة الأقل انتشاراً هي أيضاً متسقة أكثر مع النظريات اللاهوتية لرسالة العبرانيين ("احتمالات جوهرية"). و لا تشير كلمة نعمة في أي مكان من الرسالة (CHARIS) إلى موت السيد المسيح أو إلى منافع الخلاص التي تترتب على ذلك. بدلاً من ذلك ، فإنها مرتبطة بثبات بهدية الخلاص الذي يمنح للمؤمنين بطيبة الله (انظر خصوصاً عبرانيين 4:16 ؛ أيضاً 10:29 ؛ 12:15 ؛ 13:25). لكي نكون واثقين ، فإن المسيحيين كانوا أكثر تأثّراً من الناحية التاريخية بمؤلفي العهد الجديد الآخرين ، بشكل خاص بولس ، الذي رأى تضحية السيد المسيح على الصليب على أنها التوضيح الأعلى لنعمة الله. لكن رسالة العبرانيين لا تستخدم التعبير بهذه الطريقة ، ومع أن النساخ ظنوا أنّ هذا المؤلف كان بولس لم يدركوا ذلك.

من الناحية الأخرى ، إن قول إن السيد المسيح مات "بعيداً عن الله" -مبهم عندما يؤخذ بمفرده- يعطي معان مجبرة في سياقه الأدبي الأوسع في رسالة العبرانيين. حيث لا يشير هذا المؤلف إلى موت السيد المسيح كإظهار "للنعمة" الإلهية ، يؤكّد مراراً وتكراراً بأنّ السيد المسيح مات موتاً مخزياً إنسانياً بالكامل ، مزالاً كلياً من العالم الذي جاء منه ، عالم الله ؛ تضحيته ،

كنتيجة، قبلت على أنها التكفير الأمثل للذنب. علاوة على ذلك، إن الله لم يتدخّل في آلام السيد المسيح وامتنع عن تقليل ألمه. لذا، على سبيل المثال، يتكلم المقطع عبرانيين 5:7 عن السيد المسيح، في مواجهة الموت، يتوسّل الله بالنداءات العالية والدموع. في 12:2 يقال إنه تحمّل "خزي" موته، ليس لأن الله سانده، لكن لأنه تمنّى التبرير. ويقال في كل أنحاء هذه الرسالة، إن السيد المسيح واجه الألم والموت الإنساني، مثل البشر الآخرين "بكلّ جوانبه". أن معاناته لم تخفف بعناية إلهية خاصّة.

الأكثر أهمّية بعد، أن هذا موضوع رئيسي في السياق الفوري للعبرانيين 2:9، الذي يؤكّد أنّ السيد المسيح أنزل نفسه تحت الملائكة ليشترك بالكامل في الدمّ واللحم، يجرب المعاناة البشرية، ويموت موتاً إنسانياً. لكي نكون واثقين، فإنه من المعروف أن موته جلب الخلاص، لكن المقطع لا يقول أي كلمة عن نعمة الله الظاهرة في تنازل السيد المسيح إلى عالم المعاناة والموت العابر. إن المسيح الذي يواجه آلامه هو إنسان كامل ، دون أيّ إغاثة يمكن أن يكون تلقاها بسبب كونه كياناً سامياً. إن العمل الذي بدأه في تنازله أكمله في موته، موت كان لزاماً عليه أن يكون "بعيداً عن الله".

كيف يمكن أن تكون القراءة "بعيداً عن الله"، التي يمكن بالكاد أن تفسر على أنها تعديل نسخي، أن تتوافق مع التفضيلات اللغوية، والأسلوب، والنظريات اللاهوتية للرسالة إلى العبرانيين، بينما القراءة البديلة "بنعمة الله"، التي لم تكن ستشكل للنساخ أي صعوبات مطلقاً، تناقض كل ما تقوله رسالة العبرانيين عن موت المسيح والطريقة التي تقوله بها؟ إن عبرانيين 2:9 قالت أصلاً بأنّ السيد المسيح مات "بعيداً عن الله"، متروكاً، كما صوّر في قصة الآلام في إنجيل مرقس.

الخاتمة

في كلّ من الحالات الثلاث التي درسناها، هناك اختلاف نصّي مهم يلعب دوراً هامّاً في كيفية تفسير المقطع قيد النقاش. من المهم معرفة فيما إذا كان السيد المسيح أحس بالشفقة أو الغضب في مرقس 1:41؛ سواء كان هادئاً ورصيناً أو في ضيق عميق في لوقا 22:43-44؛ وسواء قيل إنه مات بـ"نعمة باللّه أو "بعيداً عن الله" في عبرانيين 2:9. يمكننا أن ننظر إلى مقاطع أخرى بسهولة أيضاً، للحصول على إحساس بأهمية معرفة كلمات المؤلف إذا أردنا أن نفسر رسالته.

لكن هناك أكثر بكثير بالنسبة للتقليد النصّي للعهد الجديد من مجرّد تأسيس الذي كتبه مؤلفه في الحقيقة. هناك أيضاً سؤال عن سبب تغيير هذه الكلمات، وكم تؤثر هذه التغييرات على معاني كتاباتهم. إن هذا السؤال عن تعديل الكتاب المقدّس في الكنيسة المسيحية القديمة سيكون موضوع الفصلين القادمين، كما أحاول أن أظهر أن كون النساخ غير راضين عما تقوله كتب العهد الجديد جعلهم يعدلون كلماتها لجعلها أكثر دعماً للمسيحية الأرثوذكسية وتعارض بشدّة أكثر الزنادقة، والنساء، واليهود، والوثنيين.

صفحة من انجيل يوحنا من واحدة من أكثر المخطوطات الإنجيلية بذخاً من القرن العاشر كتبت على رق مصبوغ بالأرجوان بحبر فضي

6

تغيرات النص ذات الدوافع اللاهوتية

إن النقد النصي يتضمن أكثر من مجرد تحديد النص الأصلي. فهو يستلزم أيضاً معرفة الكيفية التي تغيرت فيها النصوص مع مرور الوقت، سواء كانت التغيرات زلات كتابية أو بسبب قيام النساخ بتغيرات متعمدة. النوع الثاني، التغيرات المتعمدة، يمكن أن تكون ذات أهمية كبرى، ليس لأنها تساعدنا على فهم ما كان الكاتب الأصلي يحاول قوله، ولكن لأنها ترينا كيفية تفسير نص الكاتب من قبل النساخ الذين كانوا ينسخونه. وبرؤية كيفية تعديل نصوصهم يمكننا أن نكتشف أدلة عن الأشياء المهمة وفقاً لآراء النساخ، وبالتالي يمكننا أن نتعلم المزيد عن تاريخ النصوص، عندما نسخت وأعيد نسخها على مر القرون.

إن فرضية هذا الفصل هي أن نصوص العهد الجديد قد عدلت أحياناً لأسباب لاهوتية، وحدث ذلك عندما كان النساخ الذين ينسخون النصوص مهتمين بتأكيد أن النصوص تقول ما كانوا يريدون قوله. أحياناً يكون السبب الجدالات اللاهوتية في القرون الوسطى، و لنفهم هذا النوع من التغييرات يجب أن نفهم بعضاً من الأشياء عن الجدالات اللاهوتية في قرون المسيحية الأولى، حيث حصلت معظم التغيرات على الكتاب المقدس قبل الانتشار الواسع للنساخ المحترفين.

السياق اللاهوتي لنقل النصوص

إن لدينا معلومات كثيرة عن المسيحية في القرنين الثاني والثالث في الوقت الواقع بين إتمام العهد الجديد وتحول الإمبراطور الروماني إلى الدين. الذي غير كل شيء أن هذين القرنين كانا بشكل خاص غنيين بالاختلافات اللاهوتية. في الواقع إن الاختلافات اللاهوتية كانت واسعة إلى حدّ أن مجموعات تدعو نفسها مسيحية التزمت بمعتقدات وممارسات قد يدعوها معظم المسيحيين اليوم على أنها ليست مسيحية على الإطلاق.

في القرنين الثاني والثالث كان هناك بالطبع مسيحيون يؤمنون أن هناك إلهاً خالقاً لكل شيء، بينما كان هناك أناس آخرون يسمون أنفسهم مسيحيين على أن هناك نوعين مختلفين من الآلهة إله العهد القديم (إله العقاب)، وإله العهد الجديد (إله الحب والرحمة). إن هذين لم يكونا ببساطة وجهين في الإله نفسه، لقد كانا نوعين مختلفين من الآلهة. والشيء الصادم أن هذه المجموعات قامت بهذه الادعاءات- ومن ضمنهم أتباع مارسيون الذي قابلناه قبلاً- أصروا على أن آراءهم كانت هي التعاليم الصحيحة للمسيح وتلاميذه، بينما أصرت مجموعات أخرى من المسيحيين الغنوسطيين على سبيل المثال أنه لم يكن هناك إلهان وحسب، بل اثنا عشر وقالت مجموعات أخرى إن هناك ثلاثين وآخرون قالوا إن هناك /365/ إله وكل هذه المجموعات ادعت أنها مسيحية، مصرة على أن آراءها هي تعاليم المسيح وأتباعه.

لِمَ لم تقرأ هذه المجموعات العهد الجديد ببساطة لترى أن آراءها خاطئة؟ إن السبب هو أن العهد الجديد لم يكن موجوداً. ولنكون على علم فإن كل كتب العهد الجديد كانت قد كتبت في ذلك الوقت، ولكن كان هناك الكثير من الكتب الأخرى أيضاً والتي تدعي أنها من قبل تلاميذ المسيح كأناجيل

أخرى، أعمال ورسائل، أسفار رؤيا وهي تحوي على وجهات نظر مختلفة تماماً عن تلك في الأسفار التي وصلت إلى العهد الجديد. برز العهد الجديد نفسه من تلك الصراعات (أو الآلهة) عندما استطاعت مجموعة من المؤمنين ضم عدد أكبر من الأشخاص من كل المجموعات الأخرى وقررت أي أسفار يجب أن تتضمن في شريعة الكتاب. في القرنين الثاني والثالث، على كل حال لم يكن هناك أي اتفاق على اللاهوت، بل اختلاف واسع جداً: أي مجموعات مختلفة تدافع عن نظريات لاهوتية مختلفة مستندة على كتابات مختلفة تدعي أنها مكتوبة من قبل تلاميذ المسيح.

أصرت بعض هذه المجموعات المسيحية على أن الله خلق هذا العالم بينما قال آخرون إن الله الحقيقي لم يخلق هذا العالم (الذي بعد كل شيء يعتبر مكاناً شريراً) ولكنه نتيجة كارثة كونية، بعض هذه المجموعات أصرت على أن الكتاب المقدس اليهودي معطى من قبل الله الواحد الحقيقي، وادعت المجموعات الأخرى أن الكتب المقدسة اليهودية تنتمي إلى إله اليهود الوضيع، الذي لم يكن الإله الواحد الحقيقي. هذه المجموعات أصرت على أن يسوع المسيح هو ابن الله الوحيد و هو إنسان كامل و إله كامل، وأصرت مجموعات أخرى على أنه كان إنساناً فقط ولم يكن إلهاً على الإطلاق، وأصرت مجموعات أخرى على أنه كان إلهاً كاملاً ولم يكن إنساناً على الإطلاق، ومع ذلك دافع آخرون عن كون المسيح ذا طبيعتين طبيعة إلهية (المسيح) وكائناً بشرياً (يسوع). آمنت بعض هذه المجموعات أن موت المسيح جلب الخلاص للعالم، بينما أصرت بعض المجموعات الأخرى أن موت المسيح ليس له علاقة بخلاص هذا العالم. وأصرت مجموعات أخرى أن المسيح لم يمت على الإطلاق.

كل واحدة من وجهات النظر هذه والكثير غيرها كانت مواضيع حوار وجدل دائم في القرون الأولى، حيث كان المسيحيون من مختلف المعتقدات يحاولون إقناع الآخرين بحقيقة وجهات نظرهم. وفازت مجموعة واحدة في نهاية الأمر بهذه الجدالات، وهي المجموعة التي قررت ما ستكون عليه العقيدة المسيحية: ستؤكد العقيدة على أنه هناك إله واحد، الإله الخالق، وأن يسوع ابنه الوحيد هو إنسان وإله، وأن الخلاص جاء بموته وقيامه وهذه المجموعة هي التي قررت ما هي الكتب التي في الكتاب المقدس. ومع نهاية القرن الرابع اتفق معظم المسيحيين على أن الشريعة يجب أن تتضمن الأناجيل الأربعة، ورسائل بولس، ومجموعة من الرسائل الأخرى كيوحنا الأولى بالإضافة إلى سفر رؤيا يوحنا. ومن الذي كان ينسخ هذه النصوص؟ لقد كانوا مسيحيين من المجموعات نفسها، مسيحيين كانوا واعين بشكل خاص أو منخرطين في الجدالات حول هوية الله ووضع الكتاب المقدس اليهودي وطبيعة المسيح وتأثيرات موته.

إن المجموعة التي تأسست وأطلقت على نفسها الأرثوذكس (أي أنها تحمل ما اعتبرته أنه الإيمان الحقيقي) قررت عندها ما سيؤمن به الأجيال القادمة من المسيحيين ويقرؤونه على أنه كتاب مقدس. ماذا يجب أن نطلق على الأرثوذكسيين قبل أن يصبحوا الرأي الغالب للمسيحية؟ من المحتمل أنه يفضل أن ندعوهم الأرثوذكسيين الأصليين أي أنهم كانوا يمثلون آراء المسيحيين الأرثوذكسيين قبل أن تفوز هذه المجموعة في جدالاتها في أوائل القرن.

هل أثرت هذه الجدلات على النساخ الذين يعيدون كتابة هذه النصوص؟ سأناقش في هذا الفصل أنه كان لها تأثير. ولأوضح هذه النقطة سأحصر نفسي بجانب واحد من الجدال اللاهوتي المستمر في القرنين الثاني والثالث؛ السؤال

حول طبيعة المسيح البشرية، أكان إلهاً أم كان ذا طبيعتين؟ إذا كان ذا طبيعتين أفكان كائنين منفصلين إلهياً وبشرياً؟ أم كان كائناً واحداً بشرياً وإلهياً في نفس الوقت؟ هناك أسئلة حلت في نهاية الأمر في العقائد التي صيغت في ذلك الحين ووصلت إلى يومنا هذا، عقائد تصر على أنه هناك إله واحد يسوع المسيح هو إله حق وإنسان حق. وقبل أن يتخذ هذا القرار كان هناك خلاف واسع الانتشار، وقد أثر هذا الجدال على نصوص الكتاب المقدس.

لكي أوضح هذه النقطة سآخذ بعين الاعتبار ثلاث مناطق من النقاش حول طبيعة المسيح مظهراً الطرق التي غيرت فيها الكتب التي كانت ستكون كتب العهد الجديد من قبل نساخ ذوي نوايا حسنة (دون شك) عمدوا إلى تغيير نصوصهم كي يجعلوها أكثر انحيازاً إلى آرائهم اللاهوتية وأقل انحيازاً إلى آراء خصومهم اللاهوتية. إن أول ما سأناقشه يتضمن ما ادعاه بعض المسيحيين أن المسيح كان إنساناً كاملاً وأنه لم يكن إلهاً. إن هذه كانت وجهة نظر مجموعة من المسيحيين يدعوهم الباحثون اليوم بمسيحي التبني، إن رأيي هو أن المسيحيين الذين كانوا يعارضون آراء هذه المجموعة عدلوا نصوصهم في أماكن لكي تشدد على وجهات نظرهم أن المسيح لم يكن بشرياً فقط بل كان إلهاً. ويمكن أن ندعو هذه التغيرات تغييرات الكتاب المقدس ضد مسيحيي التبني.

تغيرات النصوص ضد مسيحيي التبني

مسيحيو التبني الأوائل

نعرف عدداً من مجموعات المسيحيين من القرنين الثاني والثالث التي لديها نظرة التبني للمسيح. إن هذه النظرة تدعى نظرة التبني، لأن أتباعها يقولون

إن المسيح لم يكن إلهاً، بل كان إنساناً من لحم ودم، وتبناه الله ليكون ابنه في أثناء معموديته.

إن واحدة من أكثر المجموعات المسيحية شهرة التي اعتنقت وجهة النظر هذه هي طائفة من المسيحيين اليهود المعروفين بـ(ايبيونتس)، ولسنا متأكدين من سبب تسميتهم بهذا الاسم، يمكن أن يكون أصله من علامة متميزة ذاتية مرتكزة على المصطلح العبري (إيبيون) الذي يعني "الفقير". إن أتباع المسيح هؤلاء لربما كانوا يقلدون مجموعة تلاميذ المسيح الأصلية في ترك كل شيء بسبب إيمانهم والعيش في فقر اختياري من أجل الآخرين.

مهما كان مصدر اسمهم فإن آراء هذه المجموعة مسجلة بدقة في سجلاتنا القديمة التي كتبت بشكل خاص من قبل أعدائهم الذين اعتبروهم مهرطقين. لقد كان أتباع المسيح هؤلاء يهوداً مثله. وكان اختلافهم عن سائر المسيحيين في إصرارهم على أن من يتبع المسيح يجب أن يكون يهودياً بالنسبة للرجال. فذلك كان يعني أنهم يجب أن يكونوا مختونين. وللرجال والنساء كان يعني أن يتبنوا القوانين اليهودية المعطاة من قبل موسى، ومن ضمنها قوانين الطعام في الشريعة اليهودية واحترام السبت والاحتفالات اليهودية.

كان فهمهم للمسيح على أنه المسيح اليهودي المنتظر بشكل خاص هو ما فرّق هؤلاء المسيحيين عن غيرهم. وبما أنهم كانوا توحيديين صارمين -يؤمنون أن الإله واحد فقط- فإنهم أصروا على أن المسيح نفسه لم يكن إلهاً بل كان إنساناً لا يختلف في طبيعته عن باقي البشر. لقد ولد نتيجة اتحاد جنسي بين أهله يوسف ومريم وولد مثل باقي البشر (لم تكن أمه عذراء) ورُبِّيَ بعدها في بيت يهودي. والذي جعل المسيح يختلف عن سائر البشر هو اتباعه الصحيح للتعاليم اليهودية. وبسبب اتباعه الصحيح تبناه الرب ليصبح

ابنه في معموديته عندما جاء صوت من السماء معلناً أنه ابن الله. ومن تلك اللحظة شعر المسيح بنداء ليحقق مهمته التي أوكلها إليه الله، أي الموت على الصليب كتضحية حقّة من أجل خطايا الآخرين. وقد قام بذلك بطاعة مؤمنة بدعوته. وعندها كرمه الله على تضحيته بإقامته من الموتى ورفعه إلى السماء حيث ينتظر ليعود كقاضٍ على الأرض.

بالنسبة لهذه المجموعة فإن المسيح لم يوجد من قبل ولم يولد من عذراء، ولم يكن بنفسه إلهاً لقد كان رجلاً خاصاً وصالحاً، رجلاً اختاره الله وجعله في علاقة خاصة معه.

كرد على هذه الآراء أصر مسيحيو الأرثوذكس الأصليين على أن المسيح لم يكن إنساناً عادياً بل كان عندهم إلهاً. وفي منطق آخر كان هو الله نفسه ولد من العذراء، وكان صالحاً أكثر من الجميع لأنه كان مختلفاً بطبيعته. وفي عماده لم يجعله الله ابنه (بالتبني)، ولكنه أكّد أنه كان ابنه كما كان منذ الأزل.

كيف أثرت هذه الجدالات على النصوص المقدسة التي كانت متداولة في القرنين الثاني والثالث، النصوص التي كانت تُنسخ من قبل نساخ غير محترفين كانوا بنفسهم منخرطين بشكل أو بآخر في هذه النزاعات؟ إن هناك تغييرات قليلة إن لم تكن معدومة في القراءات التي يبدو أنها كُتبت من قبل نساخ يعتنقون مبدأ التبني، وسبب نقص الأدلة هذا لا ينبغي أن يكون مفاجأة. فإذا قام مسيحي يعتنق مبدأ التبني بإدخال وجهة نظره على نصوص الكتاب المقدس فإنها بالتأكيد ستُصحّح من قبل ناسخ آخر يعتنق المبدأ الأرثوذكسي. إن ما نجده على كل حال هي أمثلة عن نصوص عُدِّلت بطريقة تعاكس وجهة نظر مسيحيي التبني أن هذه التغييرات تشدّد على أن المسيح ولد من عذراء، ولم يتم تبنيه أثناء العماد بل كان هو الله نفسه.

تغييرات نصية معادية لمسيحيي التبني

لقد رأينا بالفعل أحد التغييرات المتعلقة بهذا الجدال في نقاشنا في الفصل الرابع للأبحاث النصية لجي. جي. ويتشتاين لقد فحص ويتشتاين Codex Alexandrinus الموجودة الآن في المتحف البريطاني وقرر أنه في رسالة تيموثاوس الأولى، الإصحاح (3)، الآية (16) حيث معظم المخطوطات الحديثة تتكلم عن المسيح على أنه "الله ظهر في الجسد" بينما تلك المخطوطة القديمة تتحدث عن المسيح "الذي أُظهر في الجسد". إن الفرق ضئيل جداً في اليونانية إنه مجرد فرق بين تيتّا وأوميكرون اللذين يبدوان متشابهين جداً (ΟΣ و ΘΣ) حيث قام ناسخ لاحق بتغيير النص الأصلي بحيث يُقرأ "الله" بدلاً من "الذي"، بكلمات أخرى فإن هذا المصحّح اللاحق غيّر النص بطريقة تشدّد على ألوهية المسيح. ومن المهم أن ندرك أن التصحيح نفسه حدث في أربعة من المخطوطات القديمة الأخرى لرسالة تيموثاوس الأولى، حيث خضعت كلها لتصحيحات غيرّت النص بالطريقة نفسها، فأصبحت تدعو المسيح الآن بشكل حصري بالله وأصبح هذا النص هو النص الموجود في الغالبية العظمى للمخطوطات البيزنطية (أي من العصور الوسطى). وبعدها أصبح النص لمعظم الترجمات الإنكليزية الأولى.

إن أقدم وأفضل المخطوطات لدينا تتكلم عن المسيح "الذي أُظهر بالجسد" دون أن تدعو المسيح بشكل خاص بالإله. إن التغيير الذي طغى على مخطوطات القرون الوسطى لاحقاً تمّ لتأكيد ألوهة المسيح في نص كان فيه التباس في هذا الأمر على أفضل الأحوال. إن هذا مثال عن تغيير ضد مسيحي التبني تغيير نصي يعاكس الادعاء القائل بأن المسيح كان إنساناً ولم يكن إلهاً.

قد وجدت تغييرات أخرى من هذا النوع في مخطوطات تسجّل حياة المسيح المبكرة في إنجيل لوقا. ففي أحد الأماكن يُقال لنا إنه عندما أخذ يوسف ومريم يسوع إلى الهيكل وباركه سمعان المبارك فإن "أباه وأمه كانا متعجبين مما قيل لهما" (لوقا 33:2). أبوه؟ كيف يمكن لنص أن يدعو يوسف أبا المسيح إذا كان المسيح مولوداً من العذراء؟ وليس من المدهش أن يقوم عدد كبير من النساخ بتغيير النص لإزالة مشكلة محتملة بقولهم "يوسف وأمه كانا مندهشين". فلا يمكن الآن استخدام هذا النص من قِبَل مسيحيي التبني لدعم إدعائهم أن يوسف كان أبا الطفل.

تحدث ظاهرة مماثلة في عدد من الآيات اللاحقة في رواية المسيح عندما كان ابن اثني عشر عاماً في الهيكل. إن القصة مألوفة حيث يزور يوسف ومريم ويسوع احتفالاً في أورشليم. وأثناء عودة العائلة إلى البيت في العربة فإن يسوع يبقى هناك دون علمهم، وكما يقول النص فإن أهله لم يعرفوا ذلك. ولكن لماذا يتكلم النص عن أهله بينما يوسف ليس أباه الحقيقي. إن عدداً من النماذج النصية تصحّح المشكلة بجعل النص على الشكل التالي: "يوسف وأمه لم يعرفا بذلك". ومرة أخرى بعد بضع آيات عندما يعودون إلى أورشليم للبحث في كل مكان عن يسوع فإن مريم تجده بعد ثلاثة أيام في الهيكل، فتوبخه قائلة: "لقد كنا نبحث أنا وأبوك عنك". ومرة أخرى يحلّ النساخ المشكلة هذه المرة ببساطة بتغيير النص ليصبح لقد "كنا نبحث عنك".

واحد من أكثر الأمثلة أهمية لهذا النوع من التغييرات بين مخطوطاتنا يحدث حيث يمكن للمرء أن يتوقعه في رواية عماد المسيح من قبل يوحنا. وهي النقطة التي يصرّ عدد كبير من مسيحيي التبني على أن المسيح اختير من

قبل الرب ليكون ابنه بالتبني في إنجيل لوقا كما هو في إنجيل مرقس فإنه أثناء عماد المسيح فإن السماء تُفتح وينزل الروح على يسوع على شكل حمامة، ويصدر صوت من السماء. ولكن مخطوطات إنجيل لوقا منقسمة فيما يتعلق بما قاله الصوت بالضبط. فوفق معظم مخطوطاتنا تكلم الكلمات نفسها التي نجدها في رواية مرقس "أنت هو ابني الحبيب الذي عنه رضيت". (مرقس 11:1) و(لوقا 23:3) في واحدة من المخطوطات اليونانية القديمة وعدد من المخطوطات اللاتينية يقول الصوت شيئاً مختلفاً تماماً "أنت هو ابني، اليوم قد أنجبتك". "اليوم قد أنجبتك"؟ ألا يقترح ذلك أن يوم العماد هو اليوم الذي أصبح فيه المسيح ابن الله؟ ألا يمكن أن يستخدم هذا النص من قبل مسيحيي التبني لتأكيد وجهة نظرهم أن المسيح أصبح ابن الله في هذا الوقت؟ وبما أن هذا التغيير هو تغيير مهم فربما يكون من الأفضل أن نوليه اهتماماً أطول كتوضيح أكبر لتعقيدات المشكلة التي يواجهها النقاد النصيون.

إن أول مشكلة يجب حلها هي كالتالي: أيّ هذين الشكلين من النص هو الأصلي وأيّهما يمثّل التحريف؟ إن أغلبية المخطوطات اليونانية يوجد فيها النص الأول: "أنت ابني الحبيب الذي به رضيت" ولذا فإن المرء قد يُدفع ليعتقد أن القراءة الأخرى هي المحرّفة. إن المشكلة في هذه الحالة هي أن هذه الآية قد اقتبست من قبل الكثير من آباء الكنيسة الأوائل في تلك الفترة قبل أن تُنْتج معظم مخطوطاتنا. وقد اقتبست في القرنين الثاني والثالث في كل مكان من روما إلى الإسكندرية إلى شمال أفريقيا إلى فلسطين إلى فرنسا وإسبانيا. وفي كل الحالات تقريباً فإنّ النص الثاني هو المقتبس "اليوم قد أنجبتك".

بالإضافة إلى ذلك فإن هذا النص غير مشابه لما هو موجود في المقطع المماثل من مرقس. وكما رأينا فإن النساخ يميلون بشكل تلقائي إلى جعل النصوص متناغمة أكثر من إخراجها عن التناغم، ولذا فإن شكل النص الذي يختلف عن مرقس هو الأكثر احتمالاً ليكون هو الأصلي في لوقا. وتقترح هذه المناقشات أن القراءة الأقل توثيقاً (اليوم قد أنجبتك) هي في الواقع القراءة الأصلية، وأنها قد غُيّرت من قبل نساخ خشوا معناها الإضافي.

لقد اعتنق بعض الباحثين وجهة نظر معاكسة بأن جادلوا أن لوقا لا يمكن أن يكون قد جعل الصوت أثناء العماد يقول اليوم قد أنجبتك، لأنه من الواضح تماماً قبل هذه النقطة في رواية لوقا أنّ المسيح هو ابن الله. لذا في (لوقا 35:1) قبل ولادة المسيح يعلن الملاك جبرائيل لوالدة المسيح أن "الروح القدس يحل عليك وقوة العلي تظللك. فلذلك أيضاً القدوس المولود منك يدعى ابن الله". فبالنسبة للوقا نفسه بكلمات أخرى فإن المسيح كان بالفعل ابن الله عند مولده. ووفق هذه الحجة لا يمكن أن يقال إنه أصبح ابن الله أثناء عماده. ولذا فإن القراءة الأكثر مصداقية "أنت هو ابني الحبيب الذي به سررت" هي الأصلية على الأغلب.

إن الصعوبة التي تواجه هذا التفكير -على الرغم من كونه مقنعاً من النظرة الأولى هي أنه يتغاضى عن كيفية استخدام لوقا للإشارات إلى المسيح بشكل عام في عمله (ومن ضمنها الإنجيل والمجلد الثاني من كتابته أعمال الرسل) خُذْ بعين الاعتبار ما يقوله لوقا عن يسوع من كونه المخلص المنتظر (Messiah) وهي كلمة عبرية للمصطلح اليوناني Christ أو المسيح فحسب (لوقا 11:2). فإن يسوع قد ولد على أنه المسيح ولكنه في أحد أحاديثه في كتاب الأعمال فإن يسوع يقال إنه أصبح المسيح في عماده (أعمال 10 : 37-38) وفي

مقطع آخر يذكر لوقا أن يسوع أصبح المسيح أثناء قيامته، أعمال (38:2). كيف يمكن لكل هذه الأشياء أن تكون صحيحة؟ يبدو أنه بالنسبة للوقا كان من المهم أن يركز على اللحظات الرئيسية في حياة يسوع ويشدّد على أهميتها لهوية يسوع (بمعنى آخر كونه المسيح). إن الشيء نفسه ينطبق على فهم لوقا ليسوع على أنه الله حيث قيل إنه ولد كإله في (لوقا 11:2) ودُعي بالإله في أثناء حياته في (لوقا 1:10) ولكن كتاب الأعمال (38:2) يشير إلى أنه قد أصبح إلهاً أثناء قيامته.

بالنسبة للوقا فإن هوية يسوع على أنه الرب أو المسيح، أو ابن الله مهمة ولكن من الواضح أن اللحظة التي حدثت فيها غير مهمة؟ إن يسوع هو كل هذه الصفات مجتمعة في اللحظات الحاسمة من حياته الولادة، والعماد والقيامة على سبيل المثال.

عندها يبدو أن النص الأصلي لرواية لوقا عن عماد المسيح كان أن الصوت جاء من السماء ليعلن "أنت هو ابني اليوم قد أنجبتك" من المحتمل أن لوقا لم يعني أن تفسّر أقواله بشكل خاص بالتبني بما أنه وبعد كل شيء قد روى بالفعل رواية عن ولادة المسيح من العذراء (في الإصحاحين الأول والثاني). ولكن المسيحيين في وقت لاحق عند قراءة الإصحاح الثالث من لوقا الآية (22) ربما ذهلوا بالتعقيدات المحتملة التي قد يشكلها حيث يبدو أنه قد يفتح مجالاً للتفسيرات الخاصة لمسيحيي التبني. ومنعاً لأي شخص من أخذ النصوص بهذه الطريقة فإن بعض النساخ الأرثوذكس الأصليين غيّروا النص ليجعلوه يؤكد تماماً ما جاء في نص (مرقس 11:1). فأصبح النص الآن يؤكد أن يسوع هو "أنت ابني الحبيب الذي به سررت". وهذا بكلمات أخرى هو تغيير آخر مضاد لمسيحيي التبني في النص.

سنختم هذا الجزء من النقاش بالنظر إلى مثال آخر مثل الرسالة الأولى إلى تيموثاوس (16:3) إن هذا المقطع يتضمن نصاً غيّره ناسخ ليجعله يؤكد بصيغة قوية جداً أن المسيح هو إله حقاً. يقع النص في إنجيل يوحنا، وهذا إنجيل يؤكد أكثر من غيره مما وصل للعهد الجديد أن المسيح هو إله. على سبيل المثال يوحنا: (58:8، 30:10، 28:20). إن التعريف موجود بشكل صارخ في مقطع أصله هو موضوع جدال حامي الوطيس.

إن الآيات الثمانية عشر الأولى من يوحنا تدعى أحياناً بالمقدمة. وهنا يتكلم يوحنا عن كلمة الله التي كانت في البدء مع الله ومن كان الله. وهذه الكلمة صنعت كل شيء. بالإضافة إلى ذلك فإنها وسيلة الله للتواصل مع العالم. الكلمة هي الكيفية التي يُظهر فيها الله نفسه للآخرين. ويقال لنا في نقطة أخرى الكلمة صارت جسداً، وحلّت بيننا. بكلمات أخرى فإن كلمة الله نفسها صارت إنساناً، كائناً بشرياً. وهذا الكائن البشري كان يسوع المسيح، الآية (14) والآية (17). وفي هذا الفهم للأشياء فإن يسوع المسيح يمثّل تجسيد كلمة الله الذي كان مع الله في البدء، وكان هو الله ومنه صنع الله كل شيء.

تنتهي المقدمة بنهاية صادمة حيث تأتي بشكلين مختلفين "الله لم يره أحد قط *(الابن الوحيد)/(الإله الوحيد)* الذي هو في حضن الأب هو الذي خبّر" الآية (18).

إن المشكلة النصية متعلقة بهوية هذا الشخص الوحيد. فهل يجب أن يعرّف على أنه الإله الوحيد في حضن الأب أم أنه الابن الوحيد في حضن الأب؟ ويجب القول هنا إن القراءة الأولى هي الموجودة في المخطوطات الأقدم والتي تعتبر بشكل عام الأفضل تلك التابعة للعائلة النصية الاسكندرانية

ولكن المذهل أنها قلما توجد في مخطوطات ليست مرتبطة بالإسكندرية. هل يمكن أن الاختلاف النصي صُنع من قبل ناسخ في الإسكندرية وانتشر هناك؟ إذا كان هو السبب فإن ذلك يفسر لماذا تحتوي أغلبية المخطوطات في كل مكان على القراءة الأخرى التي دعي فيها المسيح بالابن الوحيد وليس بالإله الوحيد.

هناك أسباب أخرى للاعتقاد بأن القراءة الأخيرة هي الصحيحة: إن إنجيل يوحنا يستخدم تعبير الابن الوحيد في عدة أماكن أخرى (يوحنا 3: 16-18) ولا يتكلم عن المسيح بصفته الإله الوحيد. بالإضافة إلى ذلك، فما معنى تسمية المسيح بهذا الاسم؟ إن مصطلح وحيد في اليونانية يعني الفريد من نوعه. ويمكن أن يكون هناك شيء واحد فريد من نوعه ومصطلح الإله الوحيد ينبغي أن يشير إلى الله الأب نفسه، وإلا فإنه ليس وحيداً ولكن إذا أشار المصطلح إلى الأب فكيف يمكن أن يشير إلى الابن؟ آخذين بعين الاعتبار أن العبارة الأكثر تداولاً وفهماً في إنجيل يوحنا هي الابن الوحيد فإنه يبدو أن هذه هي العبارة الأصلية المكتوبة في (يوحنا 18:1) إن هذه الفكرة نفسها لا تزال منظوراً سامياً للمسيح على أنه الابن الوحيد الموجود في حضن الأب، وهو الذي يشرح للجميع عن الأب.

على الرغم من ذلك يبدو أن بعض النساخ -الموجودين في الإسكندرية- لم يكونوا مقتنعين حتى بهذا المنظور السامي للمسيح، ولذا قاموا بجعله أكثر سمواً بتحويل النص. والآن لم يعد المسيح الابن الوحيد لله فحسب بل أصبح هو الإله الوحيد نفسه. وهذا أيضاً يبدو أنه تغيير مضاد لمسيحي التبني قام به نُساخ من القرن الثاني.

تغييرات النص المضادة لمسيحيي التجلي

مسيحيو التجلي الأوائل

على العكس تماماً من المفهوم اللاهوتي للمسيحيين اليهود ومفهوم التبني الخاص بهم كانت جماعة المسيحيين المعروفة بالتجليين، الاسم الذي يأتي من الكلمة اليونانية (DOKEO) التي تعني يبدو أو يظهر كان هؤلاء يعتقدون أن المسيح لم يكن إنساناً من لحم ودم بل كان إلهاً، وفقط إلهاً. وأنه كان يبدو ويظهر على أنه كائن بشري يجوع ويعطش ويحسّ بالألم وينزف ويموت. وبما أن يسوع كان هو الإله، فإنه لا يمكن أن يكون إنساناً حقيقياً. لقد جاء إلى الأرض بمظهر بشري فقط.

أكثر هؤلاء المسيحيين شهرة في القرون المسيحية الأولى كان الفيلسوف المعلم مارسيون. نحن نعرف عنه كفاية لأن آباء الكنيسة الأوائل كايرنيوس وترتوليان اعتبروا وجهات نظره تهديداً حقيقياً، وكتبوا لهذا السبب بكثافة عنه. ولدينا بشكل خاص عملٌ من خمسة مجلدات كتب بيد ترتوليان ويدعى "ضد مارسيون" "*Against Marcion*" وفيه يُفصّل فهم مارسيون للإيمان ويهاجم، ومن هذه المقالة الهجومية استطعنا أن نتبين الخطوط العريضة لأفكار مارسيون.

كما رأينا فإن مارسيون يبدو أنه أخذ تلميحاته من الرسول بولس الذي اعتبره أنه أحد أتباع يسوع الحقيقيين. ويفرّق بولس في بعض رسائله بين الشريعة والإنجيل مصرّاً على أن المرء يكون صالحاً عند الرب عندما يؤمن بالمسيح (الإنجيل)، وليس بتطبيق قوانين الشريعة اليهودية. أما عند مارسيون فإن هذا التناقض بين إنجيل المسيح وقوانين موسى كان مطلقاً، لدرجة أنه اعتقد أن الله الذي أعطى القوانين لا يمكن أن يكون هو الذي أعطى خلاص

المسيح. أي أنهما كانا بمعنى آخر إلهين: إله العهد القديم الذي خلق هذا العالم واختار إسرائيل لتكون شعبه المختار وأعطاهم قوانينه القاسية، وعندما كانوا يخالفون القوانين (كما يفعلون كلهم) كان يعاقبهم بالموت. إن يسوع جاء من إله أعظم أُرسل ليخلص البشر من إله اليهود الغاضب. وبما أنه لا ينتمي إلى ذلك الإله الآخر الذي خلق العالم المادي فإن يسوع نفسه من الواضح أنه لا يمكن أن يكون جزءاً من هذا العالم المادي. وهذا يعني أنه لم ينزف حقاً ولم يمت حقاً. كل هذه الأشياء كانت مظاهر فقط. وبما أن المسيح قد تظاهر بأنه مات- وهي تضحية جيدة- فإن إله اليهود قَبِلَ هذا الموت مقابل الخطايا. كلّ من يؤمن به سيكون مخلّصاً من هذا الإله.

اعترض الكُتاب السابقون للأرثوذكس مثل ترتوليان بشدة على هذه الفكرة مصرين أنه لو لم يكن المسيح إنساناً حقيقياً فليس باستطاعته أن ينقذ أو يخلّص باقي البشر، وأنه إذا لم ينزف دمه فإن لا يمكن أن يجلب الخلاص، وأنه إن لم يمت فإن موته الظاهري لن ينفع أي شخص. وعندها اتخذ ترتوليان وآخرون موقفاً قوياً أن يسوع -مع كونه إلهاً- (على الرغم من كل ما قاله مسيحيو التبني) كان إنساناً كاملاً كان من لحم ودم، وكان بإمكانه أن يشعر بالألم، ونزف حقاً، ومات حقاً، وقام بالجسد من الموت حقاً، ورُفع إلى السماء بالجسد، حيث ينتظر ليعود بالجسد مكلّلاً بالمجد.

تغييرات النص المضادة لمسيحيي التجلي

إن الجدالات الدائرة حول هذا المذهب أثرت على النساخ الذين نسخوا الأسفار التي أصبحت في النهاية العهد الجديد، ولتوضيح هذه النقطة سأطرح أربعة أمثلة عن اختلافات نصية في المقاطع الأخيرة من إنجيل لوقا

الذي كما رأينا كان واحداً من الأناجيل التي قبلها مارسيون على أنها كتب مقدسة معترف بها.

إن المثال الأول يتضمن مقطعاً ناقشناه في الفصل الخامس، وهو رواية العرق الدموي للمسيح. كما رأينا هناك فإن الآيات المطروحة للنقاش كانت على الأغلب غير أصلية في إنجيل لوقا. لنتذكر أن المقطع يصف أحداثاً جرت قبل اعتقال يسوع مباشرةً عندما يترك تلاميذه ويذهب بمفرده ليصلي طالباً أن تُرفع عنه كأس المعاناة هذه. ولكن مصلياً بأن تكون مشيئة الرب. وعندها في بعض المخطوطات نقرأ الآيات محل الخلاف "وظهر له ملاك من السماء يقويه وإذا كان في جهاد كان يصلي بأشدِّ لجاجة وصار عرقه كقطرات دم نازلة على الأرض".

لقد ناقشت في الفصل الخامس أن الآيتين (43-44) تخرّبان هيكلية هذا المقطع من لوقا الذي عدا ذلك يشكل تصالباً يركز على صلاة المسيح لتكون مشيئة الرب. واقترحت أيضاً أن هاتين الآيتين تحتويان على تفسير لاهوتي مختلف تماماً عن الموجود في رواية لوقا عن الآلام. ففي كل مكان آخر يبدو المسيح هادئاً ومسيطراً على وضعه، بينما خرج لوقا تماماً عن مساره ليلغي أي إشارة إلى معاناة يسوع من روايته. إن هذه الآيات ليست فقط مفقودة من كل النماذج القديمة والهامة، ولكنها أيضاً تعارض وصف يسوع في مواجهة موته والموجودة في كل مكان في إنجيل لوقا.

فلماذا قام النُساخ بالرغم من ذلك بإضافتها إلى الرواية؟ نحن الآن في وضع يسمح لنا بالإجابة، من الملاحظ أن هذه الآيات أشير إليها ثلاث مرات من قبل كُتَّاب سابقين للأرثوذكس في منتصف وأواخر القرن الثاني (جاستين الشهيد) و(إيرينيوس الفرنسي) (وهيبوليتوس من روما). ومن المثير للاهتمام

أنه في كل مرة تذكر فيها هذه الآيات كانت كمعارضة لوجهة نظر أن يسوع لم يكن إنساناً حقيقياً، أي أن الألم العميق الذي عاناه يسوع وفقاً لهذه الآيات يظهر أنه كان إنساناً حقيقياً، وأنه كان يمكن أن يعاني مثل باقي البشر. ويعلق المدافع المسيحي جاستن: "أنه عندما أصبح عرقه يتساقط كقطرات من دم عندما كان يصلي" فإن ذلك يظهر أن "الأب أراد ابنه أن يمرّ من هذه المعاناة من أجلنا كي لا نقول بأنه بكونه ابن الله لم يشعر بما كان يحدث له".

وبكلمات أخرى فإن جاستين وزملاءه فهموا أن هذه الآيات تظهر بصورة جلية أن يسوع لم يكن يبدو أنه إنسان فحسب، بل كان إنساناً حقاً بكل معنى الكلمة. ويبدو من المحتمل عندها أنه بما أن هذه الآيات كما رأينا ليست أصلية في إنجيل لوقا فإنها أضيفت لأهداف مضادة لمسيحي التجلي، لأنها تصف بشكل جيد جداً حقيقة المسيح البشرية.

بالنسبة للمسيحيين قبل الأرثوذكس كان من المهم التشديد على أن المسيح كان رجلاً من لحم ودم، لأنه وبالتحديد كانت تضحية جسده وإراقة دمه هي التي جلبت الخلاص، ليس بالمظهر ولكن بالحقيقة. وهناك اختلاف نصي آخر في رواية لوقا عن ساعات يسوع الأخيرة تشدد على هذه الحقيقة. وهو موجود في رواية العشاء الأخير ليسوع مع تلاميذه. حيث يقال لنا في عدد من أقدم المخطوطات اليونانية وعدد من النماذج اللاتينية بأنه:

"تناول كأساً وشكر وقال خذوا هذه اقتسموها بينكم لأنني أقول لكم أنني لا أشرب نتاج الكرمة حتى يأتي ملكوت الله. وأخذ خبزاً وشكر وكسر وأعطاهم قائلاً هذا هو جسدي ولكن ها هي ذي يد الذي يسلمني هي معي على المائدة".

ولكن في معظم مخطوطاتنا نجد إضافة على النص. وهي إضافة تبدو مألوفة لعدد كبير من قراء الإنجيل الإنكليزي بما أنها وصلت إلى معظم الترجمات الحديثة. هنا يقول المسيح بعد أن يقول هذا هو جسدي يتابع بالكلمات "الذي يبذل من أجلكم، اصنعوا هذا لذكري. و أيضاً الكأس من بعد العشاء قائلاً: هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي الذي يسفك عنكم"

هذه هي الكلمات المألوفة "للتأسيس" في العشاء الربي والمعروفة بشكل مشابه جداً في رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنتوس. (كورنتوس الأولى 11: 23-25)، على الرغم من أنها مألوفة فإن هناك أسباب جيدة تدفع للاعتقاد أن هذه الآيات ليست موجودة أو لم تكن بشكل أصلي في إنجيل يوحنا بل أضيفت لتشدد على أن جسد المسيح ودمه المسفوك هما اللذان جلبا الخلاص لك. فأولاً: من الصعب تفسير سبب حذف النساخ للآيات إذا كانت أصلية في إنجيل لوقا وخاصة مع كونها منطقية وواضحة جداً عندما تضاف. في الواقع فإنه عندما تزال هذه الآيات يجد معظم الناس النص يبدو مبتوراً. إن عدم مألوفية النسخة المبتورة (دون الآيات) ربما كانت ما دفع النساخ لإضافة الآيات.

بالإضافة إلى ذلك يجب أن يقال إن الآيات على الرغم من كونها مألوفة فإنها لا تمثل فهم لوقا لموت يسوع، لأنه من الميزات الهامة لوصف لوقا لموت المسيح -وقد يبدو هذا غريباً في البداية- أنه لم يذكر أبداً في أي مكان آخر أن موت المسيح نفسه هو الذي جلب الخلاص من الخطيئة. لم يقل في أي مكان في عمل لوقا الكامل المؤلف من مجلدين (إنجيل لوقا وأعمال الرسل) إن موت المسيح هو من أجلكم. في الواقع فإنه في مكانين حيث يشير مصدر لوقا (مرقس) إلى أن موت يسوع هو الذي جلب الخلاص

(مرقس 10:45 39:15). غيّر لوقا كلمات نصه (حذفها)، وبكلمات أخرى فإن لوقا لديه فهم مختلف للطريقة الذي يقود بها موت المسيح إلى الخلاص. مختلفة عن مرقس (وبولس وكتاب مسيحيين أوائل آخرين).

من السهل أن نرى مفهوم لوقا المميز برؤية ما قاله في كتاب أعمال الرسل، حيث يلقي التلاميذ عدداً من الخطابات ليحولوا أناساً آخرين إلى الإيمان. ولا يشير التلاميذ في أي من هذه الخطابات إلى أن موت المسيح يجلب مغفرة للخطايا (على سبيل المثال في الإصحاح 3، 4، 13). ليس لأن موت المسيح غير مهم، إنه مهم لأقصى درجة عند لوقا، ولكن ليس كسبيل للمغفرة. بدلاً من ذلك فإن موت المسيح هو ما يجعل الناس يدركون ذنبهم أمام الله (بما أنه مات مع كونه بريئاً). وعندما يدرك الناس خطأهم فإنهم يلتفتون إلى الله نادمين، وعندها يغفر لهم خطاياهم.

إن موت المسيح عند لوقا بكلمات أخرى يدفع الناس للندامة. وهذه الندامة هي التي تجلب الخلاص، ولكن ليس بالنسبة لهذه الآيات موضع الجدال المفقودة من بعض أقدم النماذج لدينا حيث يصور موت المسيح هنا على أنه مغفرة من أجلنا.

يبدو أن الآيات ليست جزءاً أصلياً من إنجيل لوقا. لماذا أضيفت إذاً؟ في جدال لاحق مع مارسيون يشدد ترتوليان:

"لقد أعلن المسيح ببساطة ما كان يعنيه بالخبز عندما دعا الخبز بجسده. وكذلك عندما ذكر الكأس. وجعل العهد الجديد مختوماً بدمه يؤكد حقيقة جسده، لأنه لا يمكن للدم أن ينتمي إلى جسد ليس من لحم. ولذا مِن ذِكر اللحم نحصل على دليل الجسد ودليل على اللحم من ذكر الدم". (ضد مارسيون 40:4)

يبدو أن هذه الآيات أضيفت لتشدد على حقيقة جسد المسيح الذي ضحى به فعلاً لأجل الآخرين. لربما لم يكن هذا رأي لوقا الخاص، ولكنه كان بالتأكيد رأي النساخ السابقين للأرثوذكس الذين عدّلوا نصوص لوقا في سبيل دحض آراء مسيحيي التجلي من أمثال مارسيون.

من الآيات الأخرى التي يبدو أنها أضيفت إلى إنجيل لوقا من قبل النساخ هي لوقا الإصحاح (12:24) التي تحدث بعد قيامة يسوع من الموت حيث تذهب بضع نسوة من أتباع المسيح إلى القبر، فيجدن أنه ليس هناك. ويقال لهن إنه قد قام. ويعدن إلى التلاميذ الذين يرفضون التصديق، لأن القصة تبدو لهم قصة سخيفة. ثم تحدث رواية (12:24) في العديد من المخطوطات :

"فقام بطرس وركض إلى القبر فانحنى ونظر إلى الأكفان موضوعة وحدها فمضى متعجباً في نفسه"

هناك أسباب ممتازة للاعتقاد بأن هذه الآية لم تكن جزءاً أصلياً من إنجيل لوقا. إنها تحتوي على عدد كبير من الميزات الإنشائية غير الموجودة في أي مكان آخر من إنجيل لوقا ومن ضمنها بعض الكلمات الرئيسية الموجودة في النص. فعلى سبيل المثال انحنى والكفن (حيث قد تم استخدام كلمات أخرى للدلالة على الأقمشة التي دفن فيها المسيح في مكان سابق من الرواية). بالإضافة إلى ذلك فمن الصعب أن نرى سبب رغبة أحدهم في إزالة هذه الآية إذا كانت تشكل بالفعل جزءاً من الإنجيل. وكما لاحظ العديد من القراء فإن الآية تبدو بشكل مشابه جداً لملخص لرواية في إنجيل يوحنا (20 : 3-10)، حيث بطرس والتلميذ المحبوب يتسابقان إلى القبر ليجداه فارغاً. فهل يمكن أن يكون أحدهم قد أضاف رواية مشابهة بشكل مختصر إلى إنجيل لوقا؟

إذا كان الأمر كذلك فإنها إضافة مذهلة لأنها تدعم بشكل جيد وضع الأرثوذكسيين الأصليين أن المسيح لم يكن ببساطة خيالاً بل كان حقيقةً وجسداً مادياً. بالإضافة إلى ذلك فإنها معروفة من قبل رئيس التلاميذ بطرس نفسه. ولذا فإنه بدلاً من ترك قصة القبر الفارغ على أنها قصة سخيفة من قبل بعض النسوة غير الجديرات بالثقة. فإن النص الآن يُظهر أن القصة لم تكن قابلة للتصديق فحسب، بل كانت حقيقية عندما أُكدت من بطرس نفسه (الذي يُفترض بأنه رجلٌ جدير بالثقة). والأكثر أهمية أن الآية تشدد على الطبيعة الجسدية للقيامة، لأن الشيء الوحيد الباقي في القبر كان الدليل المادي للقيامة أي نسيج الكفن الذي غطى جسد المسيح. لقد كانت هذه قيامة بالجسد لشخص حقيقي. إن أهمية هذه النقطة قد وضحت من قِبَلِ ترتوليان:

> *"إذا أنكر موت المسيح بسبب إنكار جسده فلن يكون هناك تأكيد على قيامته، لأنه لم يقم للسبب نفسه الذي لم يمت من أجله، لأنه لم يكن يملك الجسد الحقيقي الذي يصيبه الموت. وكذلك القيامة بشكل مماثل وبشكل مشابه. فإذا نقضت قيامة المسيح فستدمر قيامتنا" (ضد مارسيون 8:3)*

يجب أن يمتلك المسيح جسداً حقيقياً من لحم ودم وهو الذي أقيم من بين الأموات بالجسد.

إن المسيح لم يعانِ ولم يمت ولم يقم جسدياً من بين الأموات عند الأرثوذكس الأصليين فقد ارتفع بالجسد إلى السماء. إن الاختلاف النصي الأخير يأتي من نهاية إنجيل لوقا بعد القيامة. (ولكن في نفس اليوم) يتكلم المسيح مع أتباعه للمرة الأخيرة، ثم يفترق عنهم

" وفيما هو يباركهم انفرد عنهم وأُصعد إلى السماء فعادوا إلى أورشليم بفرح عظيم" (لوقا 24: 51-52)

من المهم أن نعلّق أنه في بعض أقدم المخطوطات، ومن ضمنها المخطوطة الاسكندرانية Codex Sinaiticus هناك إضافة على النص فبعد أن يشير النص أنه افترق عنهم في هذه المخطوطة يقول "وأُخِذَ إلى السماء" إن هذه إضافة مهمة لأنها تشدد على رحيل المسيح بالجسد أثناء صعوده (بدلاً من المصطلح افترق عنهم) إن هذا اختلاف مخادع، لأن الكاتب نفسه لوقا في مجلده الثاني كتاب أعمال الرسل يعيد سرد قصة صعود المسيح إلى السماء، ولكنه يصرّح بوضوح أنه حدث بعد أربعين يوماً من القيامة (أعمال 1: 1-11).

ذلك يجعل من الصعب الاعتقاد أن لوقا كتب العبارة في (لوقا 24: 51) بما أنه لن يظن بالتأكيد أن المسيح صعد إلى السماء في يوم قيامته إذا أشار في مجلده الثاني أنه صعد بعد أربعين يوماً. والجدير بالملاحظة أيضاً أنه الكلمة الرئيسية في النزاع (أُصعد) لم تُذْكر أبداً في أي مكان آخر من إنجيل لوقا أو كتاب أعمال الرسل.

لماذا قد يضيف أحدهم هذه الكلمات؟ نحن نعرف أن الأرثوذكس الأصليين أرادوا أن يشددوا على الطبيعة الجسدية الحقيقة لرحيل المسيح عن الأرض. لقد رحل المسيح جسدياً، وسيعود جسدياً جالباً معه خلاصاً جسدياً. إن هذا ما كانوا يناقشونه ضد مسيحيي التجلي الذين اعتقدوا أنه كان مجرد صورة. وربما كان ناسخٌ منخرطاً في هذه الجدالات هو الذي عدّل هذا النص لكي يشدد على هذه النقطة.

تغييرات النص ضد الانفصاليين

المسيحيون الانفصاليون الأوائل

إن شكل القلق الثالث بالنسبة للمسيحيين الأرثوذكس الأصليين في القرن الثاني والثالث تضمن مجموعات من المسيحيين فهموا أن المسيح لم يكن فقط إنساناً (مثل مسيحيي التبني) ولا إلهاً فقط (مثل مسيحيي التجلي)، ولكنه كان كائنين أحدهما إنسانٌ كامل والآخر إلهٌ كامل. ويمكن أن ندعو هذا بالتفسير اللاهوتي الانفصالي، لأنه يقسم يسوع المسيح إلى قسمين: يسوع الإنسان (الذي كان بشرياً بالكامل) والمسيح الإله (الذي كان إلهاً كاملاً). بالنسبة لمعظم أنصار وجهة النظر هذه فإن يسوع الإنسان كان مسكوناً بشكل مؤقت من الكائن الإلهي المسيح ممكناً إياه من أداء عجائبه وإيصال تعاليمه. ولكن قبل موت يسوع فإن المسيح تخلّى عنه تاركاً إياه يواجه الصلب وحده.

إن هذا المفهوم كان شائع الانتشار بين مجموعات من المسيحيين أسماها الباحثون بالغنوسطيين. إن مصطلح غنوسطي يأتي من الكلمة اليونانية للمعرفة وهي Gnosis. وهي تطبق بشكل واسع على مجموعات من المسيحيين الأوائل الذين شدّدوا على أهمية معرفة سرية للخلاص الحقيقي. وفق معظم هذه المجموعات فإن العالم الذي نعيش فيه لم يخلق من قبل الإله الحقيقي الواحد. بل إنه جاء نتيجة كارثة في العالم الإلهي حيث نفيت واحدة من هذه الكائنات الإلهية (المتعددة) لأسباب غامضة من السموات. وكنتيجة لسقوطها من الإلوهية خُلِق العالم المادي بواسطة إلهٍ أقل شأناً أمسكها وسجنها في أجساد بشرية هنا على الأرض. ولذا فإن بعض البشر لديهم نفحة من الألوهة داخلهم، وهم بحاجة إلى معرفة حقيقة من هم من أين

أتوا، وكيف وصلوا إلى هنا، وكيف بإمكانهم أن يعودوا، ومعرفة هذه الحقيقة تقود إلى خلاصهم.

إن هذه الحقيقة تتكون من تعاليم سرية غامضة ومعرفة غامضة. وهي يمكن أن تُنقل فقط من قبل كائن إلهي من العالم السماوي. أما عند المسيحيين الغنوسطيين فإن المسيح هو ذلك الملهم الإلهي لحقيقة الخلاص. في عددٍ من الأنظمة الغنوسطية فإن المسيح جاء إلى الرجل الذي يدعى يسوع في عماده، وتسلط عليه من أجل مهمته، ثم تركه ليموت على الصليب. ولهذا يصرخ يسوع "إلهي إلهي لماذا تركتني؟" وعند هؤلاء الغنوسطيين فإن المسيح قد تخلّى عن يسوع بالمعنى الحرفي (أو تركه خلفه). وبعد موت يسوع أقامه من الأموات كمكافأة لإيمانه، وتابع عبره تعليم التلاميذ الحقائق السرية التي تقود للخلاص.

إن المسيحيين الأرثوذكس الأصليين وجدوا هذه التعاليم مسيئة على كل المستويات. فهم يقولون إن العالم المادي ليس مكاناً شريراً ناتجاً عن كارثة كونية، ولكنه خلق صالح من الإله الواحد. وعندهم فإن الخلاص يأتي بالإيمان بموت المسيح وقيامته، وليس من تعلم المعرفة السرية التي يمكن أن تلقي الضوء على حقيقة ظرف البشر. والأهم من ذلك لأهدافنا هنا فإنه عندهم يسوع والمسيح ليسا كائنين منفصلين، ولكن كيان واحد إلهي وبشري في الوقت نفسه.

تغييرات النص المضادة للانفصاليين

إن هذه النقاشات لعبت دوراً في نقل النصوص التي كانت ستصبح العهد الجديد. ولقد رأينا بالفعل مثالاً على اختلاف في الفصل الخامس (العبرانيين

9:2) حيث قيل عن المسيح في النص الأصلي للرسالة إنه مات بعيداً عن الله. وفي ذلك النقاش رأينا أن معظم النُساخ قبلوا القراءة المختلفة التي تشير إلى أن المسيح مات بنعمة الله، على الرغم من أن ذلك النص ليس ما كتبه الكاتب بالأصل. ولكننا لم نناقش بأي شكل سبب اعتقاد النساخ بأن هذا النص خطير ويجب تعديله. والآن مع هذه الخلفية الموجزة عن فهم الغنوسطيين للمسيح فإن التغيير يكون منطقياً أكثر، حيث إنه عند الانفصاليين فإن المسيح مات بالفعل بعيداً عن الله، حيث إن العنصر الإلهي الذي كان يسيطر عليه أزال نفسه على الصليب بحيث مات يسوع وحيداً. ومن وعيهم بأن النص يمكن أن يستخدم لدعم هذه النظرة فإن النساخ المسيحيين قاموا بتغيير بسيط ولكنه عميق جداً. والآن بدلاً من أن يشير النص إلى أن موته كان بعيداً عن الله فإن النص يؤكد بأن موت المسيح كان بنعمة الله. وهكذا يعتبر هذا تغييراً مضاداً للانفصاليين.

المثال الثاني على هذه الظاهرة يحدث حيث يمكن للمرء أن يتوقعه في رواية الإنجيل عند صلب المسيح. وكما أشرت بالفعل فإن يسوع في إنجيل مرقس يكون صامتاً في عملية صلبه كلها حيث يصلبه الجنود ويسخر منه قادة اليهود المارون، وكذلك المجرمون المصلوبون معه وهو لا يقول كلمة حتى النهاية عندما يقترب موته. وعندها يصرخ يسوع بالكلمات المأخوذة من المزامير (22) "إيلي إيلي لما شبقتني؟" التي ترجمت "إلهي إلهي لماذا تركتني؟" (مرقس 34:15).

من المهم أن نعلق أنه بالنسبة للكاتب الأرثوذكسي الأصلي إيرينوس فإن مرقس كان الإنجيل المختار لأولئك الذين يفصلون يسوع عن المسيح، أي الغنوسطيين الذين يعتنقون مبدأ الانفصال. ولدينا دليل داحض يقدم أن

بعض الغنوسطيين أخذوا القول الأخير للمسيح بحرفيته ليشيروا إلى أنه في تلك اللحظة تخلّى المسيح الإله عن يسوع (بما أن الألوهية لا يمكن أن تعاني من الفناء أو الموت). ويأتي الدليل من وثائق غنوسطية تعكس أهمية هذه اللحظة في حياة المسيح. لذا على سبيل المثال فإن إنجيل بطرس المشكوك في صحته والذي شكّ البعض بأن لديه ميولاً انفصالية يقتبس هذه الكلمات بشكل مختلف قليلاً "قوتي! أيتها القوة. لماذا تركتني؟" والمثال الأكثر إثارة للدهشة هو النص الغنوسطي المعروف بإنجيل فيليب الذي يقتبس فيه هذه الآية، وتعطى بعد ذلك تفسيراً انفصالياً:

"إلهي إلهي لماذا تركتني يا إلهي" حيث إنه قال هذه الكلمات على الصليب وهناك انفصل.

إن المسيحيين الأرثوذكسيين الأصليين عرفوا بهذين الإنجيلين وتفسيراتهما لهذه اللحظة الذروية في صلب يسوع. وليس من المدهش عندها أن نص إنجيل مرقس قد غيّر من قبل بعض النُساخ بطريقة تمنع هذه التفسيرات الغنوسطية في واحدة من المخطوطات اليونانية وعدة نماذج لاتينية فإن المسيح لا يصرخ صرخة الإهمال التقليدية من المزامير. مزمور (22) ولكن بدلاً من ذلك يصرخ "إلهي! إلهي! لما هزأت بي".

إن هذا التغيير في النص يجعل القراءة مثيرة للاهتمام ومناسبة جداً لسياقها الحرفي، حيث كما أشير فإن كل شخص تقريباً في القصة قد سخر من المسيح في هذه المرحلة القادة اليهود، المارون وكلا اللصين ومع هذه القراءة المختلفة الآن حتى الله نفسه قد سخر من يسوع. وفي حالة يائسة يُصدر يسوع تلك الصرخة العالية ويموت. إن هذا مشهد قوي مملوء بمشاعر الشفقة.

ومع ذلك فإن هذه القراءة ليست أصلية، حيث إنها مفقودة في معظم وأفضل النماذج (من ضمنها تلك النصوص الاسكندرانية) وبالإضافة إلى حقيقة أنها لا تتجاوب مع الكلمات الآرامية التي قالها المسيح فعلاً "لما شبقتني" والتي تعني "تركتني" وليس "هزأت بي".

إذاً لماذا غير النساخ النص؟ نظراً لفائدته لأولئك الذين يجادلون لصالح المسيحيين الانفصاليين فلا يعود هناك داعٍ للسؤال. إن النساخ الأرثوذكس الأصليين كانوا مهتمين ألا يستخدم هذا النص ضدهم من قِبل خصومهم الغنوسطيين، لذا قاموا بتغيير مهم ومناسب في السياق. لذا أصبح الرب يهزأ بالمسيح بدلاً من تركه.

كمثال أخير على هذه التغييرات نأخذ المقطع الكائن في رسالة يوحنا الأولى. ففي أقدم أشكال النص الإصحاح الرابع، الآية (2) و(3) يُقال لنا:

" بهذا تعرفون روح الله كل روح يعترف بيسوع المسيح أنه قد جاء بالجسد فهو من الله وكل روح لا يعترف بيسوع المسيح أنه قد جاء في الجسد فليس من الله وهذا هو روح ضد المسيح".

إن هذا مقطع واضح وصريح إن من يعترفون بالمسيح أنه قد جاء فعلاً بالجسد (أي معارضين لمسيحيي التجلي) ينتمون إلى الله وأولئك الذين لا يعترفون بذلك فإنهم يعارضون المسيح، أي أنهم ضد المسيح. ولكن هناك تغييراً نصياً مهماً يحدث في النصف الثاني من المقطع فبدلاً من أن يشير إلى الذي لا يعترف بيسوع فإن عدة نماذج تشير إلى "الذي يفقد يسوع". ما الذي يعنيه -يفقد يسوع-؟ ولماذا يصل هذا التغيير النصي إلى بعض المخطوطات؟

في البدء يجب أن أشدد أنها لم تكن مخطوطات كثيرة في الواقع. فإنها في المخطوطات اليونانية تحدث في مخطوطة مهمة لأنها تبدو أنها نُسخت من

مخطوطة من القرن الرابع. وحواشيها الهامشية تُسَجِّل أسماء آباء الكنيسة الذين لديهم قراءات مختلفة لأجزاء معينة من النص. وفي هذا المثال بالتحديد فإن الحاشية الهامشية تشير إلى أن هذه القراءة "يفقد يسوع " كانت معروفة لعدد من آباء الكنيسة في نهاية القرن الثاني وبداية القرن الثالث مثل إيرينيوس، وكليمنت وأوريغن. بالإضافة إلى ذلك يبدو فإنها تظهر في النسخة اللاتينية. وهذا يُظهر بالإضافة إلى عدة أشياء أن هذا التغيير كان شائعاً في الفترة التي كان فيها المسيحيون الأرثوذكس الأصليون يجادلون الغنوسطيين حول مسائل التعليل اللاهوتي.

مع ذلك فإن هذا التغيير لا يمكن أن يُقبل على أنه النص الأصلي بالنظر إلى شواهد القليلة. إنه غير موجود على سبيل المثال في أية من مخطوطاتنا الأقدم والأفضل (في الواقع هو غير موجود في أي من المخطوطات اليونانية عدا هذه الملاحظة الهامشية). فلماذا خُلق من قِبَل ناسخٍ مسيحي؟ يبدو أنه وُجِدَ ليؤمن هجوماً إنجيلياً على تفسيرات الانفصال التي فيها يكون يسوع والمسيح منفصلين أحدهما عن الآخر إلى كيانات منفصلة، أو كما هو موجود في هذا التغيير حيث يفقد يسوع المسيح. وكل من يؤيد وجهة النظر هذه التي يقترحها التغيير النصي فإنه ليس من الله بل هو ضد المسيح. ومرة أخرى لدينا تغييرٌ تولّد في سياق جدالات التفسيرات اللاهوتية في القرنين الثاني والثالث.

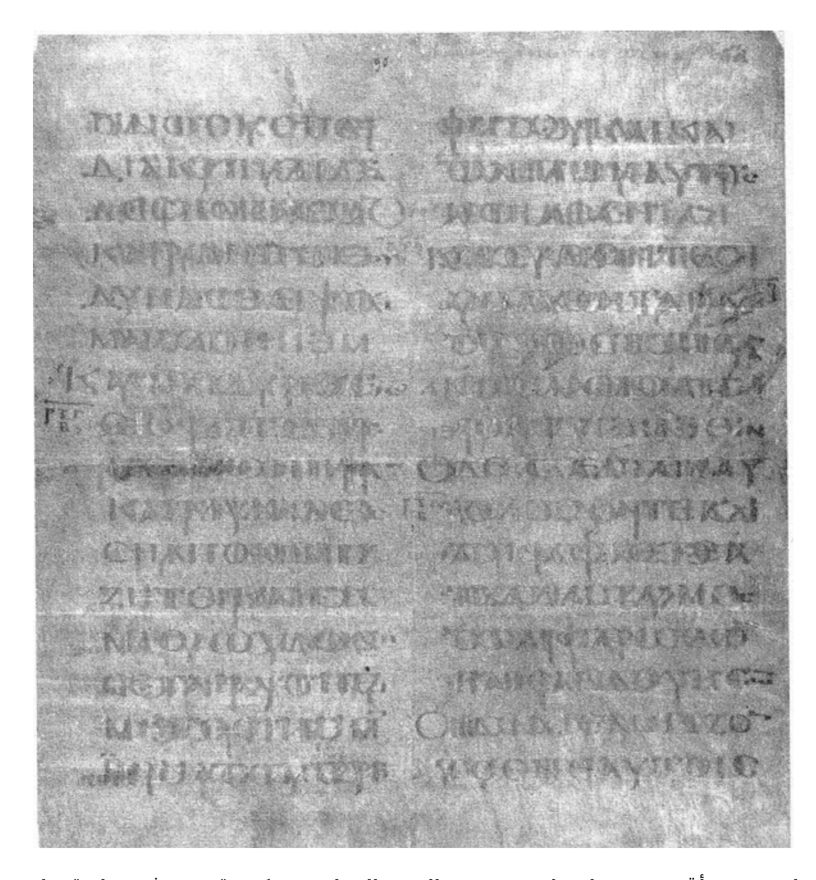
خلاصة

إن أحد العوامل التي ساهمت في تحريف النُساخ لنصوصهم كان سياقهم التاريخي الخاص. لقد كان النساخ المسيحيون في القرنين الثاني والثالث منخرطين في الجدالات والنزاعات في عصرهم. وأثرت هذه النزاعات بشكل

عرضي على عملية نسخ النصوص التي كان يدور حولها النزاع. وهكذا كان النساخ يغيرون النصوص بشكل عرضي ليجعلوها تقول ما كانوا يؤمنون أنها تعنيه بالفعل.

إن هذا ليس بالضرورة شيئاً سيئاً، بما أنه يمكننا أن نفترض أن معظم النُساخ الذين غيروا نصوصهم قاموا بذلك إما بنصف وعي أو بنية حسنة. ولكن الواقع بالرغم من ذلك فإنهم عندما قاموا بتحريف النصوص فإن كلمات النصوص نفسها أصبحت كلمات مختلفة. وهذه الكلمات المختلفة أثرت بالضرورة على تفسير الكلمات من قبل قراء لاحقين. ومن بين أسباب هذه التغييرات كانت الجدالات اللاهوتية في القرنين الثاني والثالث. وقد قام النُساخ أحياناً بتغيير نصوصهم على ضوء التعليلات اللاهوتية لمسيحيي التبني، والتجلي، والانفصاليين التي كانت تتنافس للحصول على التأييد في تلك الفترة.

من العوامل التاريخية الأخرى التي أثرت أيضاً، عوامل أقل ارتباطاً بالجدالات اللاهوتية وأكثر ارتباطاً بالنزاعات الاجتماعية لذلك العصر، نزاعات تضمن أشياء كدور المرأة في الكنائس المسيحية الأولى، ومعاداة المسيحيين لليهود ودفاعات المسيحيين ضد الهجمات من قبل خصوم وثنيين. وسنرى في الفصل التالي كيف أثرت هذه النزاعات الاجتماعية على النساخ الأوائل الذين أنتجوا نصوص الكتب المقدسة في القرون التي سبقت انتقال نسخ النصوص إلى اختصاص نُساخ محترفين.



واحدة من أقدم نسخ إنجيل متى من القرن السادس مكتوبة بحروف يونانية على ورق البردي

7

العوامل الاجتماعية للنصّ

من الآمن القول إن نسخ النصوص المسيحية القديمة كان عموماً عملية "محافظة". النساخ -سواء النساخ غير المحترفين في القرون الأولى أو النساخ المحترفين من العصور الوسطى- كانوا مصمّمين على "حفظ" التقليد النصّي الذي كانوا ينقلونه. لم يكن هدفهم النهائي تعديل النص، بل إبقاؤه لأنفسهم ولأولئك الذين يأتون من بعدهم. أكثر النساخ، دون شكّ، حاولوا أن يخلصوا بعملهم، أن النصّ الذي أعادوا نسخه كان نفس النصّ الذي ورثوه.

مع هذا، طرأت التغييرات على النصوص المسيحية القديمة، كان النساخ في كثير من الأحيان- يرتكبون أخطاء عرضية، يخطئون في لفظ كلمة، أو يحذفون سطراً، أو يفسدون الجمل التي يفترض بهم أن ينسخوها؛ وأحيانا غيّروا النصوص عن عمد، مصححين النصّ، الذي تبين في الحقيقة أنه تعديل لما كتبه مؤلف النصّ أصلاً. فحصنا في الفصل السابق واحداً من أنواع التغييرات المتعمّدة - التغييرات التي تتعلّق بالبعض من الخلافات اللاهوتية القائمة في القرون الثانية والثالثة، حيث جرت أغلب التغييرات على النصوص. أنا لا أريد أن أوصل الانطباع الخاطئ بأنّ هذا النوع من التغيير اللاهوتي للنصّ كان يحدث كلّ مرّة جلس فيها ناسخ لنسخ مقطع ما. لقد كان يحدث أحياناً. وعندما كان يحدث، كان له تأثير عميق على النصّ.

في هذا الفصل، سنلقي نظرة على عوامل سياقية أخرى قادت، أحياناً، إلى تعديل النصّ. وسنفحص بشكل خاص، ثلاثة من أنواع النزاعات التي كانت واضحة في الجاليات المسيحية القديمة: نزاع داخلي واحد على دور النساء في الكنيسة، ونزاعان خارجيان، واحد مع يهود غير المسيحيين والآخر مع الوثنيين العدائيين. وسنرى في كلّ حالة أن هذه النزاعات لعبت دوراً -في مناسبات متفرقة- في نقل النصوص التي كان النساخ (المشتركون في النزاعات) يعيدون نسخها لجالياتهم.

النساء ونصوص الكتاب المقدّس

النقاش على دور النساء في الكنيسة لم يلعب دوراً هائلاً في نقل نصوص العهد الجديد، لكنّه لعب دوراً، في المقاطع المثيرة والمهمة. ولفهم أنواع التغييرات النصّية، نحتاج إلى خلفية عن طبيعة هذه النقاشات.

النساء في الكنيسة الأولى

توصل العلماء المعاصرون لإدراك أن الجدالات حول دور النساء في الكنيسة الأولى حدثت بالتحديد لأن النساء كان لهن دور - في أغلب الأحيان دور هامّ وبارز عامّة. علاوة على ذلك، كان هذا هو الحال منذ البداية، بدءاً برسالة السيد المسيح نفسه. صحيح أن أتباع السيد المسيح الأقرب - التلاميذ الاثني عشر - كانوا جميعهم من الرجال، كما سيتوقّع من معلّم يهودي في القرن الأول في فلسطين. لكن أناجيلنا الأقدم تشير إلى أن السيد المسيح كان أيضا مصحوباً بالنساء في أسفاره، وأن بعضهن زوّدنه وتلاميذه بالدعم المادي، حيث كن رعاة لرسالته المتجوّلة (انظر مرقس 15: 40-51؛ لوقا 8:

1-3). كان السيد المسيح يدخل في حوارات عامّة مع النساء وقد علمهن علناً (مرقس 7: 24-30؛ يوحنا 4: 1-42). بشكل خاص، يقال لنا إن تلكم النسوة رافقن السيد المسيح أثناء سفرته الأخيرة إلى القدس، حيث كن حاضرات أثناء صلبه وحيث بقين مخلصات له في النهاية، عندما هرب التلاميذ الذكور (متّى. 55:27؛ مرقس 15: 40-41). الأهمّ من ذلك، أن كلاً من إناجيلنا يشير إلى أن نساء -مريم المجدلية لوحدها، أو مع عدّة نسوة أخريات- هن اللواتي اكتشفن قبره الفارغ. وبذلك كن أول من عرف وشهد بقيامة السيد المسيح من الموتى (متى. 28: 1-10؛ مرقس 16: 1-8؛ لوقا 24:10-23:55؛ يوحنا 20: 1-2).

السؤال هنا: ما الذي كان في رسالة السيد المسيح وجذب النساء خصوصاً؟ أكثر العلماء مقتنعون بأنّ السيد المسيح أعلن المملكة القادمة لله، التي لن يكون فيها ظلم بعد الآن، ولا معاناة، ولا شرّ، التي يكون فيها كلّ الناس، أغنياء وفقراء، عبيداً وأحراراً، رجالاً ونساء، على قدم المساواة. وقد أثبت ذلك جاذبيته كرسالة أمل لأولئك الذين كانوا في ذلك الوقت بحالة سيئة - الفقراء، والمرضى، والمرفوضون، والنساء.

في أية حالة، من الواضح أنّ حتى بعد موته، استمرت رسالة السيد المسيح بكونها جذّابة للنساء. البعض من معارضي المسيحية الأوائل بين الوثنيين، ومن ضمنهم، على سبيل المثال، كليسوس من أواخر القرن الثاني، الذي قابلناه من قبل، شوّه سمعة الدين على أساس أنه مؤلف بشكل كبير من الأطفال، والعبيد، والنساء (وبمعنى آخر: أولئك الذين ليس لهم مقام اجتماعي في المجتمع بشكل عام). ومن المدهش، أن أوريغن، الذي كتب الردّ المسيحي على كليسوس، لم ينكر التهمة بل حاول أن يحولها ضدّ كليسوس في محاولة لإظهار أن الله يمكن أن يأخذ الضعيف ويستثمره بقوّة.

لكنّنا لسنا بحاجة إلى أن ننتظر حتى أواخر القرن الثاني لرؤية أن النساء لعبن دوراً رئيسياً في الكنائس المسيحية القديمة. و نحصل على هذه الفكرة بوضوح من الكاتب المسيحي الأقدم الذي بقيت أعماله، الرسول بولس. تزوّدنا الرسائل البولسية في العهد الجديد بالدليل الكافي على أن النساء كان لديهن مكان بارز في الجاليات المسيحية الصاعدة من أقدم الأوقات. يمكننا أن نأخذ، على سبيل المثال، رسالة بولس إلى أهل روما، حيث يرسل في النهاية التحيات إلى أعضاء مختلفين من التجمع الروماني (إصحاح 16). بالرغم من أن بولس يسمّي رجالاً أكثر من النساء هنا، من الواضح أنّ النساء كان لا ينظر لهن على أنهن أدنى من نظرائهن الذكور في الكنيسة. يذكر بولس فيبي، على سبيل المثال، التي كانت شمّاسة (أو مسؤولة) في كنيسة كنخريا، وراعية بولس الخاصة، التي يأتمنها بمهمّة حمل رسالته إلى روما (vv. 1-2). وهناك بريسكا، التي تعمل سويّة مع زوجها، أكيلا، كمسؤولين عن العمل التبشيري بين الوثنيين واللذين يدعمان تجمعاً مسيحياً في بيتهما (vv. 3-4: الملاحظ أنها تذكر أولاً، قبل زوجها). ثمّ هناك مريم، زميلة بولس التي تعمل بين الرومان (vv.6)؛ هناك أيضا تريفينيا، تريفوسا، وبيرسيس، النساء اللواتي يدعوهن بولس "زملاء عمله" في الإنجيل (vv. 6, 12). وهناك جوليا وأمّ روفوس وأخت نيريوس، جميعهن يبدو أنهن ذوات وضع اجتماعي عالي في الجالية (vv. 13, 15). والأكثر إثارة، هناك جونيا، امرأة يدعوها بولس "الشهيرة بين الرسل" (vv.7). كان من الواضح أن الفرقة الرسولية كانت أكبر من قائمة الاثني عشر رجلاً المألوفين لأكثر الناس.

النساء، باختصار، لعبن دوراً هامّاً في الكنائس في عهد بولس. إلى حدّ ما. هذا البروز كان غير عادي في العالم اليوناني-الروماني. الأمر الذي كان

متجذراً، كما قلت، في إعلان السيد المسيح بأنه في المملكة القادمة سيكون هناك مساواة الرجال والنساء. ويبدو أن هذه كانت رسالة بولس أيضاً، كما يمكننا أن نرى، على سبيل المثال، في إعلانه المشهور في رسالته إلى غلاطية:

"لأن كلكم الذين اعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح. ليس هناك يهودي أو يوناني، ليس هناك عبد ولا حر، ليس هناك ذكر ولا أنثى لأنكم كلكم واحد في المسيح يسوع" (غلاطية 3: 27-28).

لربما ظهرت المساواة في السيد المسيح في العبادة الفعلية في الجاليات البولسية. فبدلاً من أن يكن "سامعات صامتات للكلمة،" يبدو أن النساء كنّ يشتركن في اجتماعات الزمالة الأسبوعية بشكل نشيط، مشاركات، على سبيل المثال، بالصلاة والوعظ، بقدر ما كان يعمل الرجال (رسالة كورنثوس الأولى الإصحاح 11).

في نفس الوقت، قد يبدو للمفسرين الحديثين أنّ بولس لم يأخذ رأيه في العلاقة بين الرجال والنساء في السيد المسيح لما قد يكون استنتاجاً منطقيّاً. فقد طلب، على سبيل المثال، أنه عندما تصلي النساء أو يعظن في الكنيسة يقمن بذلك برؤوس مغطاة، ليظهرن بأنّهن كن "تحت السلطة" (كور. الأولى 11 :3-16، خصوصاً الآية 10). بكلمات أخرى، فإن بولس لم يحرض على ثورة اجتماعية في علاقة الرجال والنساء - كما أنه لم يحرض على إلغاء العبودية، بالرغم من أنّه زعم بأنه في السيد المسيح ليس هناك "لا عبد ولا حرّ." أصرّ بأنه بما أن "الوقت" قصير (حتى مجيء المملكة)، يجب أن يكون كلّ شخص راضياً بالدور الذي أعطي له، وأنه لا ينبغي أن يبحث أحد عن تغيير منزلته - سواء العبد، أو الحر، أو المتزوّج، أو العزب، أو الذكر، أو الأنثى (رسالة كورنثوس الأولى 7: 17-24).

في أحسن الأحوال، عندها، يمكن أن يرى هذا كموقف متناقض نحو دور النساء: لقد كن متساويات في السيد المسيح، وسمح لهن بالمشاركة في حياة الجالية، لكن كنساء، ليس كالرجال (فقد كان يجب، على سبيل المثال، أن لا يزلن أحجبتهن ويظهرن بالتالي كرجال، بدون "سلطة" عليهن). هذه الازدواجية من قبل بولس كان لها تأثير مثير على دور النساء في الكنائس بعد عصره. في بعض الكنائس كانت المساواة في السيد المسيح هي المؤكدة؛ وفي كنائس أخرى كان على النساء أن يبقين خاضعات للرجال. ولذا لعبت النساء في بعض الكنائس أدواراً قيادية مهمة جداً، وفي كنائس أخرى قلّلت أدوارهن و أسكتت أصواتهن. وبقراءة وثائق لاحقة مرتبطة بكنائس بولس، بعد موته، يمكن أن نرى أن النزاعات ظهرت حول دور النساء في الكنائس ككل.

هذا واضح في رسالة كتبت باسم بولس. إن العلماء اليوم عموماً مقتنعون بأنّ رسالة تيموثاوس الأولى لم تكتب من قبل بولس بل من قبل أحد أتباعه من الجيل الثاني. هنا، في أحد المقاطع المشهورة التي تعالج موضوع النساء في العهد الجديد، يقال لنا إن النساء لا ينبغي أن يسمح لهن بتعليم الرجال لأنهن خلقن كتابعات، كما يشير اللّه نفسه في القانون؛ خلق الله حواء لاحقاً، من أجل الرجل؛ و المرأة (المرتبطة بحواء) لا ينبغي أن تحكم لهذا السبب على الرجل (المرتبط بآدم) عبر تعليمه. علاوة على ذلك، طبقاً لهذا المؤلف، يعرف كلّ شخص ما يحدث عندما تلعب امرأة دور المعلّم: فهي تخدع بسهولة (بالشيطان) وتضيِّع الرجل. لذا، يجب على النساء أن يبقين في البيت والفضائل النسوية، يحملن أطفالاً لأزواجهن ويحافظن على تواضعهن. بينما المقطع نفسه يقول:

"لتتعلم المرأة بسكوت في كل خضوع. ولكن لست آذن للمرأة أن تعلّم ولا تتسلط على الرجال بل تكون في سكوت. لأن آدم جبل أولاً ثم حواء. وآدم لم يغوَ لكن المرأة أغويت فحصلت في التعدي. ولكنها ستخلص بولادة الأولاد إن ثبتن في الإيمان والمحبة والقداسة مع التعقل".

(تيموثاوس الأولى 2: 11-15).

هذا يبدو ابتعاداً كبيراً عن وجهة نظر بولس أنه "في السيد المسيح هناك. . . ليس ذكر ولا أنثى." ومع تقدمنا إلى القرن الثاني، تظهر خطوط المعارك مرسومة بشكل واضح. هناك بعض الجاليات المسيحية التي تؤكّد على أهمية النساء وتسمح لهن بلعب أدوار هامّة في الكنيسة، وهناك آخرون يعتقدون أن النساء يجب أن يكنّ صامتات وخاضعات للرجال في المجتمع.

الكتّاب الذين كانوا ينسخون النصوص التي أصبحت الكتاب المقدّس لاحقاً من الواضح أنهم كانوا مشتركين في هذه النقاشات. وأحياناً كان النقاش يؤثر على النصّ المنسوخ، حيث غيّرت مقاطع لعكس وجهات نظر النساخ الذين كانوا يعيدون نسخها. وفي كل مناسبة تقريباً حدث فيها تغيير من هذا النوع كان لكي يحدَّ من دور النساء ولتقليل أهميتهن في الحركة المسيحية. يمكن أن نأخذ هنا بضعة أمثلة.

التعديلات النصّية التي تتضمّن النساء

أحد أهم المقاطع في المناقشة المعاصرة لدور النساء في الكنيسة توجد في رسالة كورنثوس الأولى. حيث يقرأ المقطع في أغلب ترجماتنا الإنجليزية الحديثة كالتالي:

"لأن الله ليس إله تشويش بل إله سلام. كما في جميع كنائس القديسين. لتصمت نساؤكم في الكنائس. لأنه ليس مأذوناً لهن أن يتكلمن بل يخضعن كما يقول الناموس أيضاً. ولكن إن كن يردن أن يتعلمن شيئاً فليسألن رجالهن في البيت لأنه قبيح بالنساء أن تتكلم في كنيسة. أم منكم خرجت كلمة الله. أم إليكم وحدكم انتهت؟"

يبدو أن هذا المقطع عبارة عن أمر واضح ومباشر للنساء أن لا يتكلّمن (ناهيك عن يعلّمن!) في الكنيسة. كما رأينا في رسالة تيموثاوس الأولى الإصحاح 2. كما رأينا، على أية حال، فإن أكثر العلماء مقتنعون أن بولس لم يكتب المقطع في رسالة تيموثاوس الأولى، بل كتب باسمه من قبل كاتب من الجيل الثاني. لا أحد يشك، على أية حال، أن بولس كتب رسالة كورنثوس الأولى. لكن هناك شكوك حول هذا المقطع. فكما يظهر، فإن الآيات موضع السّؤال (vv. 34-35) مخلوطة في بعض من النماذج النصّية المهمة. في ثلاث مخطوطات يونانية ونموذجين لاتينيين، ليست موجودة هنا، بعد الآية 33، لكن لاحقاً، بعد الآية 40. الأمر الذي قاد بعض العلماء للظنّ بأن هذه الآيات لم تكتب من قبل بولس لكن نشأت كنوع من الملاحظات الهامشية أضيفت من قبل ناسخ، من المحتمل تحت تأثير رسالة تيموثاوس الأولى، الإصحاح 2. بعدئذ أدخلت الملاحظة في أماكن مختلفة من النصّ من قبل نساخ مختلفين- البعض وضعوها بعد الآية 33 وآخرون أدخلوها بعد الآية 40.

هناك أسباب جيدة للاعتقاد بأن بولس لم يكتب هذه الآيات أصلاً. أولاً، إنها لا تلائم السياق الفوري. في هذا الجزء من رسالة كورنثوس الأولى 14 ، يعالج بولس قضية الوعظ في الكنيسة، ويعطي أوامر للواعظين المسيحيين

تتعلق بكيفية التصرّف أثناء خدمات العبادة المسيحية. هذا موضوع الآيات 26-33، وهو موضوع الآيات 36-40. فإذا أزيلت الآيات 34-35 من السياق، يبدو المقطع مستمرّاً دون انقطاع مناقشاً دور الواعظين المسيحيين. إنّ مناقشة النساء تبدو عندها، على أنها دخيلة على السياق الفوري، مقتحمة الأوامر التي يعطيها بولس في مسألة مختلفة.

إن هذه الآيات لا تبدو متطفلة على سياق الإصحاح 14، بل تبدو شاذة أيضاً عما كان بولس يقوله بشكل واضح في مكان آخر في رسالة كورنثوس الأولى. حيث إنه في مكان سابق في الكتاب، كما لاحظنا، يعطي بولس تعليماته بشأن كلام النساء في الكنيسة: طبقاً للفصل 11، عندما يصلّين ويعظن -النشاطات التي كانت دائماً تقام جهراً في خدمات العبادة المسيحية- يجب أن يحرصن على وضع أحجبة على رؤوسهن (11: 2-16). في هذا المقطع، الذي لا يشكّ أحد في أن بولس كتبه، من الواضح أنّ بولس يفهم أن النساء كن يستطعن الكلام في الكنيسة و أنهن كن يقمن بذلك. بينما يحرّم "بولس" بشكل واضح الكلام على النساء مطلقاً في المقطع المتنازع عليه في الإصحاح 14. من الصعب التوفيق بين وجهتي النظر هاتين - إمّا أن بولس سمح للنساء بالكلام (مع تغطية رؤوسهن، الإصحاح 11) أو لا (الإصحاح 14). و بما أنه يبدو من غير المعقول أن نعتقد أن بولس يناقض نفسه بأسرع ما يمكن ضمن الفراغ القصير بين ثلاثة إصحاحات، فيظهر أن الآيات موضع النقاش لا تصدر من بولس.

وهكذا واستناداً إلى مجموعة من الأدلة -عدّة مخطوطات تخلط أماكن الآيات، السياق الأدبي الفوري، والسياق ككل في رسالة كورنثوس الأولى - يظهر أن بولس لم يكتب (كورنثوس الأولى 14: 34-35). يجب أن يفترض المرء،

عندها، أن هذه الآيات هي تعديل نسخي على النصّ، وضع أصلاً، ربما، كملاحظة هامشية، ثم وضع في النصّ نفسه في مرحلة مبكرة من نسخ رسالة كورنثوس الأولى. لا شك أن التعديل وضع من قبل ناسخ كان يهمه أن يؤكّد بأنّ النساء يجب ألا يكون لهن دور عامّ في الكنيسة، بأنّهن يجب أن يكن صامتات وخاضعات لأزواجهن. ثم دمجت هذه النظرة في النص نفسه، بواسطة تعديل نصّي.

يمكن أن نأخذ أمثلة موجزة من النوع نفسه. يحدث أحدها في مقطع ذكرته مسبقاً في رسالة بولس إلى روما، الإصحاح 16. حيث يتكلم بولس عن جونيا ورجل يفترض أنه زوجها أندرونيكوس ويدعوهما "بالشهيرين بين الرسل" (الآية 7). إن هذه آية مهمة، لأنها الآية الوحيدة في العهد الذي يشار فيها إلى امرأة على أنها واحدة من الرسل. لقد انبهر المفسرون كثيراً بهذا المقطع لدرجة أنهم أصروا على أنه لا يمكن أن يعني ما جاء فيه. وبذلك ترجموا الآية دون الإشارة إلى امرأة تدعى جونيا بل إلى رجل يدعى يونياس الذي يمدح مع شريكه أندرونيكوس على أنهما من الرسل. إن المشكلة في هذه الترجمة أنه في حين كان اسم جونيا اسماً شائعاً بين النساء، فليس هناك دليل في العالم القديم على أن "يونياس" كان اسم رجل. إن بولس يشير إلى امرأة تدعى جونيا، ولكن الترجمات الإنكليزية (ربما كان يجب أن تتحقق من نسختك!) ما زالت تشير إلى هذه الرسولة الأنثى على أنها رجل يدعى يونياس.

بعض النساخ أيضاً كان لديهم مشكلة في كون امرأة بين الرسل لذا قاموا بهذا التغيير الصغير في النص ليتلافوا هذه المشكلة. ففي بعض المخطوطات بدلاً من يقال: "حيوا أندرونيكوس وجونيا أقربائي وشركائي في السجن

الشهيرين بين الرسل" غيِّر النص ليصبح: "حيوا أندرونيكوس وجونيا أقربائي وحيوا أيضاً زملائي في السجن المشهورين بين الرسل". ومع تغيير النص لا يعود هناك حاجة إلى القلق من أن امرأة ستدخل دائرة الرسل المكونة من الرجال.

هناك تغيير مماثل من قبل النساخ الذين نسخوا كتاب أعمال الرسل حيث نعلم في الإصحاح 17 أن بولس وشريكه في التبشير سيلاس كانا يعظان في تسالونيكي مبشرين بإنجيل المسيح لليهود في المعبد المحلي. ويقال لنا في الآية 4 إن الثنائي قاما بتحويلات مهمة: "واقتنع بعضهم وانضموا إلى بولس وسيلاس، وكذلك عدد من اليونان الأتقياء مع عدد كبير من النسوة البارزات".

إن فكرة كون النسوة بارزات -ناهيك عن كونهن متحولات بارازات- كانت أكثر ما يمكن لبعض النساخ احتماله، ولذا غير النص في بعض المخطوطات ليصبح: "واقتنع بعضهم وانضموا إلى بولس وسيلاس، وكذلك عدد من اليونان الأتقياء، وعدد كبير من زوجات رجال بارزين". والآن فإن الرجال هم البارزون وليس الزوجات المهتديات.

بين شركاء بولس في كتاب أعمال الرسل كان زوج وزوجة –أكيلا وبرسيلا- وعندما يذكران أحياناً فإن الكاتب يذكر اسم الزوجة أولاً كما لو أن لها مكانة خاصة سواء كان ذلك في العلاقة أم في المهمة المسيحية (كما حدث في رسالة روما 3: 16 أيضاً حيث دعيت بريسكا)، فلا عجب أن بعض النساخ استاؤوا من هذا التسلسل لذا عكسوه وبذلك حصل الرجل على حقه بأن ذكر اسمه أولاً: أكيلا وبرسيلا بدلاً من برسيلا وأكيلا.

بالمختصر فقد كان هناك نزاعات في القرون الأولى للكنيسة حول دور النساء وتسللت هذه النزاعات أحياناً إلى عملية نقل نص العهد الجديد نفسه،

حيث غير النساخ النصوص ليجعلوها توافق أكثر وجهات نظرهم (بتحديد) دور النساء في الكنيسة.

اليهود ونصوص الكتاب المقدس

لقد ناقشنا حتى الآن عدة جدالات كانت داخلية بالنسبة للمسيحية الأولى -جدالات حول طبيعة المسيح ودور النساء في الكنيسة- ورأينا كيف أثرت على النساخ الذين كانوا ينسخون النصوص المقدسة. إن هذه لم تكن النوع الوحيد في الجدالات التي كان المسيحيون منخرطين فيها. فإن الجدالات مع الذين هم من خارج الدين كانت مؤثرة للموجودين فيها ومهمة لنا هنا، اليهود والوثنيون الذين عارضوا المسيحيين والتحموا معهم في جدالات هجومية عنيفة. ولعبت هذه الجدالات أيضاً دوراً في نقل نصوص الكتاب المقدس. ويمكننا أن نبدأ بدراسة الجدالات التي قام بها المسيحيون مع اليهود غير المسيحيين.

النزاع بين اليهود والمسيحيين

إن إحدى سخريات القدر في بداية المسيحية هي أن المسيح نفسه كان يهودياً، عبد الإله اليهودي وحافظ على العادات اليهودية وفسر الشريعة اليهودية وكان لديه تلاميذ يهود قبلوه على أنه المخلص اليهودي المنتظر. ومع ذلك شكل أتباع المسيح بعد عدة عقود من موته ديناً وقف ضد اليهودية. كيف انتقلت المسيحية من كونها طائفة يهودية إلى دين معادٍ لليهود بهذه السرعة؟

إن هذا سؤال صعب. والإجابة عنه بشكل كاف تتطلب كتاباً خاصاً به. يمكنني على الأقل أن أعطي لمحة تاريخية عن نهوض النزعة المعادية لليهودية في بداية المسيحية التي مهدت الطريق بسياق مناسب للنساخ المسيحيين الذين غيروا نصوصهم بشكل عرضي بطريقة معادية لليهود.

إن السنوات العشرين الأخيرة قد شهدت انفجاراً للأبحاث في تاريخ المسيح. وكنتيجة لذلك هناك مجال واسع من الآراء عن كيفية فهم المسيح بأفضل شكل ممكن -كحاخام ثوري اجتماعي، سياسي متمرد، فيلسوف كلبي*، نبي يتنبأ بنهاية العالم: وتستمر الآراء دون نهاية. إن الشيء الذي يتفق عليه معظم الباحثين -على كل حال- أنه مهما كان فهم المرء لاتجاه مهمة المسيح الرئيسي، فإنه يجب أن يوضع في سياقه الخاص، يهودي فلسطيني من القرن الأول. مهما كان فإن المسيح كان يهودياً بعمق، بكل شيء -وكذلك كان أتباعه. وفي وقت ما -ربما قبل موته ولكن الأرجح بعده- بدء أتباع المسيح يعتقدون أنه هو المخلص اليهودي المنتظر. إن مصطلح المخلص المنتظر كان مفهوماً بشكل مختلف من قبل اليهود في القرن الأول، ولكن الشيء الوحيد المشترك بين كل اليهود عندما يفكرون بالمسيح المنتظر هو أنه صورة للكبرياء السلطة وأنه سيقوم بطريقة ما- بإقامة جيش يهودي، أو بقيادة ملائكة سماوية- بالانتصار على أعداء إسرائيل، ويؤسس إسرائيل كدولة يمكن أن يحكمها الله نفسه (ربما عن طريق وكيل بشري). إن المسيحيين الذين دعوا يسوع بالمسيح قد عانوا الأمرين في إقناع الآخرين بزعمهم هذا، لأنه بدلاً من أن يكون محارباً قوياً أو حاكماً سماوياً، كان معروفاً عن المسيح أنه واعظ متجول كان خارجاً عن القانون وصلب كمجرم وضيع.

* الكلبي هو واحد من مجموعة فلاسفة يونان آمنوا بأن الفضيلة هي الخير الأوحد وبأن جوهرها ضبط النفس (المورد)

كان من المضحك لليهود أن يدعوا يسوع بالمسيح. إن يسوع لم يكن القائد القوي لليهود. لقد كان نكرة ضعيفاً معدوم الحيلة- أعدم بأشد الطرق التي اخترعها الرومان، أصحاب القوة الحقيقية، إذلالاً وألماً. ولكن المسيحيين أصروا، على كل حال، أن يسوع هو المسيح، وأن موته لم يكن خطأً في تنفيذ العدالة أو حدثاً غير متوقع، بل كان عملاً إلهياً، وقد جلب بواسطته الخلاص للعالم.

ماذا كان على المسيحيين أن يفعلوا عند مواجهتهم لمشكلات في إقناع اليهود بادعاءاتهم عن المسيح؟ لم يكن بإمكانهم بالطبع الاعتراف أنهم كانوا على خطأ. وإذا لم يكونوا مخطئين فمن هو المخطئ؟ وبدأ المسيحيون في بداية تاريخهم بالإصرار على أن اليهود الذين رفضوا رسالتهم كانوا متمردين وعمياناً، وأنهم برفضهم رسالة المسيح فإنهم يرفضون الخلاص المرسل من الإله اليهودي نفسه.

كان بعض هذه الادعاءات يصدر عن أقدم كاتب مسيحي، الرسول بولس. في أول رسالة باقية له، مكتوبة إلى المسيحيين في تسالونيكي يقول بولس:

" فإنكم أيها الأخوة صرتم متماثلين بكنائس الله التي في اليهودية في المسيح يسوع لأنكم تألمتم أنتم أيضاً من أهل عشيرتكم تلك الآلام عينها كما هم من اليهود. الذين قتلوا الرب يسوع وأنبياءهم واضطهدونا نحن وهم غير مرضيين لله وأضداد لجميع الناس" (رسالة تسالونيكي الأولى 2:14-15).

إن بولس كان يعتقد أن اليهود رفضوا رسالة المسيح لأنهم كانوا يعتقدون أن موقفهم الخاص أمام الله مرتبط بحقيقة أنهم يملكون ويحافظون على الشريعة

التي أعطاهم إياها الله (روما 10:3-4). عند بولس، على كل حال، فإن الخلاص قد جاء لليهود وكذلك للأمم غير اليهودية ليس بالشريعة بل بالإيمان بموت وقيامة المسيح (روما 21:3-22). وبالتالي فإن الحفاظ على الشريعة لا دور له في الخلاص، لذا فإن غير اليهود الذين اتبعوا المسيح قد أفهموا أنهم لن يحسنوا موقفهم أمام الله باتباعهم الشريعة. حيث يجب أن يبقوا كما هم ولا يتحولوا إلى يهود (غلاطية 15:2-16).

كان لمسيحيين أوائل آخرين رأي مختلف -كما كانوا يفعلون إزاء كل مسألة يومية! متّى على سبيل المثال، بدا مقتنعاً أنه على الرغم من أن موت وقيامة المسيح يجلب الخلاص فإن أتباعه سيحافظون على الشريعة بشكل تلقائي كما فعل المسيح نفسه (متى 17:5-20). وفي نهاية الأمر أصبح الرأي السائد هو أن المسيحيين مختلفون عن اليهود، حيث إن اتباع الشريعة اليهودية لا يؤثر على الخلاص وأن الانضمام إلى اليهود يعني الاندماج مع الناس الذين رفضوا إلههم نفسه.

مع انتقالنا إلى القرن الثاني نجد أن اليهودية والمسيحية أصبحتا دينين متمايزين تماماً، يملكان مع ذلك الكثير ليقولاه أحدهما للآخر. وجد المسيحيون أنفسهم، في الواقع، في مشكلة نوعاً ما. لأنهم اعترفوا بيسوع على أنه المسيح المنتظر من قبل الكتب المقدسة اليهودية، ولكي يكسبوا مصداقية في عالم يقدر كل ما هو قديم ويشك في كل جديد على أنه صرعة مريبة، استمر المسيحيون في الإشارة إلى الكتب المقدسة -تلك النصوص اليهودية القديمة- على أنها أساس معتقداتهم. وكان ذلك يعني أن المسيحيين ادعوا أن الكتاب المقدس اليهودي لهم. ولكن أليس الكتاب المقدس اليهودي خاصاً باليهود؟ بدأ المسيحيون يصرون على أن اليهود لم يزدروا

مسيحهم المنتظر وبالتالي رفضوا إلههم فحسب بل إنهم أخطؤوا في تفسير نصوصهم أيضاً. وهكذا نجد كتابات مسيحية كتلك المدعوة برسالة برنابا، كتاب اعتبره المسيحيون الأوائل جزءاً من العهد الجديد، وهو يؤكد أن اليهودية كانت دائماً ديناً كاذباً، وأن اليهود قد ضللوا من قبل ملاك شرير لتفسير الشرائع التي أعطيت لموسى على أنها قوانين حرفية لكيفية العيش، في حين أنها يجب أن تفسر مجازياً.

أخيراً نجد المسيحيين يوبخون اليهود بأقسى أوصاف ممكنة بسبب رفضهم ليسوع على أنه المسيح، مع وجود كتّاب مثل جاستن الشهيد مدعين أن السبب وراء طلب الله من اليهود أن يختنوا هو لتعليمهم كشعب خاص يستحق أن يضطهد. ونجد كتاباً مثل ترتوليان وأوريغن يدعون أن القدس دمرت من قبل الإمبراطورية الرومانية عام 70م عقاباً لليهود، الذين قتلوا مسيحهم وكتاب مثل ميلتيو من ساردیس يناقش أن اليهود بقتلهم المسيح فإنهم في الواقع مذنبون بقتل الله.

"انتبهوا يا عائلات كل الأمم وانظروا! لقد وقعت جريمة قتل غير عادية في مركز القدس، المدينة المكرسة لشريعة الله، في مدينة العبرانيين، في مدينة الأنبياء، في المدينة التي يعتقد أنها عادلة. ومن القتيل؟ ومن القاتل؟ أنا محرج من الإجابة ولكن يجب أن أجيب. إن الذي علق الأرض في الفضاء، قد علق هو نفسه. إن الذي وضع السماء في مكانها قد سُمِّر. إن الذي ثبت كل شيء بإحكام قد ثبت هو نفسه بإحكام إلى خشبة. إن الرب قد أهين، الله قد قتل، ملك إسرائيل دمر باليد اليمنى لإسرائيل" (Pascal Homily 94-96).

من الواضح أن قطعنا شوطاً طويلاً من يسوع اليهودي الفلسطيني الذي حافظ على العادات اليهودية ووعظ مواطنيه اليهود وعلم تلاميذه اليهود المعنى الحقيقي للشريعة اليهودية. فبحلول القرن الثاني، عندما كان النساخ المسيحيون ينسخون النصوص التي ستصبح فيما بعد العهد الجديد، كان معظم المسيحيين وثنيين سابقين، من غير اليهود تحولوا إلى الإيمان وفهموا أنه على الرغم من كون هذا الدين مستنداً بشكل مطلق على الإيمان بالإله اليهودي كما يوصف في الكتاب المقدس اليهودي، فإنه مع ذلك كان ديناً معادياً لليهود بشكل كلي في توجهه.

التغييرات المعادية لليهود في النص

إن نزعة معاداة اليهود لدى بعض النساخ في القرنين الثاني والثالث لعبت دوراً في كيفية نقل نصوص الكتاب المقدس، وأحد أقدم الأمثلة موجود في رواية لوقا عن الصلب حيث يقال إن المسيح قد صلى لأجل أولئك المسؤولين:

" وعندما وصلوا إلى المكان الذي يقال له "الجمجمة" صلبوه هناك مع المجرمين واحد عن يمينه والآخر عن يساره. وقال المسيح: " يا أبت! اغفر لهم لأنهم لا يعرفون ماذا يفعلون" (لوقا 23:33-34).

وكما يبدو فإن هذه الصلاة ليست موجودة في كل مخطوطاتنا، إنها مفقودة في أقدم النماذج اليونانية، بردية تدعى P^{75}، التي تعود إلى عام 200م تقريباً. وعدد من النماذج عالية الجودة من القرن الرابع وما بعد، وفي نفس الوقت فإن هذه الصلاة موجودة في Codex Sinaiticus وعدد كبير من المخطوطات من ضمنها أغلب تلك المنسوخة في القرون الوسطى. وبالتالي فإن السؤال هو: هل قام ناسخ (أو عدد من النساخ) بحذف هذه الصلاة من المخطوطة

التي تحويها أصلاً؟ أم أن ناسخاً (أو نساخاً) قام بإضافتها إلى مخطوطة لم تكن تحويها أصلاً؟

لقد انقسم الباحثون لفترة طويلة بشأن هذا السؤال، لأن الصلاة مفقودة في أقدم وبعض أفضل النماذج؟ ولم يكن هناك نقص في عدد العلماء الذين ادعوا أن هذه الصلاة لا تنتمي أصلاً إلى النص. وكانوا أحياناً يلجؤون إلى مناقشة مستندة على دليل داخلي. كما أشرت فإن كاتب إنجيل لوقا هو نفسه كاتب أعمال الرسل ويمكن إيجاد مقطع مشابه لهذا في أعمال الرسل في رواية أول شهيد مسيحي-استفانوس- الشخص الوحيد الذي وصف إعدامه بشكل مطول في أعمال الرسل. لأن استفانوس اتهم بالتجديف، ورجم حتى الموت من قبل جماعة من اليهود الغاضبين وقبل أن يموت صلى قائلاً: "يا رب! لا تحفظ هذه الخطيئة ضدهم" (أعمال 60:7).

ناقش علماء أن ناسخاً ما لم يرد أن يكون المسيح أقل مسامحة من شهيده الأول -استفانوس- أضاف الصلاة إلى إنجيل لوقا، بحيث أصبح المسيح أيضاً يطلب المغفرة للذين أعدموه. إن هذه حجة ذكية، ولكنها ليست مقنعة ككل، لأسباب عدة. الأكثر أهمية هو: عندما يحاول النساخ أن يناغموا بين مقطعين فإنهم يقومون بذلك عادةً عن طريق تكرار الكلمات نفسها في المقطعين. وفي هذه الحالة لا نجد كلمات متطابقة، بل مجرد تشابه في الصلاة. إن هذا ليس التناغم الذي يقوم به النساخ عادةً.

من المدهش في تزامنه مع هذه الفكرة هو أن لوقا الكاتب نفسه يخرج عن طريق ليظهر الشبه بين ما حدث للمسيح في الإنجيل وما حدث لأتباعه في الأعمال، فكل من المسيح وأتباعه قد تعمّدوا وقد استقبلوا الروح القدس في تلك اللحظة، وقد نقلوا البشارة، ونبذوا من أجلها وعانوا على يد

القيادات اليهودية. وهكذا إن ما يحدث للمسيح في الإنجيل يحدث لأتباعه في أعمال الرسل، ولذا لن يكون من المدهش(بل هو متوقع) أن يقوم أحد أتباع المسيح الذي أعدم من قبل السلطات الغاضبة أن يصلي من أجل غفران الذين أعدموه.

هناك أسباب قوية للاعتقاد بأن صلاة المسيح للغفران هي أصلية في لوقا 23 لأنه وفي إنجيل لوقا وأعمال الرسل يوجد تشديد أنه على الرغم من كون المسيح بريئاً (مثل أتباعه) فإن أولئك الذين كانوا يعملون ضده كانوا يقومون بذلك عن جهل كما يقول بطرس في الإصحاح الثالث من أعمال الرسل: "أنا أعرف أنكم بجهالة عملتم" (الآية 17) أو كما يقول بولس في الإصحاح 17 من أعمال الرسل: "لقد تغاضى الرب عن أوقات الجهل" وهي بالتحديد ما يقوله المسيح في صلاته "لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون" وعندما يبدو أن نص إنجيل لوقا 34:23 كانت جزءاً أصلياً من النص فلماذا يرغب ناسخ (أو عدد من النساخ) بحذفها؟ وهنا يصبح فهم شيء عن السياق التاريخي الذي كان يعمل ضمنه النساخ مهماً. وقد يتساءل القراء اليوم لأجل من صلى المسيح؟ أكان يصلي للرومان الذين أعدموه وهم جاهلون؟ أم كان يصلي لأجل اليهود الذين أسلموه إلى الرومان؟ كيفما أجبنا عن هذا السؤال في محاولة لتفسير هذا المقطع اليوم فإن كيفية تفسيره في بداية الكنيسة كانت واضحة. ففي كل مناسبة نوقشت فيها هذه الصلاة في إحدى كتابات آباء الكنيسة كان من الواضح أنها صدرت بالنيابة عن اليهود وليس بالنيابة عن الرومان لقد كان المسيح يطلب الغفران من الله للشعب اليهودي (أو القادة اليهود) الذين كانوا مسؤولين عن موته.

يمكن الآن أن تتضح رغبة بعض النساخ في حذف هذه الآية، المسيح يصلي من أجل المغفرة لليهود؟ كيف يعقل ذلك؟ كان هناك عند المسيحيين الأوائل مشكلتان مع هذه الآية إذا أخذت بهذه الطريقة، الأولى هي تساؤلهم كيف يصلي المسيح للمغفرة لهؤلاء الناس المتمردين الذين رفضوا الرب نفسه بكامل إرادتهم؟ إن ذلك كان غير مفهوم من قبل المسيحيين. وأكثر من ذلك هو أن عدداً من مسيحيي القرن الثاني كانوا مقتنعين أن الله لم يسامح اليهود لأنهم آمنوا أنه سمح بأن تدمر أورشليم (القدس) كما أشرت سابقاً عقاباً لليهود على قتل المسيح. وكما يقول أوريغن: "من الحق أن تدمر المدينة التي عانى فيها المسيح كل هذه المعاناة وأن تدمر الأمة اليهودية" (ضد كليسوس 22.4).

إن اليهود كانوا يعرفون تماماً ما كانوا يفعلونه. ومن الواضح أن الرب لم يغفر لهم ومن هذا المنطلق لم يكن من المنطقي أن يطلب المغفرة لهم. بما أنه لم يكن هناك مغفرة فماذا كان على النساخ أن يفعلوا بهذا النص الذي يصلي فيه المسيح "اغفر لهم يا أبت لأنهم لا يعرفون ماذا يفعلون"؟ لقد تعاملوا مع المشكلة ببساطة باستئصال النص، وبالتالي لم يعد المسيح يطلب المغفرة لليهود.

هناك مقاطع أخرى حيث كان لمشاعر النساخ المسيحيين الأوائل المعادية لليهود تأثير على النصوص التي كانوا ينسخونها. وواحد من أهم المقاطع على النهوض الكلي لمعاداة السامية هو مشهد محاكمة المسيح في إنجيل متى. فوفق الرواية أعلن بيلاطس براءة المسيح وغسل يديه ليعلن "أنا بريء من دم هذا الرجل، تصرفوا أنتم" وعندها أصدر الحشد اليهودي صرخة لعبت دوراً مخيفاً في أعمال العنف ضد اليهود في القرون الوسطى حيث تحملوا المسؤولية على موت المسيح "دمه علينا وعلى أولادنا".

إن الاختلاف النصي الذي يهمنا يحدث بعد هذه الآية، حيث يقال إن بيلاطس جلده ثم أسلمه ليصلب. إن أي شخص يقرأ النص سيظن بشكل طبيعي أنه أسلمه لجنوده (الرومان) ليصلب، إن ما يجعل الأمر صادماً أكثر هو أنه في بعض النماذج الأولى -ومن ضمنها إحدى التصحيحات النسخية لـ Codex Sinaiticus- غير النص ليزيد من ملامة اليهود في موت المسيح. فحسب هذه المخطوطات "أسلمه بيلاطس لهم" أي بمعنى آخر لليهود لكي يصلبوه وبهذا أصبحت مسؤولية اليهود عن صلب المسيح مطلقة، وهو تغيير حفزته مشاعر معادية لليهود لدى المسيحيين الأوائل.

إن التغييرات المعادية لليهود تكون أحياناً صغيرة ولا تلفت الانتباه حتى يفكر المرء فيها. ففي رواية الولادة في إنجيل متى يقال ليوسف أن يسمي ابن مريم المولد يسوع (أي الخلاص) لأنه سيخلص شعبه من خطاياهم" (متى 1:21) ومن المدهش أنه في إحدى المخطوطات السريانية المحفوظة فإن النص يقول بدلاً من ذلك "لأنه سيخلص العالم من خطاياه" ويبدو هنا أيضاً أن الناسخ لم يكن مرتاحاً لفكرة خلاص اليهود.

يحدث تغيير مشابه في إنجيل يوحنا في الإصحاح 4 حيث يتكلم المسيح مع المرأة السامرية ويقول لها: "أنت تعبدين ما لا تعرفينه، نحن نعبد ما نعرفه لأن الخلاص يأتي من اليهود" (آية 22) وقد غير النص في بعض المخطوطات اللاتينية والسريانية، فأصبح المسيح يقول "إن الخلاص يأتي من اليهودية". وبكلمات أخرى فإن اليهود لم يجلبوا الخلاص للعالم بل موت المسيح في منطقة اليهودية هو الذي قام بذلك، ونشك مجدداً أن مشاعر معادية لليهود هي التي حفزت هذا التغيير النسخي.

إن المثال الأخير في هذا النقد الموجز يأتي من Codex Bizae من القرن الخامس التي تحتوي على تغييرات مهمة أكثر من أية مخطوطة أخرى في لوقا، الإصحاح السادس، حيث يتهم الفريسيون المسيح وتلاميذه بخرق شريعة السبت (الآية 1-4). نجد في Codex Bizae قصة إضافية مؤلفة من آية واحدة "رأى في اليوم نفسه رجلاً يعمل يوم السبت فقال له: يا رجل! إذا كنت تعرف ما أنت فاعل فأنت مبارك ولكن إن لم تعلم فأنت ملعون مخلّ بالشريعة". إن التفسير الكامل لهذا المقطع غير المعهود قد يتطلب تحقيقاً كبيراً، ولكن بالنسبة لأهدافنا يكفي أن نعلق أن المسيح صريح جداً في هذا المقطع على غير عادته في أي مكان آخر من الأناجيل. عندما يتهم المسيح في أماكن أخرى بكسر قانون السبت فإنه يدافع عن نشاطاته، ولكنه لا يشير أبداً إلى أن قانون السبت يجب أن يخرق، وهنا يعلن المسيح أن كل من يخرق قانون السبت وهو يعرف السبب فهو مبارك لفعله ذلك، أما الذين لا يفهمون سبب ذلك فهم مخطئون. ويبدو أن هذا التغيير أيضاً مرتبط بموجة معاداة اليهودية في بداية الكنيسة.

الوثنيون ونصوص الكتاب المقدس

لقد رأينا الآن أن الجدالات حول التعاليم الصحيحة وإدارة الكنيسة (دور المرأة في الكنيسة) وكذلك النزاعات بين الكنيسة والمعابد اليهودية، حيث لعبت المشاعر الكنسية المعادية لليهود دوراً في كيفية نقل النساخ للنصوص التي ستصبح فيما بعد نصوص كتاب العهد الجديد. إن المسيحيين في القرون الأولى لم يجدوا أنفسهم في منافسة ضد مهرطقين داخليين ويهود خارجيين فحسب، بل محاربين من قبل للعالم كله، عالم كان معظمه مؤلفاً من وثنيين.

إن كلمة وثني في هذا السياق عندما تستخدم من قبل علماء التاريخ لا تحمل معنى سلبياً. إنها تشير ببساطة إلى أي شخص من العالم القديم كان يتبع واحدة من الديانات العديدة متعددة الآلهة في ذلك العصر. وبما أن ذلك لا يتضمن أي شخص كان يهودياً أو مسيحياً فنحن نتكلم عن حوالي 90-93% من عدد سكان الإمبراطورية. كان المسيحيون يعارضون أحياناً من قبل الوثنيين بسبب شكل عبادتهم الغريب وقبولهم للمسيح على أنه ابن الله الذي مات على الصليب ليجلب الخلاص. وكانت هذه المعارضات تؤثر أحياناً على النساخ الذين كانوا يعيدون نسخ نصوص الكتاب المقدس.

المعارضات الوثنية للمسيحيين

تظهر سجلاتنا القديمة أن المسيحيين كانوا يتعرضون أحياناً لمعارضات من قبل السلطات أو الجماعات الوثنية. ويذكر الرسول بولس في تعداد لمعاناته من أجل المسيح أنه في ثلاث مرات ضرب بالعصي (كور. الأولى 25:11) وهو إجراء مستخدم من قبل السلطات المحلية الرومانية ضد المجرمين الذين يعتبرون خطراً على المجتمع. وكما رأينا فإن بولس قد كتب في رسالته الأولى عن معاناة الجماعات المسيحية من غير اليهود في تسالونيكي: "فإنكم أيها الأخوة صرتم متمثلين بكنائس الله التي في اليهودية في المسيح يسوع. لأنكم تألمتم أنت أيضاً من أهل عشيرتكم تلك الآلام عينها كما هم أيضاً من اليهود". (تسالونيكي الأولى 3:11) في الحالة الثانية يبدو أن الاضطهاد لم يكن رسمياً ولكن كان نتيجة عنف من قبل بعض الجماعات الغاضبة.

في الواقع فإن معظم معارضات الوثنيين للجماعات المسيحية في قرني الكنيسة الأولين كانت تحدث على مستوى محلي وليست نتيجة لاضطهاد روماني رسمي منظم. على عكس ما يعتقد معظم الناس لم يكن هناك شيء

غير قانوني في المسيحية بذاتها في تلك السنوات الأولى. إن المسيحية لم تكن جرماً بحد ذاتها، ولم يكن المسيحيون مضطرين للاختباء. إن فكرة أنهم اضطروا إلى البقاء في سراديب لكي يتجنبوا الاضطهاد أو فكرة أنهم كانوا يحيي بعضهم بعضاً بإشارات سرية كرمز السمكة ليست سوى أساطير. لم يكن هناك شيء غير قانوني في اتباع المسيح ولم يكن هناك شيء غير قانوني في عبادة الرب اليهودي. ولم يكن هناك شيء غير قانوني بأن يدعوا المسيح إلهاً، ولم يكن هناك شيء غير قانوني (في معظم الأماكن) بإقامة اجتماعات منفصلة للعبادة. ولم يكن هناك شيء غير قانوني بأن تقنع آخرين بإيمانك بالمسيح كابن الله.

ومع ذلك كان المسيحيون يضطهدون أحياناً فما سبب ذلك؟

لفهم أسباب اضطهاد المسيحيين لا بد أن يكون لدينا خلفية عن الأديان الوثنية في الإمبراطورية الرومانية. كل هذه الأديان-وكان هناك مئات منها- كانت متعددة الآلهة تعبد آلهة متعددة، وكانت كلها تشدد على عبادة هذه الآلهة بطقوس وعبادات وصلوات. ولم تكن هذه الآلهة تعبد لتؤمن للمتعبدين حياة أبدية هانئة، بل كان معظم الناس مهتمين بالحياة الحالية التي كانت بالنسبة لمعظم الناس قاسية وخطرة على أفضل اعتقاد. كانت الآلهة باعتقادهم قادرة على تزويدهم بما كان مستحيلاً أن يؤمنوه بأنفسهم، نمو المحاصيل، ازدياد القطعان، مطر كافٍ، الصحة والرفاه، الخصوبة، النصر في الحروب والازدهار في السلم. كانت الآلهة تحمي الدولة وتجعلها عظيمة وتتدخل في الحياة وتجعلها قابلة للعيش. وكانت تقوم بذلك مقابل أعمال بسيطة من العبادة. عبادة على مستوى الدولة باحتفالات تكريم الآلهة وعبادة على المستوى المحلي في المجتمعات والعائلات.

عندما كانت تسوء الأمور، أي عندما يكون هناك تهديد بالحرب أو جفاف أو مجاعة أو أمراض فإن ذلك يعتبر إشارة على أن الآلهة ليست راضية عن تكريمها. ومن سيلام في هذه الأوقات على هذا الفشل؟ من الواضح أنهم أولئك الذين يرفضون أن يعبدوا تلك الآلهة أي المسيحيين.

إن اليهود لم يكونوا يعبدون تلك الآلهة. ولكنهم كانوا يعتبرون استثناء لحاجة الآلهة أن يعبدها جميع الناس. بما أن اليهود كانوا شعباً مميزاً وكان لديهم تقاليدهم السلفية الخاصة التي يتبعونها بدقة. وعندما ظهر المسيحيون في الصورة فإنهم لم يعتبروا أناساً مميزين فقد كانوا متحولين من اليهودية أو من مجموعة كبيرة من الأديان الوثنية دون صلات قربى فيما بينهم وأي صلات أخرى عدا المعتقدات والممارسات الدينية الخاصة بهم. بالإضافة إلى ذلك فقد عرف عنهم أنهم غير اجتماعيين يجتمعون لوحدهم في مجتمعاتهم الخاصة تاركين عائلاتهم وهاجرين أصدقاءهم السابقين وغير مشاركين في احتفالات العبادة الجماعية.

فكان المسيحيون يضطهدون لأنهم يعتبرون أذى على صحة المجتمع، لأنهم توقفوا عن عبادة الآلهة التي تحمي المجتمع، ولأنهم يعيشون سوية بطريقة تبدو أنها معادية للمجتمعات. وعندما كانت المصائب تحل، أو عندما كان الناس يخشون حلول المصائب فمن كان المتهم الرئيسي غير المسيحيين؟

نادراً ما كان الحكام الرومان في المناطق المختلفة أو حتى الإمبراطور نفسه ينخرطون في هذه النزاعات. وعندما كانوا يتدخلون فقد كانوا يعاملون المسيحيين ببساطة على أنهم مجموعات اجتماعية خطرة يجب سحقها. كان المسيحيون يعطون عادةً فرصة لتخليص أنفسهم عن طريق عبادة الآلهة

بالطرق التي تطلب منهم (بتقديم بعض البخور لإله ما على سبيل المثال) فإذا رفضوا كانوا يعتبرون مشاغبين متحدّين ويعاملون على هذا الأساس.

في منتصف القرن الثاني بدء المفكرون الوثنيون بملاحظة المسيحيين ومهاجمتهم في مقالات موجهة ضدهم. لم تصف هذه الأعمال المسيحيين أنفسهم بطريقة سلبية بل سخرت من معتقداتهم (على سبيل المثال ادعاءهم بأنهم يعبدون إله اليهود، ولكنهم يرفضون اتباع الشريعة اليهودية). وافتروا على ممارساتهم بأنها فاضحة، وبالنسبة للنقطة الثانية فإن المسيحيين كانوا يجتمعون أحياناً تحت جنح الظلمة ينادي بعضهم بعضاً بأخ أو أخت وتحيتهم بالقبل، إنهم يعبدون ربهم بأكل جسد ابن الله وشرب دمه فماذا يمكن للمرء أن يتصور عن هذه الممارسات؟ إذا كان بإمكانك تخيل الأسوأ لن تكون بعيداً عن الصورة. فقد ادعى الوثنيون أن المسيحيين كانوا يمارسون سفاح قربى طقسي (ممارسات جنسية بين أخوة وأخوات) وقتل الأطفال (قتل الابن) وأكل لحوم البشر (أكل لحمه وشرب دمه). قد تبدو هذه التهم مستحيلة اليوم، ولكن في مجتمع يحترم الحشمة والانفتاح كانت تبدو مقبولة جداً، ولذا اعتبر المسيحيون على أنهم جماعات شريرة.

في الهجومات الفكرية كان هناك تركيز ملحوظ على مؤسس هذا المعتقد الجديد والمرفوض اجتماعياً المسيح نفسه. أشار الكتاب الوثنيون إلى أصله الفقير ومرتبته الاجتماعية المتدنية ليسخروا من المسيحيين الذين يعتقدون أنه جدير بالعبادة على أنه كائن إلهي.

كان يقال إن المسيحيين يعبدون بغباء مجرماً مصلوباً مؤكدين أنه إله بشكل ما. وقام بعض من هؤلاء الكتاب بدءاً من القرن الثاني بقراءة الأدب

المسيحي لكي يستطيعوا بناء كتاباتهم بشكل أفضل. وكما قال الناقد الوثني كليسوس بما يتعلق بأساسات هجومه على المعتقدات المسيحية:

"إن هذه الاعتراضات تأتي من كتاباتكم الخاصة ولسنا بحاجة إلى أدلة أخرى لأنكم تزودوننا بالحجج اللازمة لنقدكم".

وكانت هذه الكتابات تعتبر أحياناً مثاراً للسخرية كما جاء في كلمات بورمزي الوثني.

"لقد كان الإنجيليون كتاب خيال ولم يكونوا مراقبين أو شهود عيان على حياة المسيح. كل من الأربعة يتناقض في رواياته عن أحداث معاناته وصلبه".

وكرد على هذا النوع من الهجوم ادعى الوثني كليسوس أن النساخ المسيحيين غيروا نصوصهم للتغلب على هذه المشكلات الواضحة للغاية بالنسبة لشخص خارجي مدرب بشكل جيد. *"يذهب بعض المؤمنين كما لو أنهم في نوبة شرب إلى أبعد ما يمكن ويعارضون أنفسهم ويغيرون النصوص الأصلية للأناجيل ثلاث أو أربع أو عدة مرات ويغيرون من شخصيته ليمكنوا أنفسهم من إنكار صعوبات في وجه النقد".*

كما يتبين فنحن لسنا بحاجة إلى أن نستند على خصم وثني للمسيحية لنجد أدلة على أن النساخ غيروا نصوصهم في بعض الأحيان على ضوء المعارضات الوثنية للإيمان، هناك أماكن في المخطوطات الباقية لدينا من العهد الجديد تظهر هذا الميل لدى النساخ في العمل.

قبل أن آخذ بعض المقاطع المتعلقة بهذا الموضوع يجب أن أذكر أن هذه التهم ضد المسيحية ومؤسسها لم تمض دون رد من الطرف المسيحي، بل على

العكس عندما بدأ بعض المفكرين بالدخول إلى المسيحية بدءاً من منتصف القرن الثاني بدأت تصدر عدة ردود تدعى بالدفاعات مكتوبة بأقلام مسيحية وبعض هؤلاء المؤلفين المسيحيين معروفون لطلاب المسيحية الأولى مثل جاستين الشهيد وترتوليان وأوريغن وهناك آخرون أقل شهرة، ولكنهم مع ذلك جديرون بالملاحظة في دفاعهم عن الإيمان من ضمنهم كتاب مثل أثيناغوراس أريستيدز والكاتب المجهول لرسالة إلى ثيوغنيتوس. وعمل هؤلاء الباحثون المسيحيون بشكل جماعي ليظهروا القياس الخاطئ في مناقشات خصومهم الوثنيين مناقشين أنهم بعيداً عن كونهم خطراً اجتماعياً فإن المسيحيين هم الصمغ الذي يحفظ المجتمع متماسكاً، مصرين على أن الإيمان بالمسيح لم يكن منطقياً فحسب، بل كان هو الإيمان الوحيد الحقيقي الذي رآه العالم قائلين إن المسيح كان في الواقع ابن الله الحقيقي الذي جلب موته الخلاص، مكافحين ليدافعوا عن طبيعة الكتابات المسيحية الأولى بأنها موحاة وحقيقة.

كيف أثرت هذه الحركة الدفاعية على النساخ في القرنين الثاني والثالث الذين كانوا ينسخون النصوص؟

تغييرات دفاعية في النص

على الرغم من أنني لم أذكرها في وقتها فقد رأينا واحداً من التغييرات التي تبدو أنها أجريت من قبل النساخ لأسباب دفاعية كما رأينا في الفصل الخامس. فإن إنجيل مرقس (41:1) أن المسيح عندما اقترب منه مجذوم أراد أن يشفى غضب المسيح ومد يده ولمسه وقال"ابرأ" وجد النساخ أنه من الصعب أن يعزوا شعور الغضب للمسيح، ولذا عدلوا النص ليقول إن المسيح "شعر بالتعاطف مع الرجل".

لربما كان من المحتمل أن الذي أثر على النساخ كان أكثر من رغبة بسيطة لجعل مقطع صعب أسهل على الفهم إن إحدى النقاط المستمدة في الجدال بين النقاط الوثنيين والمسيحية ومفكريها المدافعين تتعلق بتصرفات المسيح وفيما إذا كان يتصرف بطريقة جديرة بمن يدعي أنه ابن الله. وأشدد على أن الجدال لم يكن حول إمكانية كون كائن بشري إلهاً في الوقت نفسه. إن تلك النقطة هي إحدى النقاط التي اتفق عليها الوثنيون والمسيحيون اتفاقاً تاماً حيث إن الوثنيون أيضاً يعرفون قصصاً عن كائنات إلهية أصبحت بشراً وتعاملت مع آخرين هنا على الأرض. إن السؤال كان فيما إذا كان المسيح قد تصرف بطريقة تسوغ الظن أنه شيء من هذا القبيل أو فيما إذا كانت سلوكياته وتصرفاته تزيل إمكانية كونه ابن الله.

لقد كان منتشراً في ذلك الوقت بين الوثنيين الاعتقاد بأن الآلهة ليست عرضة لهذه المشاعر التافهة ونزوات الفانين العاديين، وأنها كانت في الواقع أسمى من هذه الأشياء. فكيف يمكن للمرء عندئذ أن يعلم فيما إذا كان الفرد كائناً إلهياً أم لا؟ من الواضح أنه كان يجب أن يظهر قوى فكرية أو جسدية تفوق قدرات البشر، ولكنه يجب أن يتصرف بطريقة تتناغم مع ادعائه أنه كائن من العالم السماوي.

إن لدينا عدداً من الكتاب من هذه الفترة الذين يصرون على أن الآلهة لا تغضب لأنه شعور بشري محفز من الإحباط من قبل الآخرين، أو من إحساسهم بكونهم خاطئين، أو لأسباب تافهة أخرى. لقد كان بإمكان المسيحيين أن يدعوا أن الإله كان غاضباً بسبب سوء تصرفات شعبه، ولكن الإله المسيحي كان أيضاً أسمى من أي نوع من النكد. في هذه القصة عن المسيح والمجذوم لم يكن هناك أي سبب لغضب المسيح. وبما أن ظروف تغيير

النص كانت في فترة كان فيها المسيحيون والوثنيون يتناقشون فيما إذا كان المسيح بتصرفه جديراً بكونه إلهاً فإنه من المحتمل أن النساخ غيروا النص على ضوء هذا الجدال، وبكلمات أخرى قد يكون هذا واحداً من التغييرات الدفاعية.

هناك تغيير مماثل يأتي بعد عدة إصحاحات من إنجيل مرقس في رواية معروفة يتعجب فيها أبناء بلدة المسيح من كيفية تعليمه بهذه الطريقة وتأديته لهذه الأعمال المدهشة، ويصفونها قائلين: "أليس هذا النجار ابن مريم وأخو يعقوب ويوسي ويهوذا وسمعان أو ليست أخواته ههنا عندنا" (مرقس 3:6) وتعجبوا من كيفية تأديته لهذه الأعمال. قد كبر معهم ويعرفون عائلته كلها كيف بات - قادراً على هذه الأشياء كلها؟

إن هذا هو المقطع الوحيد في العهد الجديد دعي فيه المسيح بالنجار. إن الكلمة المستخدمة (TEKTON) تستخدم بشكل عادي في نصوص يونانية أخرى لأي شخص يصنع أشياء بيديه حيث يقال إن المسيح كان يصنع بوابات وأسيجة يجب أن لا نفكر به على أنه شخص يصنع أثاثات جيدة. إن أفضل طريقة لنفهم هذا المصطلح هو تقريبه إلى شيء أقرب إلى فهمنا، إن ذلك يشبه تسمية المسيح بعامل بناء. كيف يمكن لشخص بهذه الخلفية أن يدعى ابن الله؟

إن هذا هو السؤال الذي أخذه خصوم المسيحية على محمل الجد. في الواقع فقد فهموا السؤال على أنه سؤال بلاغي لا يمكن للمسيح أن يكون ابن الله إذا كان مجرد عامل عادي. إن الناقد الوثني كليسوس سخر من المسيحيين بشكل خاص بشأن هذه النقطة رابطاً بين أنه دعي نجاراً، وأنه صلب على خشبة، وإيمان المسيحيين بشجرة الحياة يقول:

" ويتكلمون في كل مكان في كتاباتهم عن شجرة الحياة أتصور أن ذلك بسبب أن سيدهم سمّر إلى خشبة وكان نجاراً بحرفته ، بحيث أنه إذا صدف أنه رمي من أعلى جرف أو دفع إلى حفرة أو قتل شنقاً أو إذا كان يعمل كإسكافي أو بناء أو حداد فإنه سيكون عندئذ جرف الحياة فوق السماوات أو حفرة القيامة أو حبل الخلود أو حجرة مقدسة أو حديد حب أو جلداً مقدساً ألن تخجل امرأة عجوز تهدهد لطفل لينام بأن تهمس بحكايا كهذه" .

إن خصم كليسوس المسيحي أوريغن كان عليه أن يأخذ هذه التهم الموجهة ضد المسيح على أنه مجرد نجار عادي بجدية ، ولكنه تعامل معها بطريقة غريبة ليس عن طريق تفسيرها (إجراءه الطبيعي) بل عن طريق إنكارها بالكامل يقول : "إن كليسوس أعمى بالنسبة لهذا الموضوع أيضاً أنه لم يذكر في أي من الأناجيل الموجودة في الكنيسة على أن المسيح وصف على أنه نجار".

ماذا نستنتج من هذا الإنكار إما أن أوريغن نسي إنجيل مرقس (3:6) أو أنه كان لديه نسخة من النص لا تشير إلى أن المسيح كان نجاراً. وهناك مخطوطات تحتوي على هذا التغيير. وفي إحدى النسخ الأولى من مخطوطات إنجيل مرقس والتي تدعى P^{45} والتي يعود تاريخها إلى أوائل القرن الثالث (نص أوريغن) وفي عدة نسخ لاحقة فإن الآية تقرأ بشكل مختلف حيث يسأل أهل بلد يسوع : "أليس هذا ابن النجار؟" وهكذا أصبح يسوع ابن نجار بدلاً من كونه نجاراً.

كما أن أوريغن كان لديه أسباب دفاعية أن يسوع دعي في أي مكان من الأناجيل بالنجار فإنه من المحتمل أن ناسخاً قام بتغيير النص ليجعله أكثر

شبهاً بمقطع (متى 55:13) لكي يدحض التهم الوثنية أن المسيح لا يمكن أن يكون ابن الله لأنه كان - وبعد كل شيء عاملاً عادياً من الطبقة الدنيا.

هناك آية أخرى يبدو أنها غيرت لأسباب دفاعية في (لوقا 32:23) وهي تناقش صلب المسيح. إن ترجمة الآية في النسخة المراجعة القياسية للعهد الجديد تقرأ: "وجاؤوا أيضاً باثنين آخرين مذنبين ليقتلا معه" ولكن الطريقة التي صيغت بها هذه الآية باليونانية يمكن أن تترجم أيضاً "اثنين آخرين كانا مجرمين أيضاً واقتيدا ليقتلا معه" آخذين بعين الاعتبار غموض النص اليوناني فليس من الغريب أن يجد بعض النساخ ضرورة - لأسباب دفاعية- لإعادة ترتيب الكلمات ليزيلوا غموضها ويقولوا إن الاثنين الآخرين كانا مجرمين، وليس يسوع.

هناك تغييرات نصية أخرى كانت تبدو أنها أجريت بسبب رغبة النساخ ليظهروا أن يسوع لا يمكن -كابن لله- أن يخطئ في تصريحاته بشأن المستقبل (بما أن ابن الله سيكون عارفاً بكل ما سيحدث ويمكن أن يكون هذا هو السبب الذي قاد إلى التغيير الذي ناقشناه سابقاً في (متى 36:24) حيث يصرح يسوع أنه "لا يوجد من يعرف اليوم والساعة التي ستأتي فيها النهاية لا الملائكة من السماء ولا الابن بل الأب وحده" فتحذف جملة "ولا الابن" من عدد من المخطوطات وليس من الصعب معرفة السبب. إذا لم يكن يسوع يعرف المستقبل فإن ادعاء المسيحيين بأنه كائن إلهي سيكون مفضوحاً.

يأتي مثال أقل وضوحاً بعد ثلاثة إصحاحات في إنجيل متى في مشهد الصلب حيث يقال لنا في (متى 34:27) إنه عندما كان المسيح على الصليب أعطي نبيذاً ممزوجاً مع المر ليشرب، إن عدداً كبيراً من المخطوطات تشير إلى أنه لم يكن نبيذاً بل كان خلاً قد يكون هذا التغيير قد وضع ليؤكد قرب النص من

المقطع القديم المقتبس ليفسر هذا الفعل من (مزامير 22:69) ولكن قد يتساءل المرء إذا ما كان هناك سبب آخر دفع النساخ للقيام بذلك، من المثير للاهتمام أنه في العشاء الأخير في (متى 29:26) وبعد توزيع كأس النبيذ على تلاميذه صرح المسيح أنه لن يشرب الخمر بعد ذلك حتى يشربه في مملكة الأب، فهل كان هذا التغيير في (34:27) من نبيذ إلى خل بهدف حماية ذلك التنبؤ بأنه فعلاً لم يتذوق النبيذ بعد قوله إنه لن يفعل؟

يمكن أن نعتبر تغيير نبوءة المسيح للكاهن الأعظم اليهودي عند محاكمته في (مرقس 62:14) عندما سأله إذا ما كان هو المسيح الابن المبارك فرد يسوع: "أنا هو وسوف ترى ابن الإنسان جالساً عن يمين الأب، آتياً على غمام السماء". لقد اعتبر الباحثون المعاصرون أنه يجسد قولاً حقيقياً للمسيح. ولقد كان يعتبر غير مريح لعدد كبير من المسيحيين منذ قرب نهاية القرن الأول لأن ابن الإنسان لم يأت على سحاب السماء فلم تنبأ المسيح بأن سيراه؟ إن الجواب التاريخي هو أن المسيح اعتقد أن الكاهن الأعلى سيراه أي أنه سيكون في حياته ومن الواضح أنه في دفاعات من القرن الثاني أن هذه النبوءة اعتبرت خاطئة. لذا لا عجب أن أقدم نماذج عن إنجيل مرقس قد عدلت تلك الآية جاعلة إياه تقول إن المسيح أخبر الكاهن الأعظم أنه سيرى ابن الإنسان جالساً عن يمين الأب على غمام السماء دون ذكر لمجيء قريب لشخص لم يأتِ في الواقع.

يبدو أن هناك عدداً من المقاطع في مخطوطاتنا الباقية تجسد اهتمامات دفاعية للمسيحيين الأوائل، وخاصة تلك المتعلقة بمؤسس إيمانهم يسوع نفسه. كما هو الحال في النزاعات اللاهوتية في الكنيسة الأولى، فإن السؤال حول دور المرأة والجدالات مع اليهود والنزاعات بين المسيحيين وكارهيهم المتحضرين

من الوثنيين أثرت كلها على النصوص الموجودة في الكتاب الذي ندعوه الآن بالعهد الجديد بينما كان هذا الكتاب-أو مجموعة الكتب- ينسخ من قبل نساخ غير محترفين، وغيّر أحياناً على ضوء سياق عصرهم.



واحدة من أشهر وأكثر صفحات المخطوطات زخرفة في الوجود بداية إنجيل يوحنا من أناجيل Latin Lindisfarne (الساحل الشمالي الشرقي نورث هامبرلاند، انكلترا)

خاتمة

تغيير النص

نساخ، ومؤلفون وقراء

بدأت هذا الكتاب بملاحظة شخصية أصف فيها كيف بدأ اهتمامي بمسألة العهد الجديد ولماذا أخذ هذا الاهتمام مني، أعتقد أن الذي جذب اهتمامي على مدى السنين كان الغموض ككل. إن عمل النقاد النصيين يشبه عمل المحققين بعدة طرق. هناك مشكلة يجب أن تحل ودليل ينبغي أن يكشف، وعادةً ما يكون الدليل غامضاً قابلاً للتفسير بعدة طرق مختلفة، ويجب أن تبنى القضية على حل مسألة فوق أخرى.

كلما زدت في دراسة مخطوطات العهد الجديد أدركت التغييرات المتطرفة التي خضعت لها على يد النساخ الذين كانوا يغيرون الكتاب المقدس بالإضافة إلى الحفاظ عليه. ولنكن واثقين أنه من بين مئات آلاف التغييرات النصية الموجودة في مخطوطاتنا فإن معظمها غير مهم أو أساسي، ولا يشكل أهمية حقيقية لأي شيء سوى إثبات أن النساخ كانوا غير قادرين على التهجئة أو الحفاظ على تركيزهم أفضل من أي شخص منا. ولكن سيكون من الخطأ أن نقول إن التغييرات في النص ليس لها تأثيرات على النصوص أو على الاستنتاجات اللاهوتية التي يستنتجها منها المرء. ولكن كما رأينا في الواقع فإن العكس صحيح حيث يكون المعنى الحقيقي للنص في بعض الحالات على المحك اعتماداً على حل المشكلة النصية؛ هل كان المسيح رجلاً

غضوباً؟ هل كان ذاهلاً عند مواجهة الموت؟ هل أخبر أتباعه أنهم يستطيعون شرب السم دون أن يصيبهم أذى؟ هل ترك زانية دون عقاب موجهاً لها تنبيهاً بسيطاً؟ هل تعليم الثالوث موجود فعلاً في العهد الجديد؟ وهل يدعى المسيح بالابن الوحيد هناك؟ وهل يشير العهد الجديد إلى أن المسيح لا يعرف متى تأتي النهاية؟ وتستمر الأسئلة. وكل منها متصل بكيفية حل الصعوبات في المخطوطات كما وصلت إلينا.

يجب التكرار هنا أن القرارات التي يجب أن تتخذ ليست واضحة على الإطلاق وأن علماء أكفاء ذوي ذكاء عال ونوايا حسنة يصلون أحياناً إلى استنتاجات متضادة عندما ينظرون إلى الدليل نفسه. إن هؤلاء الباحثين ليسوا مجموعة من الأكاديميين الغريبين المسنين وغير ذوي الصلة والعالقين في عدة مكتبات حول العالم. إن بعضهم ذو تأثير عال على المجتمع والثقافة. إن الإنجيل دون ريب هو أكثر كتاب مهم في الحضارة الغربية. وكيف تظن أننا وصلنا إلى الإنجيل؟ من الصعب أن يقول أحدهم إنه قرأ الإنجيل بلغته الأصلية، وحتى من قاموا بذلك فقلة منهم من ألقى نظرة على مخطوطة ناهيك عن مجموعة من المخطوطات. إن بعض الأشخاص قد عانوا الأمرين في تعلم اللغات القديمة (اليونانية، العبرية، السريانية، القبطية، اللاتينية) وأمضوا حياتهم المهنية فاحصين المخطوطات، مقررين ما كان الكاتب في العهد الجديد يريد قوله بالفعل. وبكلمات أخرى فإن بعضهم قد عانى الأمرين للقيام بالنقد النصي لإعادة إنشاء نص العهد الجديد مستنداً على مجموعة من المخطوطات التي تختلف واحدتها عن الأخرى في آلاف من الأماكن. ثم أخذ شخص آخر هذا النص اليوناني الذي أجريت عليه التعديلات النصية وترجمه إلى الإنكليزية وهو ما تقرأه في تلك الترجمة

الإنكليزية أنت وملايين الأشخاص مثلك. وكيف يعرف هؤلاء الأشخاص ما الموجود في العهد الجديد؟ إنهم يعرفون لأن باحثين ذوي أسماء، وهويات ومؤهلات وميول وآراء، ونظريات لاهوتية غير معروفة أخبروهم ما هو موجود في العهد الجديد. ولكن ماذا لو أن المترجمين قد ترجموا النص الخاطئ؟ لقد حدث ذلك من قبل. إن نسخة الملك جيمس مملوءة بالأماكن التي استند فيها المترجمون على نص يوناني مأخوذ بالكامل من مخطوطة إيراسموس التي استندت على مخطوطة واحدة من القرن الثاني عشر وهي تعد واحدة من أسوأ المخطوطات الباقية لدينا اليوم. فلا عجب أن الترجمات المعاصرة تختلف عن ترجمة الملك جيمس. ولا عجب أن يكون الناس المؤمنون بالإنجيل يفضلون الاعتقاد أنه ليس هناك أي مشكلة بما أن الله قد أوحى إنجيل الملك جيمس بدلاً من الإنجيل اليوناني (كما يقول القول المأثور القديم: إذا كان الملك جيمس جيداً كفاية بالنسبة للقديس بولس فإنه جيد كفاية بالنسبة لي).

على كل فإن الواقع ليس بهذا الجمال. وفي هذه الحالة يجب أن نواجه الحقائق. إن إنجيل الملك جيمس ليس موحى من قبل الله، ولكنه ترجمة من قبل مجموعة من الباحثين في أوائل القرن السابع عشر وقد استندت ترجمتهم على نص يوناني خاطئ. استند مترجمون لاحقون في ترجمتهم على نصوص يونانية كانت أفضل، ولكنها لم تكن ممتازة. حتى الترجمة التي بين يديك تأثرت بهذه المشكلات النصية التي ناقشناها، سواء كنت تقرأ النسخة الجديدة الدولية، أو النسخة المراجعة القياسية أو النسخة الجديدة المراجعة القياسية أو النسخة الأمريكية القياسية الجديدة أو إنجيل الملك جيمس الجديد أو إنجيل أورشليم أو إنجيل البشارة أو شيئاً آخر. فهذه

كلها مستندة على نصوص غيرت في عدة أماكن. وهناك بعض الأماكن تتابع الترجمات المعاصرة فيها نقل ما يمكن أن يكون جزءاً غير أصلي من النص (مرقس 1 : 41 ، عبرانيين 9:2). هناك بعض الأماكن حيث لا نعرف ما هو النص الأصلي فيها، أماكن لا يزال علماء ذوو عقلية جبارة ومدرَّبون بشكل مدهش على النقد النصي يتجادلون حولها، وعدد من الباحثين -لأسباب رأيناها في الفصل الثاني- قد يئسوا من التفكير في منطقية الكلام عن نص أصلي.

أنا شخصياً أعتبر أن هذا الرأي فيه شطط. أنا لا أعني أنني أنكر أن هناك صعوبات قد تكون غير قابلة للحل في إعادة بناء النص الأصلي، فعلى سبيل المثال: إذا كان بولس يملي رسالته إلى غلاطية، وأخطأ ناسخ سماع كلمة لأن شخصاً سعل في الغرفة، فإن النص الأصلي عندئذ سيحوي على كلمة خاطئة. لقد حدثت أشياء أغرب من هذا. ومع ذلك -على الرغم من الصعوبات غير الموزونة- فإن لدينا مخطوطات من كل كتاب من العهد الجديد، وكل هذه المخطوطات نسخت من مخطوطات أخرى مخطوطات أقدم، وهي بدورها نسخت من أخرى أقدم منها. ولا بد أن تنتهي هذه السلسلة في مكان ما يمكن أن يكون عند المخطوطة التي كتبها الكاتب نفسه أو ناسخ كان يكتب المخطوطة الأصلية الأولى في سلسلة طويلة من المخطوطات التي نسخت لأكثر من 15 قرناً حتى اختراع الطباعة. لهذا فإنه ليس من غير المنطقي أن نتكلم عن نص أصلي.

عندما كنت أعود دائماً إلى حقيقة أنه مهما قلنا عن النساخ المسيحيين -سواء كانوا في القرون الأولى أو الوسطى- يجب أن نعترف أنه بالإضافة إلى نسخ نصوص الكتاب المقدس فقد كانوا يغيرون تلك النصوص أحياناً، لم يكن

ذلك بقصدهم. فقد كانوا ببساطة متعبين أو غير منتبهين أو ببساطة غير أكفاء. وفي أحيان أخرى كانوا يقومون بذلك عن عمد عندما أرادوا أن تشدد النصوص على ما كانوا يؤمنون به هم أنفسهم على سبيل المثال حول طبيعة المسيح أو عن دور المرأة في الكنيسة أو الشخصية الخبيثة لخصومهم اليهود.

هذا الاعتقاد أصبح حقيقة بالنسبة لي بشكل متزايد كلما ازددت دراسة للنص. وهذا اليقين غيّر الطريقة التي فهمت بها النصوص بأكثر من طريقة واحدة.

وعلى الأخص كما قلت في البداية. بدأت أرى العهد الجديد على أنه كتاب بشري جداً وعرفت أن العهد الجديد الذي نملك كان نتاج أيادٍ بشرية، أيادي نساخ نقلوه. ثم بدأت أرى أنه ليس النص المنسوخ فحسب، بل النص الأصلي نفسه كان كتاباً بشرياً جداً أيضاً، الأمر الذي كان يعارض بشدة نظرتي للنص في أواخر مراهقتي كأحد المسيحيين "المولودين الجدد" مقتنعاً أن الكتاب المقدس كان كلام الله المعصوم عن الخطأ وأن الكلمات الإنجيلية نفسها قد وصلتنا من وحي الروح القدس. وكما أدركت في الجامعة أنه حتى لو أن الله قد أوحى بالكلمات الأصلية فنحن لا نملك الكلمات الأصلية. لذا فإن تعاليم الوحي كانت بطريقة ما غير متصلة بالإنجيل الذي نملكه بما أن كلمات الله الموحاة قد غيرت وضاعت في بعض الأحيان. بالإضافة إلى ذلك بدأت أعتقد أن وجهات نظري الأولى بالوحي لم تكن غير ذات صلة فحسب، بل كانت على الأغلب خاطئة لسبب وحيد (الذي فكرت فيه) هو أنه إذا كان الله قد أوحى بالإنجيل فإن ذلك بسبب رغبته أن يملك الناس كلماته الحقيقية. ولكن إذا كان يريد فعلاً أن يملك الناس كلماته

الحقيقية فإنه بالتأكيد كان سيحافظ على هذه الكلمات بشكل إعجازي كما أنه أوحى بها بشكل إعجازي في البداية. ونظراً إلى أنه لم يحافظ على هذه الكلمات فإن الاستنتاج الذي لا بد منه بدا لي أنه لم يوحِ بها في الأصل.

كلما قلبت رأيي أكثر في هذه المسائل أرى أن مؤلفي العهد الجديد كانوا مشابهين لحد بعيد للنساخ الذين نقلوا كلمات هؤلاء المؤلفين. إن المؤلفين أيضاً كانوا كائنات بشرية ذات حاجات ومعتقدات ووجهات نظر وآراء ومحبة وكره ورغبات وأشواق وأوضاع وصعوبات. وبالتأكيد فإن كل هذه الأشياء أثرت على ما كتبوه. وبالإضافة إلى ذلك وبطريقة ملموسة أكثر فإن هؤلاء الكتاب كانوا مثل النساخ اللاحقين لقد كانوا أيضاً مسيحيين ورثوا روايات عن المسيح وتعاليمه، وتعلموا عن الرسالة المسيحية للخلاص، وآمنوا بصحة الإنجيل. وهم أيضاً قاموا بتمرير تلك الروايات في رواياتهم. إن الصادم عندما يرى المرء هؤلاء الكتاب على أنهم كائنات بشرية بكل معتقداتهم وآرائهم.... وهكذا، فإن كل هؤلاء الكتاب قد مرروا الروايات التي ورثوها بكلمات مختلفة. فمتّى في الواقع ليس مماثلاً تماماً لمرقس، ومرقس لا يشبه لوقا، ولوقا ليس كيوحنا، ويوحنا ليس كبولس، وبولس ليس كيعقوب. وكما أن النساخ عدلوا كلمات رواياتهم بتغيير هذه الكلمات بكلمات أخرى، كذلك كان مؤلفو العهد الجديد نفسه يخبرون الروايات ويعطون تعليماتهم ويسجلون ذكرياتهم باستخدام كلماتهم الخاصة (لا الكلمات التي سمعوها فقط)، كلمات كانوا يؤلفونها ليوصلوا رسالتهم بطرق تبدو مناسبة للشعب والزمان والمكان الذي كانوا يكتبون فيه.

هكذا بدأت أرى أنه بما أن كل كاتب من هؤلاء كان مختلفاً فإنه ليس من المناسب أن أعتقد أن كل واحد منهم كان يعني الأشياء نفسها كما يعنيها

كاتب آخر. كما أنه ليس من العدل أن أقول إن ما أعنيه في هذا الكتاب يجب أن يكون الشيء نفسه الذي يعنيه كاتب آخر يكتب عن النقد النصي في كتابه أو كتابها. يمكن أن نعني أشياء مختلفة، كيف لك أن تعرف؟ يمكنك ذلك فقط بقراءة كل من الكتابين بانتباه ورؤية ما يعنيه كل منا، وليس بالافتراض أن كلاً منا يعني الشيء نفسه. فنحن في الغالب نقول أشياء مختلفة.

الشيء نفسه ينطبق على كتاب العهد الجديد، وذلك يمكن أن يرى بطريقة ملموسة جداً كما أشرت سابقاً في هذا الكتاب. فإنه كان من الواضح لمعظم الباحثين منذ القرن 19 أن مرقس كان أول إنجيليٍّ كتب وأن متى ولوقا استخدما هذا الإنجيل كواحد من مصادر رواياتهم عن المسيح. ومن جهة فليس هناك أي شيء متطرف بشأن هذا الادعاء. إن الكتاب عليهم أن يجدوا قصصهم في مكان ما، ولوقا نفسه يشير إلى أنه قد قرأ واستخدم روايات سابقة في كتابة رواياتهم الخاصة (1:1-4). ومن جهة أخرى فإن ذلك يعني أنه من الممكن أن تقارن بين إنجيل مرقس وبين أناجيل متى ولوقا في أية قصة مشتركة بينهم. وبالقيام بذلك يمكن للمرء أن يرى كيف غير إنجيل مرقس من قبل هذين الكاتبين اللاحقين.

إن الانخراط في هذا النوع المختلف من أعمال المحققين يمكن أن يكون أيضاً مثيراً ومنوراً. لأن هؤلاء الكتاب اللاحقين استعاروا أحياناً جمل مرقس كاملة، ولكن غيروا ما كان يقوله في مناسبات أخرى بشكل جذري أحياناً. وبهذا المنطق فهم مثل النساخ كانوا يغيرون الكتاب المقدس. لقد رأينا أمثلة في أثناء دراستنا. إن مرقس على سبيل المثال يصور يسوع في ألم عميق في وجه الموت حيث يخبر تلاميذه أن نفسه "حزينة حتى الموت" ساجداً على وجهه أثناء الصلاة وطالباً من الله ثلاث مرات أن يبعد عنه كأس العذاب

وفي طريقه ليصلب كان صامتاً طوال الوقت، ولم يقل شيئاً على الصليب عندما سخر منه الجميع ومن ضمنهم اللصان، حتى النهاية عندما يصرخ بألم "إلهي إلهي لم تركتني". ثم يصرخ صرخة عظيمة، ويموت.

كانت هذه النسخة من القصة متوافرة للوقا، ولكنه عدلها بشكل ملحوظ. فقد حذف تعليق مرقس أن المسيح كان ذاهلاً بشدة، وكذلك تعليق المسيح أن نفسه "حزينة حتى الموت" وبدلاً من السجود على وجهه فإن المسيح يركع، وبدلاً من الترجي ثلاث مرات لتبعد الكأس فإنه يطلب مرة بادئاً الصلاة بـ "إذا كنت تشاء". ولم يكن صامتاً على الإطلاق في الطريق ليصلب ولكنه يتكلم مع مجموعة من النسوة الباكيات قائلاً لهن ألا يحزنّ من أجله بل "من أجل المصير الذي سيصيبهن". وعندما صلب لم يكن صامتاً، ولكن يطلب من الله أن يغفر للمسؤولين عن ذلك لأنهم "لا يعرفون ماذا يفعلون". وبينما هو على الصليب لم يكن صامتاً أيضاً عندما سخر منه أحد اللصين (وليس كليهما كما في مرقس) فإن الآخر يطلب مساعدته، ويرد عليه المسيح بكامل الثقة "الحق أقول لك اليوم ستكون معي في الفردوس" وفي النهاية بدلاً من أن يسأل الله لِمَ تركه - ليس هناك نداء تجاهل هنا - بل يصلي بكل ثقة لرعاية الله "يا أبت، بين يديك أستودع روحي".

لقد غير لوقا الرواية. وإذا أردنا أن نفهم ما يريد التركيز عليه فنحن بحاجة إلى أن نأخذ هذه التغييرات على محمل الجد. إن الناس لا يأخذون هذه التغييرات على محمل الجد، كما رأيت عندما يتظاهرون أن لوقا يقول الشيء نفسه الذي يقوله مرقس. مرقس أراد أن يشدد على نداء النسيان ويأس المسيح في وجه الموت، إن المفسرين يختلفون في تفسيراتهم عن سبب هذا ما كان مرقس يريد التشديد عليه. إحد التفسيرات يقول أن مرقس أراد أن

يشدد على أن الله يعمل بطرق غامضة جداً. وأن ذلك العذاب الذي يستحيل تفسيره (حيث يبدو المسيح في النهاية على شفا الشك بقوله "لم تركتني؟") يمكن في الواقع أن يكون طريقاً للخلاص أراد لوقا أن يعلم درساً مختلفاً. عنده فإن المسيح لم يكن ذاهلاً بل كان هادئاً ومسيطراً على نفسه عارفاً ما كان سيحدث له وما سيحدث لاحقاً (اليوم تكون معي في الفردوس"). وينقسم المفسرون مرة أخرى في سبب تصوير لوقا للمسيح في مواجهة الموت بهذه الطريقة. ولكن يمكن أن يكون لوقا قد أراد أن يضرب المثلا للمسيحيين المضطهدين على الكيفية التي يجب أن يواجهوا بها الموت بثقة تامة أن الله إلى جانبهم على الرغم من عذابهم ("بين يديك أستودع روحي").

إن النقطة هنا هي أن لوقا قد غير الرواية التي ورثها. ويكون القراء مخطئين تماماً في تفسير إنجيل لوقا إذا فشلوا في إدراك هذا، كما يحدث عندما يفترضون أن مرقس ولوقا يتحدثان بالطريقة نفسها عن المسيح. إذا كانا لا يقولان الشيء نفسه فإنه من غير المنطقي أن نفترض أنهما يقولان الشيء ذاته. على سبيل المثال بأخذ ما يقوله مرقس وأخذ ما يقوله لوقا ثم أخذ ما يقوله متى ويوحنا وجمعها سوية، وبذلك يصبح المسيح يقول ويفعل كل هذه الأشياء التي تشير إليها كل من كتاب الأناجيل. إن أي شخص يفسر الأناجيل بهذه الطريقة فإنه لا يترك مجالاً لكل مؤلف أن يقول ما يريده. وأي شخص يقوم بذلك فإنه لا يقرأ ما كتبه المؤلف في سبيل أن يفهم رسالته، وأي شخص لا يقرأ الأناجيل نفسها فإنه يؤلف إنجيلاً جديداً مؤلفاً من الأناجيل الأربعة في العهد الجديد إنجيل لا يشبه أياً من الأناجيل التي وصلتنا.

إن فكرة أن لوقا غيّر النص الذي أمامه -بهذه الحالة إنجيل مرقس- لا تضعه في وضع فريد بين مؤلفي المسيحية الأوائل. إن هذا في الواقع هو ما قام به كل كتاب العهد الجديد، بالإضافة إلى كل مؤلفي كل الأدب المسيحي خارج العهد الجديد، وكذلك الكتاب من كل نوع في كل مكان. إنهم يعدلون رواياتهم ويعيدون من صياغتها بطريقتهم الخاصة. إن إنجيل يوحنا مختلف تماماً عن كل الأناجيل الأخرى (فهو لا يقول إن المسيح كان يروي أمثالاً أو يخرج الشياطين. وروايته على عكس الروايات الأخرى فإن المسيح يلقي خطابات طويلة عن هويته ويقوم بإشارات ليبرهن أن ما يقوله عن نفسه صحيح) إن رسالة بولس تشبه ولا تشبه ما نجده في الأناجيل (إنه لا يقول الكثير عن كلمات المسيح أو أفعاله، ولكنه يركز على المسائل الهامة والأساسية بالنسبة لبولس أن المسيح مات على الصليب وقام من بين الأموات). إن رسالة يعقوب تختلف عن رسالة بولس، ورسالة بولس تختلف عن رسالة الأعمال، ورسالة رؤيا يوحنا تختلف عن رسالة إنجيل يوحنا. وهكذا كل من هؤلاء الكتاب كان إنساناً، وكل منهم كان له رسالة مختلفة، وكل منهم كان يروي الرواية التي ورثها بكلماته الخاصة، وكل منهم كان يغير النصوص التي ورثها نوعاً ما.

هذا بالطبع هو ما كان النساخ يقومون به أيضاً. ولكن من سخرية القدر أن النساخ كانوا يغيرون نصوص الكتاب المقدس بشكل أقل جذرية من مؤلفي العهد الجديد أنفسهم. عندما جهز لوقا إنجيله واستخدم إنجيل مرقس كمصدر له لم يكن في نيته أن ينسخ إنجيل مرقس للأجيال اللاحقة، لقد خطط أن يغير إنجيل مرقس على ضوء الروايات الأخرى التي قرأها أو سمعها عن المسيح. إن النساخ اللاحقين الذين كانوا ينسخون المخطوطات

من جهة أخرى كانوا مهتمين أساساً بنسخ النصوص التي أمامهم، ولم يعتبروا أنفسهم في معظم الأحيان أنهم مؤلفون يكتبون كتباً جديدة. لقد كانوا نساخاً ينسخون كتباً قديمة. والتغييرات التي قاموا بها (على الأقل تلك المتعمدة منها) كانت دون شك تعتبر تحسينات للنص. وربما كانت تصنع بسبب أن النساخ كانوا مقتنعين أن النساخ قبلهم قد غيروا كلمات النص، وكانت نواياهم في معظم الأحيان هي الحفاظ على الرواية وليس تغييرها.

لكن التغيير هو ما قاموا به أحياناً دون قصد وأحياناً عن عمد وفي أماكن عدة غير النساخ الروايات التي ورثوها، وكانوا يقومون بذلك ليجعلوا النص يقول ما كان يفترض به أن يقول.

مع مضي السنين ومع استمراري في دراسة العهد الجديد بدأت أصبح أقل حكماً على النساخ الذين غيروا الكتاب المقدس الذي نسخوه في البداية لقد كنت متفاجئاً قليلاً أو حتى مصدوماً بعدد التغييرات الذي قام بها هؤلاء النساخ المجهولون على النصوص في أثناء عملية نقلها حيث غيروا كلمات النص معيدين صياغته بكلماتهم الخاصة بدلاً من كلمات المؤلف الأصلي. ولكنني خففت من نظرتي هذه إلى نساخ النصوص وأدركت (ببطء) أن ما كانوا يقومون به في هذه النصوص لم يكن مختلفاً على الإطلاق عما يقوم به أي منا عندما نقرأ نصاً ما.

كلما ازددت تعمقاً في الدراسة أرى رأيت أن قراءة نص تتضمن بالضرورة تفسير ذلك النص. وأرى أنه عندما بدأت دراساتي كان لدي نظرة غير صحيحة عن القراءة أن المغزى من قراءة نص ما هي أن تترك النص يتحدث عن نفسه وأن يكشف المعنى الموجود في كلماته. ولكن الواقع الذي أدركته ليس متضمناً وأن النص لا يتكلم عن نفسه. إذا كانت النصوص تتكلم عن

نفسها فإنه يجب أن يتفق كل من يقرأ هذه النصوص بصدق وانفتاح على ما تقوله هذه النصوص، ولكن تفسيرات النصوص تختلف، ولا يتفق الناس في الواقع على ما تعنيه تلك النصوص. ومن الواضح أن ذلك ينطبق على نصوص الكتاب المقدس. انظر ببساطة إلى مئات أو حتى آلاف الطرق التي يفسرها فيها الناس سفر الرؤيا، أو خذ بعين الاعتبار كل تلك الطوائف المسيحية المملوءة بأشخاص أذكياء وذوي نوايا حسنة يستندون في آرائهم عن كيفية تنظيم وعمل الكنيسة على الإنجيل. ومع ذلك فهم يصلون في النهاية إلى استنتاجات مختلفة جذرياً (المعمدانيين- الخمسينيين- المشيخيين- الروم الكاثوليك- الأبالاتشيين المتعاملين مع الأفاعي- اليونان الأرثوذكس وغيرهم).

أَتَذْكُرُ آخر مرة كنت منخرطاً فيها في جدال حامي الوطيس حيث اعتمد على الإنجيل أو تطوع أحدهم بتفسير للكتاب المقدس تركك تتعجب كيف وصل (أو وصلَت) إلى هذا؟ إننا نسمع ذلك من حولنا طوال الوقت في مناقشات عن الشواذ والمرأة في الكنيسة الإجهاض، أو الطلاق، أو حتى السياسات الأجنبية الأمريكية مع وجود طرفين يقتبسان من نفس الإنجيل وأحياناً من الآيات نفسها ليثبتوا قضيتهم. هل يعود ذلك إلى أن بعض الناس هم ببساطة أكثر إرادة أو أقل ذكاءً من آخرين ولا يمكنهم أن يفهموا ما يقوله النص؟ بالتأكيد لا، إن نصوص العهد الجديد ليست بالتأكيد مجموعة بسيطة من الكلمات معناها واضح لأي قارئ. وبالتأكيد فإن النصوص يجب أن تفسر لتكون منطقية بدلاً من أن تقرأ ببساطة على أنها تستطيع أن تكشف معانيها دون عملية التفسير. وهذا بالطبع لا ينطبق على العهد الجديد فقط بل على النصوص من كل نوع. وإلا فلما سيكون هناك تفسيرات مختلفة

جذرياً للدستور الأمريكي Das Capital أو Middle March. إن النصوص لا تكشف ببساطة عن معانيها الخاصة للتحقيقات الصادقة. إن النصوص تفسر وهي تفسر (كما كتبت) من قبل كائنات بشرية حية تتنفس تستطيع فهم النصوص عن طريق تفسيرها على ضوء معرفتهم، مفسرين معانيها، ومعيدين صياغة النصوص بكلمات أخرى.

بمجرد أن يعيد القراء صياغة نص ما فقد غيروا الكلمات. إن ذلك ليس اختيارياً أثناء القراءة إنه ليس شيئاً يمكنك أن تختار عدم القيام به عندما تقرأ نصاً. إن الطريقة الوحيدة لفهم نص ما هي قراءته، والطريقة الوحيدة لقراءته هي وضعه بكلمات أخرى، والطريقة الوحيدة لوضعه بكلمات أخرى هي امتلاك كلمات أخرى لصياغته بها، والطريقة الوحيدة لامتلاك كلمات أخرى لصياغة النص هي امتلاكك للحياة، والطريقة الوحيدة لامتلاكك للحياة هي بكونك مليئاً بالرغبات والأشواق والحاجات والمتطلبات والمعتقدات ووجهات النظر والآراء وما تحبه وما تكرهه وكل الأشياء الأخرى التي تجعل الكائنات البشرية بشرية حقاً. ولذا فإنه لقراءة نص فإنه من الضروري أن تغير النص.

إن هذا هو ما قام به نساخ العهد الجديد. لقد قرؤوا النصوص المتوافرة لهم وأعادوا صياغتها بكلمات أخرى. أحياناً قاموا حرفياً بوضع كلمات أخرى. من جهة فإنهم بقيامهم بذلك فإنهم قد قاموا بما نقوم به في كل مرة نقرأ فيها نصاً، ولكن من جهة أخرى قد قاموا بشيء مختلف عما نقوم به كلنا فعندما نضع نصاً بكلمات أخرى في أذهاننا فنحن لا نغير الكلمات الحقيقية الموجودة على الصفحة لكن النساخ قاموا بذلك بالضبط مغيرين الكلمات بحيث أصبحت الكلمات التي ستكون أمام القراء اللاحقين كلمات مختلفة وسيضطرون عندئذ إلى إعادة صياغتها بكلمات أخرى ليفهموها.

من هذا المنظور فإن النساخ قد غيروا الكتاب المقدس بطرق لا نقوم بها، وبشكل أساسي أكثر فإنهم غيروا الكتاب بطريقة نقوم بها جميعنا في كل مرة نقرؤه بها، لأنهم مثلنا كانوا يحاولون أن يفهموا ما كتبه المؤلفون أثناء محاولتهم لرؤية الكيفية التي يمكن لكلمات مؤلفي النصوص أن تعطيهم معانٍ خاصة بهم، وكيف يمكنها أن تساعدهم على فهم وضعهم الخاص، حياتهم الخاصة.

جدول المحتويات